الدكتور رفعت السعيد

الصّحافة اليسارية في مصر

١٩٢٥ - ١٩٤٨

الناشر مكتبة مدبولى

الطبعـــة الثانيـــة

١٩٧٧

الناشر : مكتبة مدبولى

٦ ميدان طلعت حرب بالقاهرة

تليفون ٩٧٥٤٢١

الصحافة اليسارية فى مصر

... عام ١٩٢٥

- الحساب
- روح العصر
- شبرا
- التطور
- الفجر الجديد
- الضمير
- الجماهير .. عام ١٩٤٨

الطبعـة الثانيـة

الى ٠٠ جــدى لامى

عوض سلامة

تاجر بسيط ، كل علاقته بالصحافة انه منحها حياته دفاعا عن حريتها ٠

ففى عام ١٩٣٠ ، عنــدما ألغى الطاغية صــدقى الدستور وصادر كل صحف المعارضة ، قام هــو بقيادة أبناء بلــدتنا «المنصورة» فى مظاهرة تهتف للدستور ، وللحرية ، وللصحافة الحرة ٠٠ وأطلقوا عليه الرصاص واستشهد ٠

وبقى بدلا منه لوح رخامى شامخ أقاموه وســط حديقة ، كثيرا ماوقفت أمامه وأنا طفل ، أحاول فى خشــوع ان أفــك طلاسم كلمات حفرت على رخام أبيض ٠٠ «استشهد فىسبيل الوطن والحرية ٠٠»

وفى عام ١٩٤٦ جاء الطاغية صدقى من جديد ٠٠

واستشهد جدى مرة أخرى ، فقــد دمروا لوحه الرخامى والقوا به بعيدا ٠

اليه ٠٠ رمزا للانسان الذى يرفض الطغيــان حتى ولو لم يمسه مباشرة ، الانسان الذى يمجد الكلمة الحرة حتى ولو دفع حياته ثمنا لها ٠

اليه ٠٠ رمزا لصراع دائم لم ينته ، سيظل الانسانالعربى قادرا فيه ــ دوما ــ على أن يبذل حياته ثمنا لحريته ٠

اليه ٠٠ مضطهدا على الدوام ٠٠ ، مطاردا ٠٠ منسيا ٠ ٠ مقتولا على الدوام ، ٠٠ تماما كالحرية فى أرضنا ٠

•• بدلا من المقـــدمة

لم تكن الصحيفه بالنسبه لليسار مجرد منبر اعلامى ••
كانت اكثر من ذلك بكثير •

ففى بعض الاحيان كانت الوجه العلنى لتنظيم سرى ، وفى أحيان اخرى كانت — فى نظر البعض — بديلا عنه ، وفى حالات ثالثه كانت اكثر من اداة تجميع وتنظيم وتعبئه وانما محورا يمارس التنظيم نشاطه من خلاله •

لكننى أعترف ان هذا كله لم يكن الدافع لاعداد هذه الدراسة الان •• فلقد كان مخططى ان أمضى قدما فى انجاز الجزء الثالث من دراستى المطـــوله عن تاريخ الحركه الاشتراكية فى مصر والتى وقفت بالجزء الثانى منها عنـــد مشارف الاربعينات •• وبدأت استجمع كل قواى كى اقتحم ميدان المحاولة الجديدة ، وهو ميدان صعب ، ملىء بالتعقيدات ، بقدر ماهو ملىء بالتوقعات •

فهنا •• فى الاربعينات ولد كل شىء •• تحـــولت الاجنـــة التى ظلت تنمو فى أحضان مصر منذ العشرينات الى حركة عارمة •• غامرة ، لعل مصر لازالت تعيش — حتى الآن — فى الظلال الوارفة لهذه الحركة التى هزت أعمق أعماقهـــا •

هنا •• فى الاربعينات ، كان النضج ، وكان ميلاد الحركة الشيوعية الجديدة ، ولادة طبيعية وفى موعدها تماما •

وهنا •• فى الاربعينات ، تبلورت التنظيمات الشـــيوعيـــة ، ونمت وتصارعت وصارعت ، وعاشت — كأى كائن حى دافق الحيـــوية — الحياة بطولها وعرضها ، وأقامت مصر وأقعدتها معلنة وبأعـــلى صـــوت •• راية البروليتاريا المصرية المستقلة •

ولم يكن قد مضى على بداية الاربعينات سوى ست سنوات ، حتى كانت مصر كلها تنفجر ثورة ضد الاستعمار وضد الرجعية ومن أجل الديمقراطية وحقوق الشعب ، وقد تفجرت — ولاول مرة — فى ظلال قيادة جديدة نواتها الاساسية هم الشيوعيون وهى «اللجنة الوطنية للطلبة والعمال» •

وبعدها بأشهر قليلة كان الطاغية صدقى يقف أمام مجلـــس الشـــيوخ

مستحثا الاعضاء على اغماض أعينهم ، والموافقة على مشروع قانون غير دستورى لمكافحة الشيوعية ، وتململ البعض بسبب الخرق الفاضح للدستور ، ولم يجد صدقى من وسيلة لاقناعهم سوى أبيات من قصيدة «اصرار » لكمال عبد الحليم •• كانت كافية ليرتعد الشيوخ جميعا وارتفع صوتهم بالموافقة على مشروع القانون •

ان الاربعينات هى محور تاريخ حركة اليسار المصرى المعاصرة ، انها سنوات ولادتها ، وحضانتها ونموها •

وكان لابد من عمل مضن ، كبير ، يتهيب المرء أن يقحم نفسه فيه •
••ومع ذلك فقد بدأت ••



وكالعادة •• تلمست طريقى الى صحف اليسار فى هذه الفترة ،وعشت معها لفترة طويلة ، أسجل ، وأدون ، وأقتبس ، كل ذلك تجميعا لبعض المواد اللازمة للبحث الكبير •

وفجأة •• أدركت أن كمية المواد التى تتضمنها هذه الصحف ،كثيرة وهامة وضرورية الى درجة انها تستغرقنى وتستحثنى على الانغماس فيها•• بشكل تفصيلى •• بحيث تعوقنى عن التقدم نحو الدراسة الأساسية •

أحسست انى أمام أحد أمرين اما أن اركز الضوء على هذه الصحف فأتخم بها دراسة تستهدف شيئا آخر ، أو ان اتجاوز عن الشىء الكثير الذى تضمنته بما يعنى من خسارة لقيمة تاريخية هامة •

أقول •• ــ فجأة ــ وانا انغمس فى الدراسة الرئيسية •• لمعت هذه الفكرة فى رأسى لماذا لاأغير ترتيب مشروع دراساتى ••

كنت قد رتبت أمرى على استكمال دراسة تاريخ الحركة اليسارية • ثم أبدأ باعداد كتاب عن صحافتها •

وأحسست ان الترتيب الاكثر معقولية هو ان أبدأ بالصحافة •• كمحاولة لتقديم الوجه العلنى ، والفكر ، والمواقف السياسية ، والصراع الظاهر ، ثم يصبح متاحا بعد ذلك ــ ان انثنى الى الصورة الداخلية للعمل الحزبى •• تناقضاته •• صراعاته •• تاريخه •

وفى بادىء الامر ، راودتنى شكوك كثيرة ، قلت لنفسى ربما كنت تبحث عن مهرب من العمل الاكثر مشقة ، وطرحت الفكرة •• ومضيت قدما فى دراستى الاصلية •

ومرة ثانية ، وثالثة ، أحسست انه لابد لى من أن انتهى من دراسة صحافة اليسار كتمهيد ضرورى لاستقصاء الحقيقة عن «تنظيمات اليسار»• وهكذا قررت أن يصدر هذا الكتاب أولا •



« والصحافة اليسارية » كلمة مطاطة ·· فثمة محاولات عديدة لصحافة متقدمة او مستنيرة او ليبرالية لعل خير مثال لها صحف سلامة موسى : «المستقبل» · «المفيد» · «المجلة الجديدة» ·· الخ ·

وثمة محاولات أخرى تمثلت في نجاح كاتب يسارى ، او كتاب يساريين في الانضمام الى مجلة او مجلات والكتابة فيها بقدر لابأس به من الحرية ، الى درجة انه يمكن اعتبار أن صحيفة كهذه كانت «نصف يسارية» والنصف هنا يعنى المناصفة العملية والفعلية بمعنى ان بعض صفحات الجريدة كان يميل يسارا والصفحات الاخرى تميل في اتجاه آخر ·· وثمة حالات نجح فيها بعض كتاب اليسار ، في (تغيير مسار) صحيفة ما ، لفترة من الوقت ، معلنين سيطرتهم عليها مثل مجلة (الشعاع) ·· ومجلة (الطليعة) التى كانت تصدر عام ١٩٤٦ عن اتحاد خريجى الجامعة ·

وكانت هناك صحف أخرى تمثل جناحا يساريا فى حزب برجوازى مثل «رابطة الشباب» و«البعث» وكانتا تمثلان لفترة ما يسار حزب الوفد ·

كل هذا لم يكن قصدى عندما استخدمت تعبير «الصحافة اليسارية» ·

فقد أردت به بالتحديد الصحف التى كانت منبرا لتجمعات او منظمات يسارية أو كانت بذاتها «مشروعا» لتنظيم يسارى ·· أقصد — بوضوح أكثر — صحافة المنظمات الماركسية المصرية ·



وثمة مجلتان كانتا يساريتين بغير ماشك ، وكانتا صادرتين أيضا عن تنظيم شيوعى مصرى هو الحركة المصرية للتحرر الوطنى (ح·م) ، لكنهما كانتا تصدران عن «قسم السودانيين» فى هذا التنظيم وبهدف محدد ·· هو حشد القوى الوطنية والتقدمية السودانية سواء فى مصر أو فى السودان من أجل ان ينمو هذا القسم الذى ولد فى أحضان ح·م ، ليزهر فى أرض السودان الخصبة تنظيما استقل فيما بعد تحت اسم «الحركة السودانية للتحرر الوطنى» (حستو) والذى أعلن نفسه بعد ذلك (الحزب الشيوعى السودانى) ·

والمجلتان ·· (حرية الشعوب) · (١٩٤٢ — ١٩٤٣) و «أم درمان» (١٩٤٥ — ١٩٤٦) حصرتا نفسيهما سواء فى موادهما أو فى محريرهما بشكل أساسى فى محيط السودان ·· ومشاكله ·

وحتى فى الاعداد الاخيرة من (أم درمان) التى حاولت فيها ان تثير بعض القضايا التى كانت تنفجر فى مصر فان الطابع الغالب كان بشكل واضح سودانيا صرفا ·

ثمة عدد وحيد من (أم درمان) فتح صفحاته أمام كتاب مصريين وهو العدد الصادر فى ١ يناير ١٩٤٦ وتقول عنه (أم درمان) انه (عدد خاص) وتعتذر لقرائها قائلة «تقدم مجلة أم درمان لقرائها هذا العدد الذى حرره

شباب الجامعة المصرية الحر ، وتعتذر في نفس الوقت الى القراء الكرام الذين تعوودوا أن يقرأوا على صفحاتها أخبار السودان ومعالجة مشاكله فالى العدد القادم» •• وحتى هذا العدد لاتجد فيه سوى مقالين اثنين عن مصر أما بقية العدد موادا ومحررين فكلها سودانية صرفة •

ومن هنا فانه يمكن القول ان «حرية الشعب» و«أمدرمان» كانتا مجلتين يساريتين سودانيتين (سواء من حيث المادة أو من حيث المحررين) لكنهما صدرتا في القاهرة بحكم الاوضاع الخاصة التي سادت العلاقات بين مصر والسودان في ذلك الحين •

وانهما كانتا تعبيرا عن اهتمام الشيوعيين المصريين بالسودان • • وبمستقبل الكفاح الثورى فيه •

ودراستهما تنتمي الى دراسة تاريخ الحركة الشيوعية السودانية بأكثر مما تنتمي الى دراسة تتعلق بالوضع في مصر •



وكان لابد •• ان أبدأ من البداية الحقيقية ، من أول محاولة لاصدار منبر صحفى ماركسى ، كلسان حال للحزب الاشتراكى المصرى «الاول» • لكن هذه المحاولة وئدت سريعا •

وننشر «الاهرام» : « كان الحزب الاشتراكى قد طلب من الحكومة رخصة لاصدار جريدة اشتراكية خاصة به ، فرفضت وزارة الداخلية هذا الطلب ، لاسيما على أثر مانشره الحزب من الاحتجاجات والاعتراضات المتعلقة بالسياسة المحلية ، ولما لم ينجح فى أخذ الرخصة جعل يبحث عن جريدة موجودة فوجد «جريدة الشبيبة» وهى جريدة أسبوعية أدبية اجتماعية للشيخ عبد الحميد النحاس ، فاتفق واياه على تحويلها الى جريدة اشتراكية • وحولها الحزب الى شكل جديد ، وألغى عدد ماصدر منها ، وجدد نشرها بالعدد «١» • وقد صدر عددها الاول فى هذا الاسبوع الغائب وفيها مقالة عن لينين ومقالات اشتراكية متعددة ، وقد جعل شعارها المنجل والمطرقة •

ويظهر ان وزارة الداخلية لم توافق على هذا الابدال ، فاصدرت اليوم أمرا باغلاق (جريدة الشبيبة) ومنع نشرها • وكان الحزب قد شرع فى توزيع نسخها على أعضائه باعتبار انهم مشتركون وجعل الاشتراك ٣٠ قرشا فى السنة» (١) •

ومرة أخرى يحاول الحزب الاتفاق مع صاحب جريدة أخرى ، لكن «الاهرام» يلاحق المحاولة ناشرا الخبر ، وتتنبه وزارة الداخلية للامر وتحبط المحاولة الثانية (٢) •

---

(١) الاهرام ١٢ — ٧ — ١٩٢٢ •
(٢) الاهرام ١٣ — ٧ — ١٩٢٢ •

واذا كان هذا العدد الوحيد من مجلة «الشبيبة» هو أول صحيفة شيوعية تصدر علنا فى مصر ، فلقد بذلت جهدى للعثور عليه ، لكننى فشلت ، فدوريات « دار الكتب القومية » تحتوى على كل مجموعة « الشبيبة » باستثناء هـذا العدد ٠

لكن الكثيرين من الرعيل الأول للشيوعيين لقد تحدثوا معى طويلا عن هذا العدد وأفاضوا فى مديحة ٠

وليس أمامنا سوى التعلق بالامل ، فلعلنا يوما ما نعثر على نسخة منـه ٠



٠٠٠ ووفقا لقانون المطبوعات ، كان يتعين الحصول على «رخصة» من وزارة الداخلية لاصدار أى مطبوع دورى وثمه اجراءات خاصه أخرى بالنسبه لقبول «رئيس التحرير المسئول» ٠٠ وكثيرا ماكان الحصول على مثـل هـذا الترخيص مسألة بالغة الصعوبة بالنسبة لشخصيات معروفة بنشـاطها الشيوعى أو اليسارى ، كذلك كان الامر يتطلب دفع تأمين مالى ، أو ايجاد «ضامن» مالى مقبول ٠

ومن هنا فقد اضطرت الكوادر اليسارية ــ فى أغلب الاحيـان ــ الى التحايل «باستئجار» رخصه ما ، بمعنى أن تصدر الجريدة حاملة اسمها القديم واسم صاحب الامتياز ، وربما اسم رئيس التحرير ، بينما يتولى الشيوعيون مسئولية تحريرها واصدارها وكان ذلك يتطلب تسديد ايجار شهرى لصاحب الرخصة ، بالاضافة الى سلسلة من التحايلات القانونية لتغطية حدود المسئولية عن التحرير أمام السلطات ٠

لكن وزارة الداخلية كانت تملك حق الغاء الترخيص ٠٠ وقـد فعلت ذلك فى كثير من الاحيان ٠

فعلته مع «الشبيبة» بعد العدد الاول ، ومع جرائد أخرى عديدة ٠

لكن المحاولات لم تتوقف ، فقد كان ذلك هو السبيل الوحيـد ــ فى معظم الاحيان ــ لاصدار منبر علنى يسارى ٠

وقد خلقت مسألة استئجار الرخص هـذه بعض المشاكل أمام هـذه الدراسة ، فالجريدة تتحول من جريدة عادية الى جريدة شيوعية ، لكن متى بدأ هذا التحول ، ومتى انتهى ؟ قد يبدو الامر سـهلا فى أول الامر ، لكنه يصبح أكثر صعوبة عندما تصاحبه تلك التعقيدات القانونية والسياسـية التى كانت تـلازم عملية استئجار رخصة جريدة ، خصوصا وأن الكوادر الشيوعية كانت تبدأ ــ فى كثير من الحالات ــ بالتواجـد ٠٠ الذى يتزايد تدريجيا ، حتى يتحول الى مشاركة ، ثم يتوج رويدا رويدا ودون ضجة بأن يفرضوا ظلهم على المجلة كمنبر ، ثم لايلبث هذا الظل أن ينكمش ويتلاشى ٠

أو تغلق المجلة أبوابها •

وهكذا فقد تعين علينا أن ندرس في كل حالة على حدة تطور علاقة الكوادر اليسارية بهذه الجريدة أو تلك ، ومتى يمكن القول باطمئنان ، الى أنها قد أصبحت جريدة يسارية •

أقول ذلك أيضا ـ لانني عندما أقول ان (الحساب)أو (شبرا) أو(حرية الشعوب) •• كانت صحفا يسارية ، فانني أعنى انها كانت كذلك في فترة محددة بالذات ، بذلت أقصى جهدى فى تحديد بدايتها ونهايتها تحديدا قاطعا • ذلك أن تقليب صفحات عدد سابق على هذه الفترة أو عدد لاحق لها سوف يعطى انطباعا مختلفا تماما •



ولما كان الحصول على «رخصة» لاصدار مجلة دورية مسالة غير سهلة ، فقد لجأت المنظمات اليسارية فى كثير من الاحيان الى اصدار «نشرات غير دوريه» فهى لاتحتاج لاذن خاص ، وكان أول مطبوع «غير دورى» وعلى ـ فيما نعلم ـ هو النشرة التى كان يصدرها الحزب الاشتراكى المصرى «الاول» فى أواخر عام ١٩٢١ وكانت تباع بخمسة مليمات،ويوزعها الاعضاءبأنفسهم علنا فى شوارع مدينة الاسكندرية (١) وكانالحزب يلجأ فىمختلفالمناسبات الى اصدار نشرة مطبوعة بعنوان «خطاب مفتوح الى ••» يقوم أعضاؤهببيعها الى الجمهور •• ومن هذه السلسلة من «النشرات غير الدوريه» نجد «خطاب مفتوح الى سعد زغلول » ، « خطاب مفتوح الى أعضاء لجنة التوفيق » (وهى اللجنة الخاصة بالفصل فى المنازعات العمالية) « وخطاب مفتوح الى عمال الفطر المصرى » و « خطاب مفتوح الى المثقفين » (يدعوهم فيه الى الاتجاه الى الريف والاهتمام بمشاكله) (٢) •

ثم نجد بعد ذلك (مجلة الفن والحرية) وقد صدر منها عددان مطبوعان بالرونيو كل منهما يتضمن مقالات باللغتين العربية والفرنسية معا ،وتاريخ العدد الاول مارس ١٩٣٩ وغلافه مكون من لوحه تشكيلية سيرياليه وقعها «التلمسانى» وعنوانها «أم الشعوب» ، أما العدد الثانى فقد صدر فى مايو ١٩٣٩ وعلى غلافه لوحة تشكيلية سيريالية أيضا ولكن التوقيع غير واضح • ولعلها المرة الاولى التى يرسم فيها فنان مصرى لوحة تشكيلية متكاملة على

---

(١) راجع محضر النقاش مع حافظ سند ، وحيثيات الحكم الصادر عن محكمة جنايات الاسكندرية عام ١٩٢٤ فى د• رفعت السعيد ــ تاريخ الحركة الاشتراكية فى مصر ــ ١٩٠٠ــ١٩٢٥ الطبعة الثالثة ـ دار الفارابى ـ بيروت • ص ٢٦٧ وما بعدها .

(٢) المرجع السابق . ص ٢٣٣ وما بعدها .

« الاستنسل » لتسهم فى اصدار نشرة مطبوعة بالرونيو ★ .

لكن ذلك كله كان محدود الاثر والتاثير ولا يقارن مثلا بالنشرة غير الدوريه التى كانت تصدرها « دار الابحاث العلميه » (منظمة ايسكرا) عام ٤٦ ـ ١٩٤٧ والتى صدرت منها اعداد كثيرة متناولة موضوعات ودراسات شتى وكانت تصدر فى شكل كتيب مطبوع بعنوان «نشرة دار الابحاث العلمية» ولم أتمكن من العثور الا على نسخه وحيدة من هذه النشرة وهى منزوعة الغلاف ومخصصة كلها لدراسه القضيه الفلسطينيه وأبعادها .

وهناك أيضا «مجله كفاح العمال» وكانت تطبع على المطابع السرية للحركة المصريه للتحرر الوطنى وتباع بشكل نصف علنى بخمسه مليمات، وكانت تصدر عام ١٩٤٦ عن (قسم العمال) بالحركة المصرية للتحررالوطنى. وقد انتظم صدور هذه المجلة واتسع نطاق توزيعها بحيث اكتسبت طابع الجريدة العلنية الواسعة الانتشار .

وهناك أيضا (صوت الطالب) وكانت تصدر فى أواخر ١٩٤٦ كلسان حال لرابطة الطلبة المصريين وكان يتولى اصدارها (قسم الطلبة بايسكرا) ويشرف على تحريرها (عبد المنعم الغزالى ـ سعد زهران ـ جمال شلبى) وكانت تطبع بأحد مطابع الجيزة العلنية وتوزع مايقرب من ستة آلاف نسخة وصدر منها ثلاثة أعداد ، ولاحق البوليس المطبعة ، فصدر العدد الرابع بالرونيو ثم توقفت عن الصدور (١) .

ولقد لعبت هذه النشرات (غير الدورية) و (نصف العلنيـة) دورا اعلاميا ودعائيا بالغ الاهمية ، لكنها تخرج عن نطاق هذا البحث ، كما انه لم يمكن العثور على مجموعات متكاملة منها بحيث يمكن اخضاعها لدراسة تحليليـة .

وغنى عن القول انه الى جانب ذلك كله ، كانت المنظمات الشيوعية المصرية تصدر عديدا من نشراتها السرية الخاصة بها ، وقد اكتسب بعضها أهمية تاريخية وجماهيرية خاصة ، بحيث كانت أرقام توزيعها ترتفع فى بعض الاحيان الى مايزيد عن توزيع مجلات علنية معروفة ، ولعل أهم هذه المجلات وأكثرها شهرة وتوزيعا واستمرارية هما مجلتا «الكفاح» و «صوت الفلاحين» وكانتا تصدران عن تنظيم «الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى » (حدتو) . وهناك أيضا مجلة «راية الشعب» التى كانت تصدر فى منتصف الخمسينات عن منظمة الحزب الشيوعى المصرى والتى فرضت اسمها حتى على اسم التنظيم نفسه بحيث اسميت المجموعة كلها باسم مجموعة « الراية » .

لكن البحث فى هذا المجال غير وارد أيضا ـ هنا ـ ، فنحن نعالج

★ يتوجب على ان افى الصديق « البير اريبه » حقه من الشكر فقد اهدانى مجموعة من وثائق هذه الفترة تتضمن هاتين النشرتين .

(١) مناقشة اجريت مع عبد المنعم الغزالى .

فقط الصحافة العلنية ٠



واذا كنا قد حددنا نقطه البدء لهـذا الجزء من الدراسة بصدور مجله الحساب ، باعتبارها أول منبر يعبر بشكل متكامل ورسمى عن «الحـزب الشيوعى المصرى» عام ١٩٢٥ فان نقطه التوقف بهذا الجزء الاول كانت محل ترجيحات واحتمالات عدة ٠

وطرحت في ذهنى احتمال أن أتوقف عند ١١ يوليو ١٩٤٦ باعتباره تاريخ أشهر مذبحه تعرضت لها الصحافة اليسارية والتقدميه ، حين عصف قرار من الطاغيه صدقى بكل صوت معارض ابتداء من (أم درمان) ٠ ٠ الى (البعث) و (اليراع) ٠

لكن هذه الفكرة رغم وجاهتها تترك أهـم مجلة يســارية صدرت فى الاربعينات وهى (الجماهير) معلقة فى غير ما موضع ٠ ذلك ان الموجة التاليه من الصحف اليسارية لم تبدأ الا مع بداية الخمســينات ، بينمـا عاشت (الجماهير) فترة ١٩٤٧ وبعض ١٩٤٨ ٠ وأحس أن مثل هذا التقسيم سوف يفسد السياق التاريخى للحدث وسوف يفقد الجزء الأول وحتى الجزء التانى ـ عندما نتاح فرصة اصداره ـ اتساقهما ٠ خصوصا وأن (الجماهير) تعتبر بالنسبة لصحافة اليسار فى الاربعينات القمـه والتتويج من حيث الفـن الصحفى والانتشار والتأثير والنجاح السياسى ٠

وثمة خاطر آخر ألح على بشدة ٠

اذا كانت صحافة يسار النصف الاول من الاربعينات مزيجا من محاولات تنظيمات وتجمعات وشخصيات متعددة ، فان الصحافة اليسارية ابتداء من الجماهير ـ ١٩٤٧ ـ وحتى مجلة الغد ـ ١٩٥٦ ـ مرورا بالبشير والملايين والواجب كانت جميعا صادرة بتأثير مباشر أو غير مباشر من منظمة (حدتو) فهى التنظيم الوحيد الذى استمر مدركا لأهمية المنابر الصحفية العلنية ٠

اذا كان الامر كذلك فلماذا لانخصص الجزء الاول للصـحافة التى لم تخضع لتأثير (حدتو) تاركين الجزء التانى تماما لدراسة صـحافة ح ٠م تم امتدادها التاريخى (حدتو) ٠

وكان ذلك يتطلب أن نقتطع من هذا الجزء مجلة (الجماهير) ٠

لكننى ـ أيضا ـ استبعدت هذا الاحتمال باعتبار انه يشتت السياق التاريخى للدراسة اذ لايمكن دراسة تاريخ جريدة ما بشكل منعزل عن الاطار التاريخى العام لفترة صدورها ٠٠ كذلك فان مثل هذا التقسيم قد يعطى انطباعا خاطئا بأن «حدتو» ليست كغيرها من المنظمات امتدادا ـ يفترض انه طبيعى ـ لنشاطات العشرينات والثلاثينيات ٠

٠٠ وبعد تردد طويل بين ترجيحات عدة رأيت ان أتوقف بالجزء الاول من هذه الدراسة عند عام ١٩٤٨ ٠٠ أى عندما أوقفت مجلة « الجماهير » وهكذا تمتد دراستنا هذه لتغطى الفترة من ١٩٢٥ حتى ١٩٤٨ ٠



ولم تكن هذه الدراسة مجرد بحث عن مجموعات هذه الصحف ونقليب لصفحاتها ، وتحديد أهم ماتردد فيها من اتجاهات فكرية وسياسية ، لكن الامر كان فى الأساس بحثا تاريخيا عن «الحدث الداخلى» ، عن القصة التى تكمن خلف صدور كل جريدة والتى لم تنشر ـ وما كان لها أن تنشر ـ على صفحات الجريدة ذاتها ٠ كيف تأسست ؟ من كان صاحب المبادرة ؟ ولماذا؟ من الذى مولها ؟ ولماذا ؟ الصراعات الداخلية وبواعثها ،الاسماء الحقيقية التى توارت فى أغلب الحالات خلف أسماء مستعارة ٠٠ الخ ٠ وباختصار ـ كان الامر بحثا عن تاريخ المجلة ، وليس مجرد استعراض لما دون بها من مقالات ودراسات ، وان كانت الدراسة التاريخية ـذاتهاـ تتطلب بالضرورة تسليط الضوء على المواقف السياسية والفكرية التى رددتها الصحيفة ٠٠ ومقارنتها بموقف التنظيم و المجموعة التى تصدرها ٠٠ وربط ذلك كله بالاطار التاريخى العام لحركة اليسار المصرى ككل ٠

وقد تطلب الامر مقابلات عديدة مع كل من تيسرت مقابلته من المشاركين فى اصدار أو تحرير هذه المجلات ٠٠ وهؤلاء ـ بطبيعة الحال ـ مجرد رواة، يرددون ذكريات قديمة ، بعضها صحيح ، وبعضها الآخر مختلط بحوادث أخرى ، وبعضها تلونه مواقف أو نزعات شخصية ، وكان لابد من عملية مستمرة للمطابقة بين الروايات وبعضها البعض وبينها وبين الحقائق التاريخية، وأيضا بينها وبين ما يمكن استنتاجه من خلال النظرة المتأنية لصفحات هذه المجلات ٠

لكننى فى نهاية الامر لم أرد أن أثبت هنا غير الحقائق المتيقن من صحتها، وبقيت بعض المسائل المعلقة بغير ايضاح كاف ، تصورت أن تركها معلقة أفضل من فرض تفسير قد يكون غير صحيح لها ٠

ولقد بذلت كثيرا من الجهد فى استقصاء الاسماء الحقيقية لهؤلاء الذين آثروا لسبب أو لآخر استخدام أسماء مستعارة وهم كثيرون ٠٠ وخاصة فى مجلتى «الفجر الجديد» و«الجماهير» ٠

ولقد نجحت فى معظم الحالات بالنسبة «للفجر الجديد» ، ذلك ان عدد كتابها كان محدودا ، وكان أكثرهم يكتب باسمه الحقيقى ، ثم باسمه المستعار لسبب فنى بحت ٠ وهو تلافى تكرار اسم واحد أكثر من مرة فى الصدد الواحد ٠٠ وعلى أية حال فان مقابلتين مع اثنين من أصحاب «الفجر الجديد» كانتا كافيتين تماما فى هذا الصدد ٠

غير أن الامر يختلف بالنسبة «للجماهير» ، ذلك انها كانت تصدر عن تنظيم متسع النشاط ، جم العلاقات ، والاسماء كلها مستعارة تقريبا ، والاسباب هنا متعلقة بالامن وبجماعية العمل وحزبيته معا ، فصفحة الطلبة يحررها مكتب الطلبة ، وصفحة العمال يحررها مكتب العمال ٠ ٠ وهكذا بالنسبة للنساء أيضا ، ويتم التوقيع على العمل سواء أكان فرديا أم جماعيا باسم مستعار ٠ ولقد قمت بمحاولات متعددة لترجمة الاسماء المستعارة الى أسماء حقيقية ، نجحت فى بعضها وفشلت فى البعض الآخر ٠



ولقد كانت النظرة المتأنية على كل هذه الصحف ، والانغمـاس لفترة طويلة من الوقت في صفحاتها ومشاكلها ، فرصة رائعة أمكنها أن تجسد فى ذهنى صورة متكاملة الخطوط لكل تنظيم من التنظيمات ، أسلوبه فى العمل ، منهجه الفكرى .. خطه السياسى .. الخ .

ان الفارق بين (الفجر الجديد) و (الجماهير) واضح تماما يمكن تلخيصه فى انه فارق بين عقليتين ومنهجين مختلفين .. وأدركت أن دراسة «الجريدة» كانت سبيلا لدراسة «الوجدان الداخلى» للتنظيم السياسى .

وهكذا ـ يمكن القول ـ بأن دراستنا هذه كانت مقدمة ضرورية لدراسة تاريخ المنظمات .. انها مجرد اعداد للمسرح ، نوع من ضبط قواعد الحوار الداخلى في العمل الفنى ، رسم ملامح الصورة .. تحديد معالم الديكور .

وباختصار انها تمهيد ضرورى كى يمكن للعرض الاساسى ان يبدأ ..

القاهرة ـ أغسطس ١٩٧٤

العدد الحادى عشر
الاشتراك عن سـنة
٣٥ قرشا للعمال والفلاحين
٥٠ لسواهم
الاشتراك عن سنة خارج البلاد
٤٥ قرشا للعمال والفلاحين
٥٠ لسواهم

السنة الاولى
الاعلانات تخابر الادارة بشأنها رأسا
بشارع الدواوين رقم ٤٤

مدير سياسة الجريدة المسئول
ابراهيم الصيحى

الحســـاب

صحيفة سياسية اجتماعية اقتصادية يومية
تصدر مؤقتا مرة فى الاسبوع
للدفاع عن حقوق العمال والفلاحين

القاهرة في يوم الجمعة ٦ مارس ١٩٢٥

.. فى عام ١٩٢٥ كانت ماكينة الارهاب تدور بأقصى سرعتها ، ليس ضد الشيوعيين وحدهم وانما ضد كل القوى الوطنية والتقدمية .

وسعد زغلول بعد ان أنجز مهمة ضرب الحركة العمالية بأقصى عنف ممكن وبعد أن حل حزبها السياسى ، وطارد قادته وكوادره وأغلق دوره ، وبعد أن بذل كل جهده محاولا أن يقدم البديل للعمل الشيوعى وسط العمال بتأسيس اتحاد عمال وفدى برئاسة عبد الرحمن فهمى . واستخدم كل ثقل زعامته الجبار ، وكل جماهيريته ، وجماهيرية حزب الوفد فى المعركة ضد الحزب الشيوعى ، بعد ان أنجز هذه المهمة أصبح هو ايضا عنصرا غير مرغوب فيه من قبل الاحتلال والسراى .

واذا كانت محكمة جنايات الاسكندرية ، قد أصدرت أحكامها القاسية بالسجن على أعضاء اللجنة المركزية للحزب الشيوعى فى ٦ اكتوبر ١٩٢٤ . فقد تلتها مباشرة — فى ١٩ نوفمبر — حادثة السردار المعروفة واستقال سعد مرغما .

وجاءت حكومة زيور التى واصلت حملة تصفية الحزب الشيوعى فى هيستريا واضحة ، فأصدرت قرارا بمنع دخول السفن السوفيتية الى الموانىء المصرية . وتنشر «الاهرام» قصة عن وصول سفينة بلشفية الى المياه المصرية .. «وصلت لى الاسكندرية أمس باخرة روسية بلشفية تدعى «تشيشيرين» تنقل بضاعة الى هذا القطر ، وربما كان عليها بعض الركاب أيضا ، فلم تكد تصل الى الميناء الخارجى حتى أصدرت السلطة المحلية أمرا الى البوليس بمراقبتها وحراستها ومنعها من الدخول الى المرفأ . فأوقفت فى الخارج ولاتزال حتى الآن تحت حراسة الشرطة . والمفهوم ان الحكومة ستأذن بتفريغ مشحونها حيث هى راسية ، ثم تأمرها بالانصراف غدا ، ويظهر أن الباخرة «تشيشيرين» هذه لا تدرى ما نحن فيه من الانهماك فى قضية الشيوعية البلشفية فى هذه الايام» (١) .

كذلك أصدرت الحكومة قرارا بمنع السماح ببيع أو تداول الكتب الاشتراكية ، أو جلبها من الخارج ، وأصدرت قرارا بمنع دخول جريدة

---

(١) الاهرام ١٩ — ٦ — ١٩٢٥ .

«الاومانيتيه» الفرنسية ، وجريدة « الانسانية التى كانت تصدر فى بيروت أو أية جريدة أو مجلات شيوعية أو اشتراكية » .

ويعلق (الاهرام) على ذلك قائلا : «عزمت السلطة عزما ثابتا على مكافحة الشيوعية ، ومبادئها ودعاتها فى هذا القطر ، وغدا هذا العزم يتضح من اتساع نطاق المساعى المبذولة لاستئصال شأفة ذلك الداء الاجتماعى الخطير . وقد صادر البوليس مؤخرا بالاسكندرية بعض كتب اشتراكية وجدت عند شاب يونانى يقول عنه أصحابه انه لاعلاقة له بالحركة الشيوعية مطلقا ، وقد أرسل هذا الشخص الى القاهرة للبحث فى أمره » (١) .

وكان كل ذلك يجرى فى ظل حملة عنيفة من الكتابات المعادية للفكر الاشتراكى أسهمت فيها معظم الصحف والمجلات وصدرت من أجلها عشرات الكتب .

لكن الامر لم يكن بهذه السهولة .. فحتى أحمد الصاوى محمد الذى كان أحد متزعمى الحملة المعادية للشيوعية .. اضطر الى أن يقول ان الشيوعية قد أصبحت « شوكا دق جذوره العميقة فى الارض » .

وفى نفس اليوم الذى أصدرت فيه محكمة جنايات الاسكندرية حكمها على أعضاء اللجنة المركزية للحزب الشيوعى .. أى فى ١٦ أكتوبر ١٩٢٥ . تكونت لجنة مركزية جديدة .. وبدأت تمارس قيادة العمل السرى فى ظروف بالغة الصعوبة .. وكان أحد سكرتيرى اللجنة المركزية رفيق جبور . الذى رأس تحرير مجلة (الحساب) .



ولسنا نريد أن نتابع هنا نشاط الحزب ومسيرته فى هذه الفترة ، فقط نريد ان نلقى بعض الضوء على منبره العلنى مجلة «الحساب» ، أردنا بالاسطر السابقة أن نصور الجو العام الذى صدرت فيه ، حتى يستطيع القارىء أن يتصور مدى الشجاعة التى احتاجها محرروها كى يواصلوا المسيرة فى طريق صعب .

ورفيق جبور رئيس تحرير هذه المجلة شخصية فريدة ، صحفى لبنانى مخضرم أحد قادة جماعة لبنان الفتى بمصر ، لعب دورا هاما فى صحافة الرأى المصرية وخاصة فى جريدة «النظام» الوفدية الميول ، وقد ظل منذ ١٩١٨ وحتى ١٩٢٥ محررا بهذه الجريدة ، ومن ثم فقد كان القبض عليه فى قضية شيوعية مثارا لأقاويل كثيرة حول علاقة الوفد بالحركة الشيوعية ، متهمة الوفد الذى استخدم كل القسوة ضد الحزب الشيوعى عام ١٩٢٤ ، بأنه على علاقة بالحزب الشيوعى ، وينقل الاهرام عن الديلى تلجراف «وأعظم ما يلفت الانظار فيما اكتشفه البوليس هو ما يدل على العلاقة الوثيقة بين

(١) الاهرام ١٦ ـ ٦ ـ ١٩٢٥ .

دسائس البلاشفة وحملة الفتل ، وعلاقتهم أيضا بالوفد ، لانه يوجد بين المقبوض عليهم طاهر افندى العربى المحرر بـ«كوكب الشرق» احدى الصحف الوفدية الكبرى ، ورفيق افندى جبور المحرر بجريدة «النظام» وهى من الصحف الوفدية ايضا» (١) ٠

ويتضح من مذكرات طاهر العربى ان رفيق جبور هو الذى قدمه الى « كونستانتين فايس » وهو الشخصية الشيوعية الشهيرة (أفيجدور) (٢) ، يقول طاهر العربى حول ظروف علاقته بالنشاط الشيوعى فى عام ١٩٢٥ « كنت أعرف زميلا صحفيا يعمل فى جريدة (النظام) هو الاستاذ رفيق جبور ، وكنت أتردد عليه من وقت لآخر فى مجل عمله ، وذات يوم عرفنى بصديق له كان زائرا فى مكتبه ، قال أنه (مستر كونستانتين فاس) مكاتب جرائد عمالية دولية حضر لمصر لدراسة حالة العمال والفلاحين وقدمنى اليه قائلا : هذا صديقى طاهر ضحية من ضحايا الاستعمار البريطانى ، قضى فى السجن اثنى عشر عاما فى محاربة الانجليز فهو يكرههم ويكره كل ما يتعلق بهم » (٣) ٠

٠٠٠ وقدم قرار الاتهام فى قضية الشيوعية الصادر عن النيابة العامة فى ٨ سبتمبر ١٩٢٥ المتهم السادس ــ رفيق جبور ــ سن ٤٣ سنة مولود بجبل لبنان محرر بجريدة «النظام» ، واتهمه هو وغيره من المتهمين بأنهم «نشروا وهم متفقون جميعا على ذلك أفكارا ثورية مغايرة للمبادىء الاساسية لدستور الدولة المصرية ، وحبذوا تغيير لنظم الاساسية للهيئة الاجتماعية فى البلاد المصرية بالقوة والارهاب وبوسائل أخرى غير مشروعة ، وذلك علنا بطريق بيع وتوزيع كتبا وجرائد ونشرات مطبوعة ، والقاء مقالات فى المحال والمحافل العمومية وبواسطة اشهار رسوم وتصاوير ، وهذه الكتب والجرائد والنشرات والمقالات والرسائل تحوى أمورا وأفكارا تخالف مبادىء الدستور المصرى الاساسية ٠٠ ومن شأنها تغيير النظم الاساسية للهيئة الاجتماعية مثل الغاء نظام الملكية الفردية المقرر فى دستور الدولة واستبداله بنظام شيوعى بطريق الثورة والقوة والتهديد ، وذكر فيها أن النظم التى يسعون اليها أفضل من النظم الحالية ، وانها حرية ان تحقق ، وانه يجب العمل والسعى لتحقيقها وقد ألفوا حزبا لهذا الغرض سموه بالحزب الشيوعى المصرى» .(٤) ٠

وعلى أية حال فقد حوكم رفيق جبور باعتباره عضوا فى سكرتارية اللجنة المركزية للحزب وخلال المحاكمة نسبت اليه كل المقالات التى نشرت

---

(١) الاهرام ١ ــ ٨ ــ ١٩٢٥ ٠

(٢) للمعلومات عن شخصية افيجدور راجع : والتر لاكور ــ الاتحاد السوفيتى والشرق الاوسط ــ ترجمة المكتب التجارى بيروت ــ ١٩٥٩ ، ص ١٥٥ .

(٣) محمود طاهر العربى ــ هذا المجتمع الظالم ــ الطبعة الاولى ــ دار المستقبل ص ١٨٠

(٤) الاخبار ــ ٩ ــ ٩ ــ ١٩٢٥ ٠

في مجلة «الحساب» والموقعة باسم محمد صديق عنتر ٠٠ وكذلك كتيبا سريا موقعا باسم محمد عنتر المصرى ، وحكم عليه بالسجن ،والراجح انه أبعد عن البلاد بعد وفاء مدة العقوبة ٠

وقد شارك فى تحرير «الحساب» أيضاالشاعر محمود رمزى نظيم الذى نشر عديدا من القصائد بعنوان «من الشعر الفلاحى» ووقعها بامضاء فلاح ٠٠ كذلك نشر بعض المقالات السياسية ٠٠ وكان نظيم على علاقة وثيقة بالحزب فى ذلك الحين ٠

ومن محررى «الحساب» أيضا الشيخ شاكر عبد الحليم ، وكان أيضا واحدا من كوادر الحزب ، وكان المتهم السابع فى قرار الاتهام المشار اليه سابقا وذكر فيه انه يبلغ من العمر ٢٦ سنة ـ وانه طالب بالازهر وحكم عليه بالسجن هو الآخر ، وأيضا محمود ابراهيم السمكرى وهو عضو قديم باللجنة المركزية للحزب ٠



وفى ظل السرية الشديدة والمطاردة المتواصلة كانت «الحساب» منبرا علنيا وكانت أيضا مجالا تمارس كوادر الحزب عملا سريا نشيطا فى اطاره ، فالشيخ شاكر عبد الحليم الذى كان مسئولا عن نشاط الحزب فى الوجه البحرى ، كان يستند فى حركته الواسعة عبر قرى ومدن الوجه البحرى الى صفته كوكيل متجول للحساب فى الوجه البحرى ٠ فقد نشرت «الحساب» الاعلان التالى فى العدد ١٨ «من ادارة الجريدة» : انتدبت جريدة (الحساب) حضرة الاستاذ الشيخ شاكر عبد الحليم وكيلا متجولا فى الوجه البحرى وهى ترجو العمال والنقابات وكل من له علاقة بها اعتماده فى كل الشئون الخاصة بها ٠ الادارة ٠ وفى نفس العدد اعلان آخر (وكيلنا فى الاسكندرية : تعلن ادارة جريدة «الحساب» ان وكيلها العام فى الاسكندرية هو حضرة الأديب أحمد افندى حشمت حماد ، وهى ترجو العمال والنقابات وكل من له علاقة معها فى الاسكندرية باعتماد حضرته فى كل أعمال الجريدة) (١) ٠



ولكن الحصول على ترخيص باصدار جريدة ليس بالمسألة السهلة بالنسبة لاى واحد من الكوادر الحزبية ، وتجربة الحزب فى ذلك لم تزل ماثلة فى أذهان كل كوادره عندما طلب ترخيصا باصدار جريدة فرفضت الداخلية، فاستأجر مجلة (الشبيبة) وأصدر منها عددا واحدا ثم أصدرت الداخلية أمرا

---

(١) الحساب ٣ ١٨ ـ ٥ ـ ١٩٢٥ ٠

بأغلاقها .. ثم عاد فطلب ترخيصا من جديد دون جدوى .

وعلى أية حال فقد طلب رفيق جبور ترخيصا من الداخلية لاصدار مجلة ، وقبل منه التأمين ثم عادت وزارة الداخلية فرفضت منحه الترخيص (١) .

ومن ثم فقد كان السبيل الوحيد هو استئجار رخصة جريدة ..

وهكذا استأجر رفيق جبور رخصة جريدة «الحساب» من صاحبها ابراهيم الصيحى .وشخصية (الصيحى) غير معروفة ، لكننا يمكن أن نتلمسها من الاعداد التى أصدرها بنفسه من جريدته قبل أن يؤجرها للحزب .. فشعار الجريدة كان الآية القرآنية «ان الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب» ثم «الحساب صحيفة يومية ، سياسية ، تعنى بنوع أخص بالشئون الداخلية ، وفى صدر الصفحة الاولى من العدد الاول صورة الملك فؤاد وتحتها « جلالة مليكنا المفدى فؤاد الأول » ثم تنبيه بأن « المكاتبات ترسل الى ابراهيم الصيحى ــ صاحب ومدير جريدة « الحساب » الادارة مؤقتا بدرب الجماميز نمر ١٥ة» .

ومن الواضح ان ابراهيم الصيحى قد فشل فى مواصلة اصدار جريدة يومية ، ذلك أنه أصدرها أسبوعية ، ثم توقفت «الحساب» عن الصدور بعد العدد العاشر الصادر فى ٢٣ ديسمبر ١٩٢٤ ، حتى عاودت صدورها على يد رفيق جبور وكوادر الحزب فى ٦ مارس ١٩٢٥ .

كذلك فانه من الراجح ان علاقة الحزب بالحساب لم تبدأ فى هذا التاريخ لان مراجعة الاعداد العشرة التى أصدرها الصيحى توحى بأن الحزب ورفيق جبور بالذات ، كان يمارس نوعا من العلاقة مع الجريدة قبل أن يتولى جبور مسئوليتها بشكل كامل ومباشر .

فمنذ العدد الرابع من الترقيم الاصلى،وهو العدد الذى أصدره ابراهيم الصيحى فى ١١ نوفمبر ١٩٢٤ ، يمكننا أن نلاحظ بسهولة بصمات صحفى قدير مثل رفيق جبور ، كذلك فاننا نلمس بشكل واضح اتجاهاته السياسية .

ولسوف ننشر ــ فيما بعد ــ الى مقالات ثلاث نعتقد أن كاتبها هو رفيق جبور ، الاولى بعنوان «مابشغلنا»وقد نشرت بالعدد٤ (الترقيم الاصلى) ١١ نوفمبر عام ١٩٢٤ ، والثانية بعنوان «الاحزاب والشقاق» (العدد ٩ الصادر فى ١٦ ديسمبر ١٩٢٤) ، أما الثالثة فبعنوان «السياسة اليوم ــ مسئولية الوزراء ــ يوم البرلمان» العدد١٠ الصادرفى ٢٣ ديسمبر ١٩٢٤)٠ وهو آخر عدد صدر تحت مسئولية ابراهيم الصيحى ثم توقفت المجلة بعد ذلك .. ليصدر العدد رقم ١١ فى ٦ مارس ١٩٢٥ تحت اشراف رفيق جبور .

وقد آثرنا أن نؤجل القاء نظرة على هذه المقالات الثلاث لحين الحديث.

---

(١) الحساب ٣ ١٠ ــ ٤ ــ ١٩٢٥ .

بشكل متكامل عن النهج السياسى للمجلة باعتبار انهـــا امتداد أو بالدقة تمهيد للخط السياسى العام الذى رســـمه الحزب للمجلة والذى سنتحدث عنه تفصيلا فيما بعد ..

وقد غير جبور من قطع المجلة فجعله « كوارتر » كما غير شعارها الى « الحساب صحيفة سياسية اجتماعية ، اقتصادية ، يومية . تصدر مؤقتا مرة فى الاسبوع ــ للدفاع عن حقوق العمال والفلاحين» .

واتخذت الجريدة مقرا جديدا لها فى شارع الدواوين رقم ٤٤ . ثم عادت فغيرت مقرها ابتداء من ٨ مايو ١٩٢٥ (العدد ١٧) الى شارع كامل رقم ٩ مقابل فندق شبرد .

وظل اسم ابراهيم الصيحى باعتباره «مدير سياسة الجريدة المسئول». وقد يبدو ذلك غريبا لكن الحقيقه تتكشف عندما تقلب صفحات الحساب فنجد أن رفيق جبور قد طلب من الداخلية الاذن بتولى رئاسة تحرير «الحساب» لكن الداخلية رفضت ومن ثم فقد كان من الضرورى ابقاء اسم «الصيحى» حيث لاتستطيع الصحيفة الصدور بدون اسم رئيس تحرير مسئول .وحول هذا الموضوع نقول (الحساب) :«لم يصدر هذا العدد والعدد الماضى فى موعدهما نظرا لما لاقيناه ونلقاه من رجال الادارة من المعاكسة فقد رفض قلم المطبوعات اعطاء مدير هذه الجريدة رخصة لاصدار جريدته الخاصة بعد أن كان قد سمح له بذلك ، وقبل منه التأمين المعتاد .. ثم حرم قلم المطبوعات على مدير هذه الجريدة وضع اسمه عليها ، انه فى أقل ما يقال فيه انه مثل كثيرين مـــن الذين سمح لهم باصدار الصحف أو بوضـــع أسمائهم على مايشـــاءون منها » (١) .

ومع ذلك فان رفيق جبور يتحدى .. ويتولى مسئولية المجلة .. وفى الوقت الذى يبقى فيه «ابراهيم الصيحى» شكلا ــ على الصفحة الاولى ــ مديرا لسياسة المجلة .. فان المجلة تعلن التنبيه التالى فى صدر الصفحـــه الثانية من العدد ١٣ (الترقيم الاصلى) «من الادارة الى القـــراء : ترجو ادارة جريدة «الحساب» حضرات القراء والمكاتبين ، وكل من له علاقة معها مخاطبة حضرة رفيق جبور (ادارة جريدة «الحساب» بشارع الدواوين رقم ٤٤) فى كل شأن من شئون الجريدة . وجميع المراسلات يجب أن تكون باسمه لا باســـم آخـــر » .

ويتكرر هذا التنبيه فى هامش الصفحة الثامنة من نفس العدد «جميع المراسلات تكون باسم رفيق جبور ، بادارة جريدة «الحساب» بشارع الدواوين رقم ٤٤ القاهرة » .

ويبدو ان ثمة مشكلات معقدة قد اعترضت اصدار العـــدد الاول من المجلة (تحت اشراف رفيق جبور) أى العدد (١١ بالترقيم الاصلى) فقد صدر متأخرا ٣٦ ساعة عن موعده المحدد ، كـــذلك لم تكن هناك مواد كافيـــة أو

---

(١) الحساب ، ١٠ ــ ٤ ــ ١٩٢٥ .

بالدقة حذفت منه مواد كبيرة ولم يتمكن المحررون من كتابة غيرها فلم يجدوا حلا سوى طبع العدد كله ببنط ٢٤ وهو بنط كبير بهدف شغل مساحة الصفحات بأقل عدد ممكن من المقالات • وفي اعتقادنا أن السبب فى ذلك قد يكون ان ابراهيم الصيحى الذى يظل مسئولا من الناحية القانونية عن كل مايصدر بالمجلة ، طالما يضع اسمه عليها كمسئول عن تحريرها قد اعترض في آخر لحظة على بعض المقالات •• وعلى أية حال فان «الحساب» قد اعتذرت لقرائها على الوجه التالى «تصدر جريدتنا «الحساب» صباح يوم الجمعة من كل أسبوع،وقد تأخر صدور هذا العدد الى مساءالسبت لأسباب قاهرة• وقد اضطررنا كذلك الى حذف بعض المواد المهمة منه • وصف أحرفه بحجم ٢٤ وهو حجم كبير سنبدله بأصغر منه كلما اتسع معنا المجال فى المستقبل •

وسبب هذه المسائل التى ماكنا نود أن تحدث هو اصدارنا هذا العدد على عجل ، اذ لم يتفق على اصداره الا مساء يوم الخميس ، فلم نشأ أن نؤخره الى يوم الجمعة المقبل ، وسيرى القراء التحسين باديا بوضوح فى جريدتهم فى كل عدد من الاعداد المقبلة ــ الادارة» (١) •

ومع صدور العدد الاول بدأت مضايقات البوليس •• «وبعدما طبعنا العدد قامت مشكلة أخرى حول السماح للمطبعة بطبع «الحساب» • وبينما كنا نطبع العدد الثانى صادره البوليس وهو على الطابع ونقل اعداده الى القسم حيث حجز ثلاثة أيام تم سلم لمدير «الحساب» ومعظم الاعداد مقطعة فكانت الخسارة مزدوجة • فعسى أن وزارة الداخلية وما يتبعها من الادارات تكف عن معاكستنا وتلتفت الى سوانا لحظة نتمكن فى أثنائها من التنفس بحرية» (٢) •

وهكذا فقدنا العدد الثانى فلم نجد أى نسخة منه ، أما العدد الثالث (١٣ بالترقيم الاصلى) فيبدو أن صدوره قد تعثر طويلا لانه لم يصدر الا فى ١٠ ابريل بينما كان الموعد المفترض لصدوره ٢٠ مارس • لكن المجلة انتظم صدورها بعد ذلك •

ولم تكف وزارة الداخلية مطلقا عن مطاردة «الحساب» ولا حتى للحظة واحدة تتمكن فى أثنائها من التنفس بحرية •• كما كان يتمنى محرروها • ومع ذلك واصلت «الحساب» المسيرة •• تقاوم كى تصدر ، وتصدر كى تقاوم •



ولنحاول الآن أن نتابع كيف واصلت « الحساب » مسيرتها فوق الشوك • •

ولنبدأ بالمقالات الثلاث التى نعتقد أن كاتبها هو رفيق جبور والتى

---

(١) الحساب ، ١٠ ــ ٤ ــ ١٩٢٥ .
(٢) الحساب ، ١٠ ــ ٤ ــ ١٩٢٥ .

نشرت فى الاعداد السابقة على تولى جبور رئاسة تحرير «الحساب» • ونعتقد أن هذه المقالات تنسجم مع موقف الحزب تجاه قضية هامة فى الموقف من حزب الوفد •

. والمقال الاول «مايشغلنا» كتب قبيل استقالة سعد على أثر مقتل السردار وجاء فيه «مالت كفة المعارضة عندنا للبحث عن الشئون الخارجية وتصوير ضعف سعد فى محادثاته أمام بريطانيا ، بعد أن أعلن دولته الرجوع لنظرية استقلال مصر فى عقر مصر (التى هى نظريتنا) فعلت الاصوات واشتدت الضوضاء من أجل اهمال السياسة الخارجية مؤقتا • نحن لانلوم معارضا على معارضته فللجميع آراؤهم • ونحن نطرب للمعارضة فى حدود المصلحة البريئة ، ونحييها مادامت شريفة لايدنسها غرض ولا يشوبها سوء النيـة »•

لكن المقال لايكتفى بتأييد سعد بل هو ينتقده أيضا •• بل هو يلمح الى خطأ سعد فى توجيهه الضربات للحزب فيقول : «ولقد عارضنا سعدا فى تصرفاته يوم أن افتتح جهاده فى داخلية البلاد بما افتتحه • وقلنا له خير من هذا أن تلئم شمل قومك ، وتعرف متى يومك،وعارضنا الوفد على سكوته أمام حوادث السودان ، والتزام الصمت ، فليس الصمت فى مثل هذا الظرف لغة لامة» •

•• ويمضى المقال «عارضنا ومازلنا نعارض فى كل عمـل لايتفق مـع المصلحة التى عاهدنا النفس على احترامها والفناء فيها • ولكننا لانرى من المصلحة أن نقابل سعدا بألفاظ السخرية والتشفى على مسمع من العـدو الرابض فى منزلك مما يضر بقضيتنا •• وذلك مايريده أعداؤنا» (١) •

وهكذا فان أسابيع قليلة لم تكن قد مضت على الاحكام القاسية التى أصدرتها محكمة جنايات الاسكندرية ضدقادة الحزب ، ومع ذلك فان الحزب كان قادرا على أن ينتهج سياسة موضوعية تماما تجاه الوفد وزعيمه •

ويستقيل سعد •• وتبدأ معارك كلامية حامية على صفحات الجرائد، بينما يواصل الانجليز انتهاكهم الصارخ لاستقلال مصر •• ويدعو الحزب الى نبذ الخلافات والى توحيد الصفوف الوطنية كلها ضد الاستعمار ، لكن الدعوة للوحدة تأتى من باب النقد المر والعنيف والتهكم الصارخ على المتاجرة بالكلمات •• وتحت عنوان «الاحزاب والشقاق» كتبت «الحساب» تقـول : «لانعرف ولا المنجم يعرف ماهى مهمة الاحزاب فى مصر ! ولا الى أية ناحية يقصد أعضاؤها ! انها لحيرة كبيرة •• نعـرف مصر كثيرة الجمعيات كثيرة الهيئات ، ثم نستعرض برامج أحزاب مصر ، وهيئات مصر ، وجمعيات مصر فنجد العجب العجاب ! نجد كل هيئة فتشت فى حال البلد تفتيشا دقيقا فعرفت مواضع الضعف فيها وجعلت اصلاحها أول مقاصـدها وصـدر برنامجها ! الا أننا مع الاسف نبحث عن العمل ونتحدث عن التنفيذ فلا نجد

---

(١) ـ الحساب ، ١١ ـ ١١ ـ ١٩٢٤ •

له أثرا ولا خبرا ، كأنما تلك البرامج انما جعلت أحابيل وشباك لكسب الجمهور » .

وختام المقال «والآن فقد خسرنا كل شيء تقريبا ، ولم يبق أمامنا غير خيط من خيوط الرجاء ، وهو خيط ايمان الشعب بحقوقه وتقديسه لبلاده، ولايزال زعماء الاحزاب ولاتزال صحف الاحزاب تشن الغارات بعضها على بعض ويكدح كتابها ويجهدون قرائحهم في التبارى في السب والشتم والنقد البارد ، وكل واحد يتكلم باسم الامه ، ويدعى المحافظة على حقوق الامة ، وأغرب من كل هذا أن يكون هذا لسان الصحف في الوقت الذى يدعو فيه بعض عضاء الاحزاب للاتحاد» (١) .

والحقيقة ان الموقف تجاه حزب الوفد كان بالغ التعقيد ، بل كان يتعين عليه أن يكون كذلك ، فسعد زعيم وطنى ما في ذلك شك ، وكان يتعرض لهجمات الاحتلال والسراى وأعوان الاحتلال والسراى ، لكن للوفد ولسعد نفسه أخطاء كثيرة — من وجهة نظر الحزب على الاقل — وهكذا كتبوا يقولون: «لم يخطر ببالنا أن نعيد على أذهان النواب حديث مسئولية الوزراء ، وأن نطالبهم بعقد محكمة لمحاسبه من ضحوا بمصلحة الامة في عهد دستورها ، وفي عهد أول نواب دستوريين من أبنائها ، لم نشأ ذلك ، ولم نشأ أن نثير حديثه ، لان مصر كما قدمنا عجيبة في تكوينها ونظامها .. فحديث مسئولية الوزراء الذى كان يلذ للكاتب أن يكتب فيه أمس ويلذ للنواب أن يسمعوه في ابان عهد وزارة زغلول باشا ، أصبح اليوم ممقوتا عندنا ، وثقيلا على الآذان لان المسئولية القضائية ، ولان المحكمة النيابية اذا وجدت بالفعل فلابد أن تتناول سعدا كغيره بتهمة التقصير في الواجب الوطنى المقدس ، لانه كغيره لم يسلم من التقصير » (٢) .

وفي نفس الوقت تنشر «الحساب» تعليقا قصيرا بعنوان «هنيئا للورد» يقول «قامت اليوم حرب بين صحف الوفد وصحف المعارضة حول الزيارات الخفية التى كثر التحدث عنها اليوم ، فصحف المعارضة تقول ان الوفد أرسل رسله خفية لترضية اللورد اللنبى ، على أن يعود الوفد للحكم بشرط أن يسلم البضاعة ، وصحف الوفد تقول ان الدستوريين والوطنيين هم الذين تحالفوا على تسليم البضاعة نكاية في الوفد . وسواء صحت الدعوى الاولى أو الثانية فالبضاعة مسلمة لا محالة، ولهذا فلانجد من نهنئه بذلك غير فخامة اللورد» (٢) .

والشعر العامى يستخدم أيضا لتأكيد نفس الخط السياسى . وعندما يذهب برلمان الوفد وتبدأ الانتخابات لبرلمان جديد تنشر «الحساب» قصيدة بعنوان «بين البرلمانيين» بتوقيع فلاح .. والمعتقد أن صاحبها هو الشاعر

---

(١) الحساب ، ١٦ — ١٢ — ١٩٢٤ .

(٢) — الحساب ، ٢٣ — ١٢ — ١٩٢٤ .

(٣) — المرجع السابق .

محمود رمزى نظيم ، الذى كان الوحيد من القادرين على ابداع مثل هذا المستوى الفنى وله علاقة مباشرة بالحزب ..

ونقول القصيدة .. (١) .

دوشتونى ولا شىء جديد   فلا غلب ولا حال سعيد
جمستى شركة العمدةوجحنى   بتاع الشيخ والغفرا شهود
وزعبوطى المقطع من زمان   هوالزعبوط والزفت العتيد

ثم يوجه كلامه لنواب الوفد قائلا:

أدى حلتى مطينة تبكى   فايه اللى عملتوه يفيد
خششتوا البرلمانفكانحربا   على كمقرش يأخذهاالعميد
خنقتونا وزدتوها هبابا   على الفلاح هل هذا حميد ؟



ودنتم قد وقعتم تحت ايدنا   وللايام تصريف مجيد
وأنتم يا جداد اذا انتخبتم   فماذا تعملوا؟ ماذا تريدو
شفونا يا خلايق احنا منكم   ومن مصر وماحناش هنود .

ويبدو أن هذا الحديث المستمر عن الاحزاب البرجوازية والاقطاعية وعن فشلها فى التعبير عن ارادة الشعب أو تحقيق مطالبه كان تمهيدا لابد منه لاثارة قضية أكثر أهمية ، هى قضية الحاجة الماسة الى تأسيس حزب للطبقة العاملة .

واذا مابدأت «الحساب» معالجة موضوع كهذا ، فقد كان يتعين عليها أن تبدأه بحذر شديد ، — وكالعادة — يبدأ الامر بنشر رسالة يقال انهاوردت من قارىء اسمه «محمد صديق عنتر» (وقد اتهمت النيابة رفيق جبور بأنه كاتب هذا الخطاب (٢) . وتقول هذه الرسالة « ان جهودنا ستبقى ناقصة وغير متمرة مادام لايوجد حزب يتدرج ويقوى مع الزمن ويستلم بيديه الحديديتين حقوق ومطالب العمال .. »

وترد «الحساب» بسلسلة من المقالات كتبها رفيق جبور . . وكان لابد فى هذه المقالات من الاشارة الى دور الوفد وعجزه عن تمثيل ارادة ومصالح جماهير العمال والفلاحين .

« .. ان زعماء الحركة الوطنية أنفسهم ، لميحسنوا التصرف عندما هبت هذه الامة النشيطة مطالبة بحقوقها ، مدافعة عن استقلالها وحريتها ، فهم اغتنموا فرصة نهوضها ليضعوا أنفسهم فى مقدمة الصفوف وعلى رأس القيادة ، ولكن أين الخطط التى وضعوها لاستمرار الجهاد والتقدم شيئا فشيئا فى سبيل الغاية القصوى وهى الاستقلال التام ؟.. أين ماوعدوا به الفلاح الذى حمل عبء النهضة المصرية على كتفيه القويتين ، وأين وعودهم

---

(١) الحساب ، ٦ — ٣ — ١٩٢٥ .

(٢) كذلكاتهم رفيق جبور بترجمة « كتاب فى الشيوعية » باسم محمد عنتر المصرى « الاهرام » ١٧ — ٦ — ١٩٢٥ نقلا عن تحقيقات النيابة العامة .

للعامل الذى قذف بنفسه فى أتون ثورة ١٩١٩ فالتهمته نيرانها ٠٠ ؟ »

وتمضى «الحساب» قائلة «ولولا جبن الوفد وخوفه ،ولولا معرفة الانجليز بجبنه وخوفه لما تجاسروا قط بل لما فكروا قط بامتهان حقوق مصر ، بعدما وجفوا من عملها المدمر عام ١٩١٩ » (١) ٠

لكن ماذا كان الهدف الاساسى الذى حددته «الحساب» لنفسها ؟

نعتقد أن الهدف الاول كان تأكيد اهمية تواجد حزب يمثل الطبقة العاملة المصرية ، وحق العمال فى أن يمارسوا نشاطهم الطبقى من خلال حزب يملى ارادتهم ٠

وفى افتتاحية العدد الاول (١١ بالترقيم الاصلى) تتحدث «الحساب » عن الطبقة العاملة قائلة « لاجل الطبقة العاملة من فلاحين وعمال أنشأنا هذه الصحيفة ، لاجل اسماع السلطات الحاكمة وباقى الطبقات فى مصر صوت هذه الطبقة البائسة المظلومة ، أقدمنا على هذا العمل الشاق الذى طالما عجلت النفس الى خوض أمواجه المتلاطمة فصدتها العقبات والموانع ، فاقدمت تارة بضع خطوات الى لامام ، وتراجعت طورا الى الوراء بضع خطوات ٠٠ ٠ ان الطبقة العاملة فى مصر هى أكثر الطبقات عددا وبؤسا وشقاء ، وأقلها نصيبا من اعتناء الحكومة والعمل على رفع مستواها وازالة المظالم عنها» ٠

ثم تمضى (الحساب) فى دراسة ممتعة للطبقات فى مصر والظروف الاجتماعية التى تعيشها كل منها ٠٠ مدافعه فى ذلك كله عن الفقراء مركزة

هجومها على الاغنياء وعلى أصحاب الاعمال الذين لو أن الواحد منهم « طحن الذهب وعجنه بدل الدقيق ، وأكله خبزا ابريزا لما تمكن أن يأكل هو وآله وأقاربه وخدمه وحشمه ورفيقاته وسراريه عشر دخله اليومى ٠٠ »

ومنذ البداية فان (الحساب) لاتخفى وجهها ، بل هى تلمح فى المقال الافتتاحى الى انها امتداد لنضال حزبى قديم « ٠٠ كنا ممن اندمج فى حركة العمال منذ تجدد نهضتهم الى الآن ، وجاهدنا معهم وتمشينا واياهم درجة درجة فاختبرناهم واختبرونا » ٠

وأيضا تؤكد (الحساب) « ستخصص جريدتنا هذه لمجرد خدمة العمال لتكون (صوت العمال) فلايسمع من على صفحاتها صوت آخر ، ولاتخدم هيئة غير هيئاتهم ، ولا شخصا غير أشخاصهم وأشخاص الذين يعطفون عليهم ويسعون فى منفعتهم وفى سبيل الوصول الى حقوقهم ٠٠ » (٢) ٠

ومع خط التأكيد على ضرورة قيام حزب سياسى للطبقة العاملة المصرية٠

---

(١) الحساب ، ٨ — ٥ — ١٩٢٥ ٠
(٢) الحساب ، ٦ — ٣ — ١٩٢٥ ٠

يمضي عبر أعداد المجلة خط آخر هو تقديم خبرة العمل النقابي للعمال المصريين ، فعبر اعداد «الحساب» كانت تمضي سلسلة مقالات حول حزب الطبقة العاملة ٠٠ وسلسلة أخرى بعنوان «كيف يجب أن تكون نقاباتنا» وهي تتحدث تفصيلا عن النقابات ودورها كمنابر نضالية للطبقة العاملة ، وكيفية تأسيسها وممارسة العمل النقابي ، وأساليب ادارته بما فى ذلك تبسيط للاجراءات الادارية والمالية والقانونية الواجب اتباعها ٠

وبين هذين الخطين الرئيسيين تمضي (الحساب) لتدافع فى كل سطر من أسطرها عن حقوق العمال والفلاحين ، وخاصة حقهم في المشاركة النشيطة في المعركة الانتخابية التى كانت تجرى فى ذلك الحين لانتخاب برلمان جديد ٠

وهي تنشر «بيان لجنة الدفاع عن حقوق العمال والفلاحين» وهو برنامج مرحلي تقدم به الحزب للمرشحين والناخبين ٠٠ وهي توجه نداءها فى نهاية البرنامج الى الفلاحين والعمال قائلة «لاتعطوا أصواتكم لأى شخص لايقبل هذا البرنامج ويعد بتنفيذه» (١) ٠

وعندما تضع الحكومة العقبات أمام مشاركة العمال والفلاحين في الانتخاب في محاولة لقصر منح حق الانتخاب على دافعى الضرائب العقارية وحملة الشهادات تنشر «الحساب» التعليق التالى موقعا باسم رفيق جبور «الوزارات تريد ٩٠٠٫٠٠٠ جنيه من أموال العمال والفلاحين لزيادة مرتبات كبار موظفيها ، ثم تفكر الحكومة فى حرمان الطبقة العاملة من الانتخاب ٠٠» ويقول التعليق « قد يظن اننا مبالغون ٠ اذا قلنا ان الخفير اذا فتل وهو يقوم بوظيفته فى الدفاع عن الارواح والامن العام لا تجد الحكومة لديها مائة قرش كل شهر تدفعها معاشا لأرملته أو — أرملاته — ولأولاده العديدين ، ولكنها تجد فى كل ساعة ودقيقة ١٢٠٠ جنيه معاشا لأحد كبار موظفيها متى أراد سعادته أو معاليه أن يتقاعد عن العمل ٠

والآن تريد الحكومة ٩٠٠٫٠٠٠ جنيه لتزيد مرتبات حضرات كبار الموظفين زيادة أخرى ٠٠ ثم تفكر الوزارة بسن قانون انتخاب جديد يحرم الطبقة العاملة من حق الانتخاب ، هذا الحق المقدس لاتوجد حكومة دستورية فى العالم يمكنها أن تفكر بحرمان دافع الضرائب منه ، والطبقة العاملة فى مصر ٩٥ بالمئة من مجموع السكان ، وكل الضرائب تجبى من عرق جبين الفلاح وثمرة انتاج يمين العامل والفلاح المسكين» (٢) ٠

وشعرا تشن (الحساب) — أيضا — حملتها دفاعا عن حقوق العمال والفلاحين فى الانتخاب ٠٠ وفى قصيدة رائعة من اشعر محمود رمزى نظيم

---

(١) راجع النص الكامل للبرنامج ، د .رفعت السعيد — اليسار المصرى ١٩٢٥ — ١٩٢٠ ، دار الطليعة ، بيروت ، الطبعة الثانية — ص ١٧٦ ٠

(٢) الحساب ، ١٧ — ٤ — ١٩٢٥ ٠

تدعو (الحساب) الفلاحين الى (لم عزالهم) والهجرة من مصر :

« وسيبوا مصر للملاك تسكنها — يجندوا جيشها من خير شجعان
وسيبوا النيل للاسياد نحرسه — وقت العلو وقد أضحى كطوفان
ودوروا لنا على العمال اخوتنا — م اسكندرية لدمياط لاصوان
يسيبوا الشغل للملاك تعمله — فيصبحوا بين نجار وسنان
وساعدوهم على لم العزال ونا — سايق حميركم وحاطط ديلي فسناني

والشاعر يدعو العمال والفلاحين الى ترك مصر للاغنياء طالما انهم وحدهم أصحاب الحقوق فيها .. وطالما انهم يريدون حرمان العمال والفلاحين حتى من حق الانتخاب ثم يقول :

يكفى بقى غلبنا يكفى فضيحتنا — واللى جرى ينكتب فى كل جرنان
قال يتركونا وعن صحة سلامتنا — لايسألوا فى انتخب جاى من تانى
والاغنيا بس مندوبون ينتخبوا — للبرلمان فهم أرباب سلطان
والحاملين شهادات مقلوظة — كالاغنياء فهم أصحاب عرفان
سبعة وتسعين فى الميه مكممة — عن الكلام وان كانوا كسحبان
أما التلاته فى الميه فانهموا — أهل الرياسة فى أنس وفى جان
فان يقولو فمصر كلها نطقت — ومن بمصر سواهم غير جدعان »(١)

ولسنا نريد أن نطيل فى استعراض مقالات وكتابات «الحساب» فليس هذا هو هدفنا الاساسى ، لكننا فقط نريد أن نشير الى مقال هام .. حددت فيه «الحساب» — وربما كانت أول من تنبه الى ذلك — موقفا واضحا من المشكلة الفلسطينية ، ومن زحف الصهيونية على فلسطين ، فهى تنشر مقالا بعنوان « بلفور يزور ضحيته وفلسطين تقابله بالاضراب العام » (٢) .

والمقال هجوم على الصهيونية وعلى محاولتها لاغتصاب فلسطين من أصحابها . وتصف بلفور بأنه «صاحب التصريح المشهور الذى أصدره باسم الحكومة الانجليزية .. والذى بموجبه أعطت فلسطين لليهود والصهيونية رغم ارادة سكانها وضد كل شرع وعرف وقانون» وتقول «انه عندما زار بلفور فلسطين فى أول ابريل ١٩٢٥ بدعوة من الجامعة العبرية قابله السكان فى كل مكان حل فيه بجميع الوسائل التى تعبر عن سخطهم وغضبهم واشمئزازهم من زيارته التى تشبه زيارة القاتل لآل القتيل ، والمعتدى لضحيته » .

وتختتم «الحساب» مقالها «اننا نحيى هذه النهضة البديعة فى فلسطين،

---

(١) الحساب ، ١٨ — ٥ — ١٩٢٥ .
(٢) المرجع السابق .

ونأمل أن يواظب الفلسطينيون الكرام على أمجادهم وجهادهم فى سبيل استقلال بلادهم ، وهم كمظلومين مرهقين عليهم أن يضعوا أيديهم فى أيدى كل طبقة من طبقات العمال فى أى بلد من البلدان ، فالطبقة العاملة مظلومة فى كل مكان وكل مظلوم للمظلوم نسيب» .

وتمضى «الحساب» سائرة على الشوك .. متعرضة للاضطهاد والمطاردة، لكنها تواصل اصرارها العنيد على ضرورة الاعتراف بحق العمال والفلاحين فى تأسيس حزبهم السياسى مؤكده «ان العمود الفقرى للحزب ودماغه المفكر وقلبه النابض يجب أن يكون من العمال ، وعلى قانون الحزب الاحتياط الشديد لعدم تمكين بعض أفراد الطبقات الاخرى التى تندمج فى الحزب من السيطرة عليه والتلاعب بمصالحه بل يجب أن يكون الحزب حزب عمال للعمال ومن العمال ، أما من ينضم اليه من أبناء الطبقات الغريبة عن الطبقة العاملة فيجب أن يبقى دائما تابعا للحزب الى حد ما ، لكن على كل حال يجب أن تكون وتبقى السيطرة فى الحزب للعمال وحدهم .

ماهى مرامى الحزب وأغراضه ؟

ماهى مبادئه وما هو برنامجه ؟

هذا ما سنتكلم عنه فى العدد التالى » (١) .

لكنه لم يكن هناك عدد تال، فقد أسكت الارهاب صوت مجلة «الحساب» بتحريض سافر - أو بالدقة - بأوامر سافرة من سلطات الاحتلال .

فبعد ان نشرت «الديلى ميل» تقول «حدثت ضجة عظيمة من جراء عصبة شيوعية كبيرة فى مصر» .

ونشرت «الديلى كرونيكل» تلغرافيا لمراسلها فى القاهرة قال فيه : «قامت الدلائل على وجود مؤامرة بلشفية واسعة النطاق لتدبير ثورة شيوعية فى مصر تكون جزءا من مشروع يرمى الى اثارة افريقيا كلها فى وجه الدول الاستعمارية» (٢) .

بعد ذلك التحريض السافر كان لابد من القبض على هؤلاء الرجال الشجعان الذين تحدوا الشوك وساروا فوقه .

وبعد رحلة شاقة لم تستغرق سوى تسعة اسابيع فقط صدر خلالها ثمانية اعداد توقفت « الحساب » عن الصدور فقد سجن رئيس تحريرها ومحرروها ومندوبوها بالاقاليم .

---

(١) الحساب ، ١٨ - ٥ - ١٩٢٥ .

(٢) نقلا عن الاهرام ، ٣ - ٦ - ١٩٢٥ .

الجمعة ١٤ فبراير سنة ١٩٣٠ ثمن النسخة خمسة مليمات ـ
السنة الاولى
ـ العدد ١ ـ
الاشتراكات ٢٥٠ مليما عن سنة داخل القطر
الادارة : ٨١ شارع محمد علي بمصر

روح العصر
جريدة اشتراكية سياسية اسبوعية

في هذا العدد

المطبعة الاهلية الكبرى بشارع محمد علي بمصر

٠٠ ولم تكن «روح العصر» مجرد جريدة او مجلة تتحدث عن الاشتراكية بل كانت فى الاســاس محاولة لتأكيد نظرية نادى بها أحد كوادر الحزب ٠ تدعو الى التمسك بالعلنية ، على اساس ان الحزب ظل بعيــدا عن المطاردة طالما كان «اشتراكيا» وليس « شـــيوعيا » ، وطالما تباعد عن اية عــلاقة بالكومنترن ٠

ومحمود حسنى العرابى صاحب هذه النظرية ، حاول جاهدا ان يضع افكاره موضع التطبيق ، وانسحب من الحزب الذى كان يوما ما اول سكرتير عام له ، وخاض ميدان العلنية ٠

وفى خطة مبيتة فتحت له كل الصحف صدرها ليكتب آراء «مخففة » وليست «حمراء تماما» ، وليتحدث عن الاشتراكية «بمرونة» و «اعتدال» ٠

وكانت المصيدة معدة باحـكام ففى وقت واحد كانت مقالات العــرابى تظهر فى «الهلال» و «الحياة الجديدة» و«الرقيب» وحتى «المقتطف» (١) ٠

ولم تكن الكتابة فى الصحف لتنوير الاذهان وشرح المبادىء الاشتراكية المعتدلة هى كل اهداف الرجل ٠

فعلى اثر انسحابه من الحزب تتلقى الصحف بيانا موقعا باسم «اللجنة التحضيرية للحزب الاشتراكى المصرى » والسكرتير هو (عصام الدين ناصف) صديق العرابى وزميله فى موكب العلنية ٠ ولقد كان العرابى وناصف على علاقات وثيقة فى هذه الفترة ٠٠ ثم كتمت أنفاس المحاولة وأشبعتها الصحف هجوما وتهكما ووصفت « كوكب الشرق » هذا الحزب بأنه « حزب البقلة الحمراء » وأنه « لم يسمع به أحد ونبت نبتا شيطانيا » (٢) ٠

ثم انضم الى الموكب د ٠ عبد الفتاح القاضى ـ طبيب أطفال ـ تعلم فى جامعات ألمانيا ، واجتذبته هنـــاك رياح الفكر الاشتراكى فانتقلت به من

---

(١) الهلال عددا يوليو واغسطس ١٩٢٧ ؛ الحياة الجـــديدة ١٨ ـ ١ ١٩٢٨ و ١٥ ١ ـ ٨ ـ ١٩٢٨ و ٢٩ ـ ١ ـ ١٩٢٨ ، والرقيب ١٩ ـ ٢ ـ ١٩٢٨ ؛ والمقتطف مارس ١٩٢٩ ٠

(٢) كوكب الشرق ٣ ٨ ـ ١ ـ ١٩٢٧ ٠

موقع «عضو الحزب الوطنى الشديد العداء للانجليز» او موقع «الاشتراكى فكرا » ثم « موقع الاشتراكى عملا » كما قال هو نفسه ٠

و «عملت كطبيب أطفال وأحسست بحقيقة الفقر وبشاعتـه ، كنت أقول للأم اشترى دواء لطفلك او غذاء لطفلك وأشعر انها لاتملك قرشا ٠٠ واقتنعت انه لافائدة من الطب ولا فائدة من أى مجهود يبذل الا اذا تغير المجتمع ٠ وأدركت ان الواجب الأساسى للانسان هو العمل لبناء الاشتراكية » (١) ٠

وكان هناك شخصان في الانتظار العرابى وناصف ، أضناهما السعى الى ميدان العمل القانونى ، فأغلقت الصحف بابها في وجهيهما ، ثم فشلت محاولة تاسيس حزب علنى باسم الحزب الاشتراكى المصرى ٠٠ على أساس انه حزب اشتراكى وليس شيوعى فقد كانت حمى العداء للشيوعية شاملة وكاسحة الى حد رفض حتى الاتجاهات الاصلاحية والمعتدلة ٠٠ ولم يعـد أمامهما لمواصلة السعى فى طريق الدعوة القانونية الاشتراكية سوى اصدار مجـلة ٠٠

يقول ناصف «وبعد ذلك فى سنة ١٩٣٠ كان لى صديق هو د٠عبدالفتاح القاضى واجتمعنا نحن الثلاثة لاصدار مجلة ٠ وأنا كنت معروف انى شيوعى، وكذلك حسنى العرابى ولا يمكن منحنا رخصة للمجلة ، ولهذا طلبنا الرخصة باسم د ٠ عبد الفتاح القاضى» (٢) ٠

ويقول القاضى : «عندما اتصل بى عصام الدين حفنى ناصف وعرفنى بحسنى العرابى وعرض على فكرة اصدار جريدة اشتراكية سياسية أسبوعية صادف ذلك هوى فى نفسى» (٢) ٠

وهكذا أمكن ايجاد حل للمشكلة المستعصية التى كانت تواجه الصحافة اليسارية أو أية صحافة للرأى فى مصر ٠٠ وهى الحصول على ترخيص ٠

فقد حصلت المجموعة على ترخيص باسم د ٠ القـاضى الوحيد من بين الثلاثة الذى لم تكن أضواء البحث البوليسى مسلطة عليه بصورة أساسية ٠

وبدأت الاستعدادات لاصدار المجلة ٠

« وجعلت عيادتى بشارع محمد على ، بعد اجـزاخانة راتب والبيت موجود حتى الآن ــ دارا للجريدة ، وألقيت اليها بكـل ماأملك مـن نقود ، وكذلك حسنى العرابى وعصام» (٤) ٠



---

(١) راجع النص الكامل لمحضر النقاش معه ــ د . رفعت السعيد ــ تاريخ الحركـة الاشتراكية في مصر ــ الجزء الاول ــ دار الفارابى ــ ص ٢٧٠ .

(٢) راجع النص الكامل لمحضر النقاش معه ــ المرجع السابق . ص ٢٧٧ .

(٣) المرجع السابق ص ٣٧٤ .

(٤) المرجع السابق ص ٣٧٤ .

وبدأت المعركة .. معركة اصدار مجلة اشتراكية فى أحلك أعـــوام تاريخ مصر الحديث عام ١٩٣٠ ، حيث تسلط عـلى مقاعـد الحكم فى مصر الطاغية اسماعيل صدقى فارضا جوا من الارهاب الخانق ، ضد أى خصوم، فما بالك بخصوم ينادون بالاشتراكية . حتى ولو كانت معتدلة .

ويجتمع حول « روح العصر » أفراد ممن انسحبوا من الحزب الشيوعى مع حسنى العرابى سالكين معه طريق الـكفاح القانونى ، أهمهم « الهامى أمين» وكان موظفا بالسكة الحديد ثم فصل بسبب نشاطه الشيوعى،والتصق بحسنى العرابى وجمع مقالاته وأصدرها فى كتيب بعنوان:«مقالات العرابى» كتب فى مقدمته «أعتقد عن يقين أن من أبلغ ، وأقوى،وأمتن ماكتب بالعربية فى تقويض الرجعية ونشر الثقافة الحديثة ، ورفع لواء التجديد سواء أكان ذلك فى الادب ، أم الاجتماع . أم التاريخ . أم الاقتصـــاد ماكتبه صديقى الاستاذ محمود حسنى العرابى ، ولا أكون مغـرقا اذا قلت ان غـير محمود حسنى العرابى فى مصر لايقوى على صرخته الجريئة» (١) .

وفى روح العصر كان الهامى أمين مدير الادارة .

وحول «روح العصر» تجمع أيضا عدد من النقابيين المرموقين أمثال «سيد قنديل» الذى كان متحمسا لفكرة المجلة الى حد انه كان يحرر فيها نثرا وشعرا عاميا ويوجه على صفحاتها نداءات حارة للعمال ثم «يحمل الاعداد على كتفه ليوزعها بنفسه» (٢) .

ومنذ البداية كانت المشكلة التى تواجه المجلة هى مشكلة التوزيع.. فقد وضعت نفسها كعادة كل المجلات فى زمنها بين فكى متعهد توزيع الصحف «على الفهلوى» وتضطر روح العصر الى تملق «الفهلوى» معلنة على صـــفحات عددها الاول ان متعهد توزيعها هو (حضرة الفاضل المعلم على الفهلوى متعهد عموم الجرائد والمجلات الاسبوعية بالقطر) .

« .. وتآمر ضـــدنا متعهد توزيع الجرائد فكـان يخـــزن الاعـداد ولا يوزعها » (٣) .

واضطرت المجلة الى أن تشن فى اعدادها الاخيرة حملة عنيفة على الفهلوى متهمة اياه بأنه يمالىء البوليس ويمتنع عن توزيع نسخها .. وتطالب محافظ القاهرة بالتدخل لمنع تسلط هذا «المعلم» على عملية توزيع الصحف .

لكن «روح العصر» تجد من يصل بهـــا الى قرائها ، طلابا ومناضلين

---

(١) محمود حسنى العربى ــ مقالات العربى ــ عنى بجمعها وترتيبها ونشرها الهـــامى امين . المطبعة الاميرية الكبرى ــ ص ٢ .

(٢) د. رفعت السعيد ، تاريخ الحركة الاشتراكية فى مصر ــ المرجع السابق ص ٢٧٧

(٣) د . رفعت السعيد ــ عصام الدين حنفى ناصف ــ سلسلة طلائع الفكر الاشتراكى ، دار الثقافة الجديدة ــ ص ٨٤ .

نقابيين التفوا حولها وكانوا يقومون بتوزيعها بأنفسهم .



ولم تكن مشكلة التوزيع هي المشكلة الوحيدة .

فقد كانت هناك مشكلات سياسية أساسية .

يقول القاضي « كان همنا أنا وحسني العرابي ألا نعطي لاسماعيل صدقي حجة قانونية لاغلاق المجلة ، كان هدفنا ان تستمر المجلة أطول مدة مدة ممكنة ، أما عصام ناصف فقد كان متطرفا وكان رأيه ان نهاجم ونستفز اسماعيل صدقي» (١) .

كذلك فان فتح الباب أمام المنهج القانوني كان بغير حدود من جانب البعض على الاقل ، بحيث انحرفت المجلة في بعض مانشرته من مقالات عن المنهج الذي يقبله أشد الاشتراكيين اعتدالا واصلاحية .. ففي العدد الثالث تنشر مقالا لاحمد المصري بعنوان «اشتراكية الدولة — حكومة مصر تسير على نظام اشتراكي» (٢) . ولنفس الكاتب مقال آخر بعنوان «محمد علي باشا يطبق النظام الاشتراكي في مصر» (٣) .

وفي العدد الرابع تنشر فصلا عن كتاب «الحركة الاشتراكية» لرامزي ماكدونلد تعريب الاستاذ العرابي والفصل بعنوان «الفوضوية والشيوعية ليست من الاشتراكية» (٤) .

ولكننا وفي نفس الوقت نجد دراسات ماركسية ذات مستوى رفيع، مثل العرض الذي قدمه د . القاضي لتاريخ مشاهير الاشتراكيين ، ودراسة للدكتور القاضي أيضا عن المذاهب الاشتراكية (٥) ، ومقالات لعصام الدين حفني ناصف والتي استهلها بمقال بالغ الاهمية نشره في العدد الاول بعنوان «ما هي الاشتراكية» (٦) والترجمة التي نشرها د.القاضي لكتاب كارل ماركس (العمل المأجور ورأس المال) وكتابات ماركس عن المادية التاريخية وغيرها من الكتابات الاخرى . ثم ذلك العدد التاريخي الذي صدر بمناسبة عيد أول مايو ١٩٣٠ وهو العدد ١٢ ففي صدر الصفحة الاولى من المجلة شعار (ياعمال العالم اتحدوا — ليحيا أول مايو) ثم صورة كبيرة لكارل ماركس وتحتها العبارة التالية «رأينا أن نحلي صدر هذا العدد في هذا اليوم العظيم بصورة أبي الاشتراكية العلمية كارل ماركس وهي أول صورة تنشر لمعلمنا الاكبر

---

(١) د. رفعت السعيد تاريخ الحركة الاشتراكية في مصر- المرجع السابق-ص٣٧٤

(٢) روح العصر ، ٢٨ — ٢ — ١٩٣٠ .

(٣) روح العصر ، ١٤ — ٣ — ١٩٣٠ .

(٤) روح العصر ، ٧ — ٣ — ١٩٣٠ .

(٥) روح العصر ، ١١ — ٤ — ١٩٣٠ .

(٦) روح العصر ، ١٤ — ٢ — ١٩٣٠

فى مصر»(١) والنوقيع «ح» وهو توقيع مستعار لحسنى العرابى ٠
واذا كان القـول بأن هذه هي المرة الاولى التى تنشر فيهـا صـــورة كارل ماركس فى مصر ـ ليس دقيقا تماما ، فان الاشارة الى أنكارلماركس هو «معلمنا الاكبر» كانت تمثل نقله كبيرة في الافكار المعلنة «لروح العصر» ٠
والعدد١٢ ليس تاريخيا لهذا السبب فحسب ،وانما لانه شهد محاولة جديدة لتحويل «روح العصر» من مجرد مجلة ٠٠ او منبر اشتراكى الىتنظيم اشـــتراكى ٠
ففى الصفحة السابعة من هذا العدد ينشر نداء بعنوان : « نداءالعمال المصريين الى رفاقهم الاوربيين» جاء فيه «تتوجه طليعة الطبقة المصرية العاملة الى رفاقها الاوربيين بمناسبة أول مايو على لسان «روح العصر» (الجـريدة الاشتراكية الوحيدة فى الشرق) بهذا البيان :
١ ـ نعلن تضامننا مع رفاقنا الاوربيين فى جهادهم ضد الرأسمالية الدولية ٠
٢ ـ نلفت نظر رفاقنا الى آلام واستعباد الجماعات العاملة فى الشرق بواسطة الاوروبيين ٠ ولذا فنحن عمـال الشرق ننتظر من روح التضـامن التى تسود رفاقنا الاوروبيين أن تدفع بهم الى تلبية نداءنا بايجاد صـلات صداقة وعطف بيننا وبينهم » (٢) ٠

واذا كان البيان يمثل فى ذاتهنقطة تحول هامة فى منهج «روحالعصر» ـ (الجريدة الاشتراكية الوحيدة فى الشرق) كما صمم أصحابها على وصفها من حيث التوجه لايجاد صلات «أممية» مع عمال أوروبا ومن حيثاستخدامها للفظ «رفاقنا» ومن حيث ابرازها أهمية الوحدة فى المعركة ضد «الرأسمالية الدولية» ٠٠ فان الشيء الاكثر أهمية هو أنالبيان قد وقعكما يلى (عنالعمال المصريين ـ الكتلة الاشتراكية) ٠
وكانت (الكتلة الاشتراكية) واحدة من المحاولات المضنية التى بذلتها المجموعة التى أصدرت (روح لعصر) لتأسيس تنظيم اشتراكى علنى ،لكنها كغيرها من المحاولات التى سبقتها والتى تلتها فيما بعـد جوبهت بمقاومـة حازمة من سلطات الامن ٠

وبما أن مجلة «روح العصر» لم تكن مجرد صحيفة تصدر لتقول كلاما عن الاشتراكية ، وانما كانت ـ في تصور أصحابها ـ خطوة نحو اقامةتنظيم سياسى للعمال والفلاحين ينادى بالاشتراكية ٠٠ فان محاولة تأسيس«الكتلة الاشتراكية» ـ تلك المحاولة التى أحبطت على الفور ـ قد تلتها على الفور، وفى العدد التالى مباشرة وهو العدد ١٣ ، محاولة أخرى للالتقاء مع مشروع اسماعيل مظهر لتأسيس حزب للعمال والفلاحين ٠

---

(١) روح العصر ، ٢ ـ ٥ ـ ١٩٣٠ .
(٢) المرجع السابق .

والامر يستحق وقفه ..

فاسماعيل مظهر قد بدأ محاولته لتأسيس حزب اصلاحي بحت باسم « حزب الفلاح المصرى » . وفى مشروع تأسيس الحزب الذى وجهه اسماعيل مظهر الى مصطفى النحاس قائلا « بالصفه العليا التى لكم فى هذه البلاد كرئيس للوفد المصرى وخليفه للزعيم الاكبر المغفور له سعد زغلول باشا ، والمدافع الطبيعى عن الديمقراطية الحقيقيه ، وبحكم انكم الزعيم الاول للاغلبيه الساحقه من المصريين انقدم اليكم بهذا المشروع .. » والتوقيع « خادمكم المطيع » (١) .

ويوضح اسماعيل مظهر فى مشروعه ان الهدف « هو تكوين حزب اجتماعى يكون اساس الاصلاح فيه فلاح مصر باعتباره الاكثرية العظمى ، وانه اصل الثروة ، كما انه لا يجب ان يغيب عن أذهاننا ان اهمال تكوينه سوف يكون عما قريب اساس القلق الاجتماعى » .

ثم يمضى اسماعيل مظهر قائلا بوضوح اكثر « لهذا وجب علينا ان نبحث فى أمثل الطرق والوسائل التى تحمينا من الانقلابات الفجائية والتى تصد عنا سيل الافكار المتطرفة الحديثة التى تفيض علينا بها دوليات اوروبا الشيوعية .. وانى لشديد الاقتناع بأن تنفيذ مشروع حزب الفلاح المصرى على القواعد التى وضعتها فى مبادئه كفيلة بأن تحمينا من هذه الشرور » .

وبالرغم من كل ذلك التأكيد الواضح ، وبالرغم من ان البرنامج كان اصلاحيا بحتا ، وان اقصى تطرف لجأ اليه كان حديثا عن تحديد الحد الاقصى للملكية الزراعيه بخمسمائة فدان .. وبشرط ان يتم ذلك دون أى تدخل قانونى او حكومى وانما بمجرد الانتظار لان تفعل أحكام المواريث فعلها الطبيعى .

برغم ذلك كله فقد وقفت الرجعية المصرية ــ التى إشتهرت برفض اية نزعات اصلاحية ــ من محاولة اسماعيل مظهر موقف الرفض التام ، بل والادانة الكاملة .. ولم يبق امام اسماعيل مظهر الا ان يتجه الى أحضان اليسار ..

وكانت البداية اشارة عابرة فى العدد ١٣ من «روح العصر» الى انه طبع « بدار العصور للطبع والنشر بشارع الخليج المصرى بميدان الظاهر » (٢) .

واذا كان غريبا ان يلتقى اسماعيل مظهر ــ بموقفه المعروف من الاشتراكية ــ بمجلة « روح العصر » ، فان الاغرب هو ان يتم هذا اللقاء فى العدد التالى مباشرة للعدد ١٢ وهو العدد الذى صدر وفى صفحته الاولى صورة « معلمنا الاكبر » كارل ماركس ، والذى تميز بانعطاف حاسم فى توجهة نحو اليسار السافر .

وتتطور العلاقة لنقرأ اعلانا فى العدد ١٥ يقول « اقرأ مجلة « العصور » تحرر فكرك » (٣) .

---

(١) العصور ــ الشهرية ــ اكتوبر ١٩٢٩

(٢) روح العصر ، ٩ ــ ٥ ــ ١٩٣٠

(٣) روح العصر ، ٢٣ ــ ٥ ــ ١٩٣٠ .

ثم يصدر العدد ١٧ من « روح العصر » متضمنا النص الكامل لبرنامج « حزب العمال والفلاحين » ويوقعه نيابة عن اللجنة التحضيرية لحزب العمال والفلاحين اسماعيل مظهر (١) ٠

وبطبيعة الحال فان البرنامج كان يمثل تطورا هائلا فى فكر اسماعيل مظهر ومواقفه وتبدو بصمات الفكر الماركسى واضحة تماما فى أغلب مواده ٠٠

ثم يبدو الالتحام بين المجلتين « روح العصر » و «العصور» اكثر فاكثر حتي تبدأ « روح العصر » إبتداء من العدد ١٨ في اعادة نشر مقالات كاملة عن العصور ولعله من الملفت للنظر ان يكون اول مقال تنشره « روح العصر » نقلا عن العصور هو مقال بعنوان « حياة لينين » (٢) ٠

★ ★ ★

وبطبيعة الحال فان « روح العصر » قد تعرضت لهجمات سياسية عنيفة وخاصة من جانب « جريدة السياسة » ٠ التي اتهمت «روح العصر» بأنها تروج للشيوعية داعية السلطات الى اتخاذ موقف حازم تجاهها ٠٠

وتتصدى صحف عديدة للدفاع عن «روح العصر» وعن حقها في التعبير عن رأيها ٠٠ وتنشر « روح العصر » باعتزاز ظاهر دفاعا تقدمت به « زميلتنا » اليقظة البيروتية بعنوان جريدة السياسة « وزميلتنا » روح العصر ننقلها فيما يأتى .. «لا تزال جريدة « السياسة » لسان حال حزب الديكتاتور المصرى الهابط محمدمحمود باشا تثير الحملة علىجريده «روحالعصر» المصرية الراقية داعية الحكومة الى البطش بها ، فنحن نستغرب هذا التهجم اللئيم وهذه المحاولة السخيفة من صحيفة يرأس تحريرها اديب كمحمد حسين هيكل ونرجو من نقاباتنا وجميع النقابات المنظمة ان تتآزر فى الاحتجاج على ذلك الدس غير المتوقع من صحيفة جدير بها ان تبقى بين سطورها بقية احترام لها فى نفوس القراء ٠

ان روح العصر يجب أن يؤيدها العمال وان يستعيدوا قواهم من الضعفاء ويردوا الضعف الى اسبابه » ٠

وتعلق « روح العصر » على هذا الدفاع الذىتفهم جيدا أنهقادم منحزب شقيق ان «روح العصر» «تشكر للزميلة روح التضامن والعطف ، وتعاهد جميع عمال وفلاحي الشرق على ان لاتحيد عن الخطة التى سارت عليها مهما أصابها من افتآت الموتورين » (٣) ٠

---

(١) روح العصر ، ٦ ـ ٦ ـ ١٩٣٠

(٢) روح العصر ، ١٣ ـ ٦ ـ ١٩٣٠ ٠

(٣) روح العصر ، ٩ ـ ٥ ـ ١٩٣٠ ٠

ولعل هذا المنهج فى الرد على «السياسة» كان افضل بكثير من المنهج الذى اتبعه د . القاضى محاولا التنصل من اتهامات «السياسه» مؤكدا انهم «اشترا ليون» وليسوا «شيوعيين» .. وتحت عنوان «جهل ام تجاهـــل .. نسف النقاب عن وجه السياسه» كتب الدكتور القاضى يقول ..

« لا نريد ان نناقش «السياسه» فى هذا المقال دعاويها الباطلةواختلافاتها المألوفه ، لا نريد بذلك البته ان نبرىء انفسنا مما ترمينا به افتئاتا ، نحن مرتاحو الضمير باننا اذ نعتنق المذهب الاشتراكى لا نأتى امرا ادا » .

ويحاول د . القاضى جاهدا ان يؤكد انه ومجلته اشترا ليون وليســـوا شيوعيين «كما أنناموقنون كل اليقين ان جهلها او تجاهلها المتعمد للفرق ما بين الاشتراكية والشيوعيه وخلطها خلطا معيبا بين الاثنين لن يحدث الاثر الذى تطلبه» (١) .

وقد يبدو الامر غريبا من رجل كان يعتبر نفسه بالفعل ــ ومنذ امد ليس بالقريب شيوعيا ، بل انه وبعد ان انفرط عقد جماعه «العمل القانونى» مالبث ان انضم دون اى تحفظ الى تنظيم شيوعى ..

ويقودنا ذلك الى التناقض الخطير الذى اقض مضاجع اصحاب «روح العصر» كانوا شيوعيين لكن القانون يحرم الشيوعيه ، وهم يتمسكون بالقانون والعلنية ، فلا بأس اذا من بعض التسامح او بالدقة «التنصـــل» من اســـم «الشيوعية» . الامر الذى أدى الى تناقض خطير سواء فى مواد المجلة .. او فيما بين مؤسسيها الثلاثة .

ومع ذلك ــ وبرغم التناقضات بين الثالوث المسئول عن المجلة ،استطاعت روح العصر ان تكون بالفعل ــ وفى ظل فترة من احلك فترات التاريخ المصرى منبرا تتردد من فوقه شعارات ومبادىء الاشتراكية .. ربما ترددت فى غـــير وضوح أحيانا ، وربما لم تكن الخطوط واضحة تمام الوضوح ، لكن الشىءالهام هو ان «روح العصر» كانتبرغم كلماشاب تحريرها مننواقص منبرا يقولكلمه الاشتراكية .. ويواجه طغيان صدقى وارهابه ويواجه مناورات الاحتـــلال وعملاء الاحتلال بمنطلقات طبقية تنتمى بوضوح الى العمال والفلاحين ، وتدين الاستغلال وتربط المعركة ضده .. ربطا محكما ووثيقا .. بالمعركة الوطنية ضد الاحتلال البريطانى .

كذلك كانت «روح العصر» اول نبض مصرى تقدمى أحس بخطر الفاشية وأدانها ودعا شعوب العالم للتكتل ضدها ..

وكانت «روح العصر» اولا وأخيرا درسا قاسى الملامح لاشخاص حاولوا ان يشقوا بأظافرهم طريقا علنيا وقانونيا للعمل الاشتراكى فى صخر رجعى صلد يرفض حتى اية نزعات اصلاحية ..

كانت مرحلة ضرورية حتى يتلقن عصام ناصف والقاضى وأمثالهمـــا

---

(١) روح العصر ، ٢٨ ــ ٣ ــ ١٩٣٠ .

الدرس ، ثم ينهضا بعد عشر سنوات ليواصلا المسيرة فى طريق «غير قانونى» .

* * *

بعد ذلك يمكننا ان نشرع في تقليب صفحات المجلة ..

فاذا ما بدأنا بالقضيه الوطنيه وهي المحور الاساسى لاى عمل كفاحى فى ذلك الحين فان «روح العصر» كانت منبرا ملهبا للعداء ضد الاستعمار .. ولفهم المغزى الاقتصادى للاستعمار .. ودعوة للعمال والفلاحين لكى يكون لهم موقف طبقى ومتميز فى معركة الاستقلال الوطنى .

وفي العدد الاول نقرا موضوعا بعنوان «حديث» والتوقيع «خرافه» وينم الاسلوب عن ان صاحبه هو عصام ناصف . «يقول الاحرارالدستوريون انهم حزب البيوتات العريقه في المجد والثروة والطبقه الارستقراطيه المصريه .. ويقول الوفديون انهم رجالات الشعب فى طلب الاستقلال التام لوادى النيل، ويقول الحزب الوطنى.زيلع .. مصوع .. اوغندا .. الى اخر السورة غير المحفوظة . فاذا فرضنا وتمت المعاهدة على ما يرام فماذا تقول أنت ايها العامل وانت ايها الفلاح ؟ فكر من الان فيمن سوف يتكلم باسمك ، ويعمل على تنفيذ رغباتك وارادتك .. فكر وحياة ابوك .. الله يهديك» (١) .

لكن المعاهدة لم توقع .. المفاوضات تقطع ، وتصيح « روح العصر» فى افتتاحية العدد ١٤ «قطعت المفاوضات فماذا نحن فاعلون ؟» وبعد ان يستعرض الكاتب مواقف الساسة البرجوازيين يمضى سريعا الى موقف طبقى واضح فيقول « .. لندع تصريحات الساسة جانبا ولننظر الى المستقبل بعين التفاؤل، ان من يمعن النظر فى تطور المذاهب السياسية فى العالم فى السنين الاخيرة لابد وان يعترف معنا بأن المذهب الاشتراكى يكسب أنصارا ويزداد قوة اليوم بعد اليوم ،وان العالم كله صائر الى الاشتراكية لا محالة ..

وهنا سيتحقق ما تراه الانسانية اليوم حلما تصبو اليه فتستعيد الامم جميعا حريتها واستقلالها ، وتحل المعاهدات الاقتصادية محل القيود الاستعمارية» .

وهنا يبدو الامر غريبا بعض الشيء فكأن الكاتب يريد ان يقول للجماهير اذا اردتم استقلالا لوطنكم تعالوا معنا فى طريق الاشتراكية ..

بل انه يعرض بحكم البرجوازية المصرية وينظر الى توليها السلطة الشكلية نظرة طبقية صرفة «.. لم نر في السنوات التى أعقبت الاحتلال البريطانى حتى اليوم ، احدا ممن تولوا الحكم فى مصر يوجه اهتمامه الى انتشال البلاد من هذا التأخر المعترف به من الجميع ، فهذه السنون تنقضى

---

(١) روح العصر ، ١٤ ـ ٢ ـ ١٩٣٠ .

سراعا .. والفلاحون ما زالوا أسرى جهلهم وسذاجهم والعمال طعمة سائغة لاصحاب الاعمال يأكلونهم لحما ويرمونهم عظما » (١) .

وهنا يتعين علينا ان نتوقف لنتامل هذا الموقف الجديد من القضية الوطنيه ، فهنا نلمس ان النضال ضد الاستعمار يتخذ طابعا طبقيا صرفا وراس الحربه موجهة ضد الاستعمار الاجنبى والاستغلال المحلى معا وجنبا الى جنب ودون اى تفرقة ..

ورسام الكاريكاتير فى المجلة يصور مصر كبقرة يحلبها اقطاعى وجون بول ينتظر نصيبه من الغنيمة وتحت الرسم (عبارة) «البقرة الحلوب بين الاقطاعيين المصريين والمستعمرين الانجليز» (٢) .

ولكى نفهم هذا الموقف يتعين علينا ان نعود بالذاكرة الى موقف اليسار العالمى فى هذه الفترة . فمنذ عام ١٩٢٨ اتخذ الكومنترن فى مؤتمره السادس موقفا يعلن ان البرجوازية الوطنية الصينية قد انتقلت وبصورة نهائية الى معسكر الثورة المعادية .. وبصورة تلقائية انتقل تحليل الوضع فى الصين الى مصر .. وعومل الوفد معاملة الكومنتانج .

وهكذا فسر الصراع بين الوفد وصدقى وبين الوفد ومحمد محمود بأنه مجرد مسرحية وان « هذه المسرحية ذات الخصائص الفريدة تجرى من اجل متفرج واحد هو المندوب السامى البريطانى اللورد لويد . فان كلا من محمد محمود والنحاس باشا يحاول ان يقنع المندوب السامى البريطانى بأن حكم مصر ممكن فقط بواسطته هو شخصيا » . ويؤكد هذا الرأى ان انجلترا « باهمالها لنداءات الجماهير العريضة فى مصر تعتمد اساسا على اعتقاد راسخ مؤداه انه ما من جماعة من الجماعات السياسية المصرية تعارض معارضة حقيقية فى استمرار السيطرة البريطانية » (٣) .

فاذا كانت « البرجوازية الوطنية » كلها قد القت بعلم الوطنية وارتمت فى احضان الاستعمار فليس امام الشيوعيين سوى الصراع الوطنى من خلال الكتلة الثورية من العمال والفلاحين وحدها ..

وتنهج « روح العصر » هذا النهج ..

وتحت عنوان « دعونا من مهازل المفاوضات ، وتقدموا الى ميدان الكفاح » يكتب محمود حسنى العرابى قائلا « .. فلنبدأ باعلان رفضنا للاستعمار ، واعلان الخصومة معه ، ثم نعمل على لم الصفوف وتوحيد الجهود المشتتة فتعمل مصر مجتمعة وموحدة ضد العدو » .

لكن « مصر » التى يريد العرابى توحيدها ضد الاستعمار هى مصر

---

(١) روح العصر ، ١٩ ـ ٥ ـ ١٩٣٠

(٢) روح العصر ، ١٨ ـ ٣ ـ ١٩٣٠ .

(٣) أ . الجبالى ـ مقال بلا مخرج ـ مجلة ريفولوسيونى فوستوك (الشرق الثورى) عدد ١ عام ١٩٣٢ ـ ص ١٤٦ ـ (مترجم عن النص الروسى) .

العمال والفلاحين وحدهم ، فهو يمضى فى مقاله مطالبا بمطلبين اثنين :

« ١ — ان تنظم الكتلة العاملة فى مصر ، فقراء الفلاحين فى حقولهم ، والعمال الاجراء فى نقاباتهم وتجمع النقابات فى اتحادات ، وتجعل صلة بين اتحاد العمال واتحاد الفلاحين · وتبث عن طريق الاتحادات بين افراد الشعب روح البغضاء للاستعمار ، ونعمل على الهابها وادكائها حتى نخلق فى الشعب الوعى والاحساس ، ويومئذ يعرف الشعب ان يختار طريقه للخلاص ·

٢ — ان نمد يدنا الى الشعوب المستعبدة والتى مدت الينا يدها غير مرة · ونقف معها جبهة موحدة ضد الاستعمار · ومتى تم تأسيس عصبة شريفة قوية من البلاد المهضومة تبدلت الحال غير الحال ··

... أما سياسة المفاوضة ، وسياسة حسن التفاهم ، أو سياسة الخنوع وسياسة الموت ، فسياسة جربناها فأساءت الينا ··

··· وواجب كل مصرى مخلص ، ذى كرامة ، ان يعلن التحول عنها الى سياسة الاقدام والعمل ، فالى الميدان » (١) ·

وفى عدد تال يكتب العرابى ايضا تحت عنوان « سياسة الموائد لا تجدى لتكن سياستنا سياسة الاستعداد والتحفز » (٢) ·

لكن الموقف من القضية الوطنية ، ومن الاحزاب السياسية المتصارعة فى الحقل الوطنى يتضح تماما من تعليق « روح العصر » على مجزرة المنصورة « كان أمس الاول موعد زيارة النحاس باشا للمنصورة ، فوضعت الحكومة العقبات فى سبيل رحيله ·· فتحداها الباشا ، وكان ان التحم الشعب والبوليس والجيش فى معركة انجلت عن ٦ قتلى و ١٤٥ جريحا · والوفد ومعه الاغلبية الساحقة يلقى تبعة هذه المجزرة على سلوك الحكومة ، وتلقى الحكومة ومعها الجيش والبوليس التبعة على سلوك الرعاع .

شهوات حزبية تسال فيها الدماء البريئة ، والمسئولون آمنون مطمئنون ·وتلك غمة نرجو ان تنكشف عن هذا الشعب قريبا » (٣) ·

انه موقف شبيه بذلك الموقف الذى انتقده الكومنترن فيما بعد عندما دعا الحزب الشيوعى عمال العنابر المضربين ضد اعمال صدقى التعسفية الى أن « يدعوا البرجوازيين يتصارعون فيما بينهم » متجاهلا بذلك المغزى الثورى لحركة الوف العمال المضربين ضد القهر والديكتاتورية ··

وعلى أية حال فان موقف « روح العصر » لم يكن سوى امتداد لخطأ عام وقع فيه اليسار العالمى كله عندما عمم تجربة الصين وخيانة الكومنتانج

---

(١) روح العصر ، ٣٠ — ٥ — ١٩٣٠ ·

(٢) روح العصر ، ٦ — ٦ — ١٩٣٠ ·

(٣) روح العصر ، ١١ — ٧ — ١٩٣٠ ·

فيها على كل البرجوازيات الوطنية ومن ثم فقد حدد واجب الشـيوعيين فى المستعمرات من الدرجة الثانية مثل الصين ومصر » بالسعى لتأسيس كتلة ثورية من العمال والبرجوازية الصغيرة (صغار ومتوسطى الفلاحين) » (١) متجاهلا بذلك الدور الوطنى لقطاعات هامة من البرجوازية الوطنية ٠٠

★ ★ ★

وبطبيعة الحال فقد اقترن النظر للقضية الوطنية من خلال فكره تقول بخيانة كل البرجوازيات وتخليها عن القضية الوطنية ، بحملة طبقية ضارية ضد الاغنياء وضـــد الرأســـماليين والاقطاعيين المصريين والاجانب على السواء ٠

ولقد اعلنت « روح العصر » منذ اليوم الاول موقفا صريحا ضـــد الاغنياء ٠٠ والى جانب العمال والفلاحين ٠٠

ولنتأمل افتتاحية العدد الاول ٠٠ « أمنية طالما جالت بخاطر الكثيرين ممن اتيحت لهم ان يروا بلادا غير هذا البلد ، تعيش حقا فى سؤدد ، بالغة من الرقى ذراه ، ان يكون لهم صحيفة يصارحون فيها مصر وأهلها القول من غير مداهنة او خداع ولو بدافع عامل المنفعة الذاتية التى تملى على الاقلام ما لا تؤمن به القلوب فى اعماقها ، ولا سعيا وراء ارضــاء طبقة قوية ذات سلطان او استغلال فئة اخرى عديمة العون ٠

تلك أمنية أن لها ان تخرج من حيز التمنى الى حقيقة الوجود ٠ ولذا فأننا نتقدم بصحيفتنا « روح العصر » الى الشعب المصرى ، وقد اتخذت لها من الاسس ما سلف ذكره ٠

على هذه الاسس ستسير هذه الصـــحيفة محاولة ان تبين الطريق السوى نحو الرفعة الحقيقية لمصر وأهلها ٠

ان من الحقائق الثابتة ان حظ أى بلد ما من الرقى ، يتعلق تعلقا كليا بما عليه حال سواده الاعظم من رغد العيش والتهـــذيب والثقافة ، فليس يكفى ان يكون ثمة بضع آلاف من المصريين يسكنون القصـــور ، ويقتنون الســـــيارات الفخمة ، ويرتدون الحلى وبهيج الثياب ، ويجيدون التكلم بالفرنســـية او بأية لغة اجنبية اخرى ، ثم هم بعد ذلك قد يكونون على علم وفهم ببعض الفنون الجميلة ٠٠ ليس يكفى هذا لكى يقال عن مصر انها بلد متحضر .. لن تكون مصر بلدا محترما له مكانته حتى يختفى من بين سكانها حفاة الاقدام ، خاوو البطون ، رثو الثياب ، متوســـــدو الارض وملتحفو السماء ، قاطنو الاكواخ الطين ومواشيهم صـــحبة ، الاميون الجاهلون

Joseph stalin — marxism and thénational and colonial iuestion — london, 1947 — P . 216

الباقون على سذاجة الفطرة وقسوتها » ٠

هكذا تمضي « روح العصر » على نفس الخط السابق فاذا كان الاستقلال الوطني يتعين النظر اليه من خلال منظار طبقي ٠٠ محتواه الاساسي العمال والفلاحين فان « كرامة مصر واحترامها » يتطلبان اولا وقبل كل شيء الدفاع عن العمال والفلاحين ومنحهم حقوقهم ٠

وتمضي الافتتاحية « اجل لن تصبح مصر بلدا ذا مكانة محترمة ، ما لم يتل فلاحوها وعمالها من وهدتهم السحيقة الى صفوف البشر ، فلا فقر مدقع ولا جهل مطبق ، ولا استغلال يبلغ حد الاستعباد ٠

هذا هو برنامجنا الذي جعلنا « روح العصر » داعية له ، نعاهد ان نثبت عليه راجين ان لا يطول بنا العهد حتى نراه محققا » (١) ٠

وفي مقال بعنوان « هل الفقر ضروري ؟ » يقتحم العرابي ميدان الحقيقة قائلا : « ان كان العقل يسمح بافقار تلك الاكثرية لهذه الاقلية فمالايمكن لعقل ان يتصوره او يقول به حالة واحدة يجوز فيها ذلك المنطق المقلوب وهي تنطبق على حالنا ؟ ٠٠ وتلك هي عندما تحتكر الاقلية موارد الثروة بأية وسيلة من الوسائل فيصير الانتاج غاية في نفسه او وسيلة للنفوذ السياسي بدلا من ان يكون وسيلة للتقويت ، او بعبارة أوضح عندما يكون الانتاج للسوق لا لسد حاجات الجمعية عندئذ نفهم جميعا ان الفقر ضروري لاشباع المحتكرين » (٢) ٠

ومن الحديث عن الفقر .. وتحليل أسبابه الموضوعية ، الى الدعوة صراحة للاشتراكية ومحاولة شرحها وشرح مبادئها الاساسية ٠

والحقيقة ان « روح العصر » التي كانت تستمتع عادة بتسمية نفسها « الصحيفة الاشتراكية الوحيدة في الشرق » قد جعلت من نفسها مدرسة لشرح وتقديم المبادىء الاساسية للفكر الاشتراكي ٠٠

ومنذ العدد الاول يقدم عصام ناصف مقاله الشهير « ما هي الاشتراكية ؟ » (٣) ويقدم اجابة مباشرة ومحددة :

« الاشتراكية هي نظام اقتصادي واجتماعي يراد به :

١ ــ منع الانسان من استعباد الآخرين او استغلال مجهوداتهم ، فلا يسمح لرجل أن يمتلك مصنعا يستخدم فيه مئات العمال يتحكم في أرزاقهم ولكن يسمح له بامتلاك منزل صغير لسكناه ٠

٢ ــ منع الافراد والشركات الرأسمالية من التحكم في كمية المحاصيل الزراعية والصناعية وفي تقرير ثمنها ــ وقد رأينا في مصر كيف كانت شركات

---

(١) روح العصر ، ١٤ ــ ٢ ــ ١٩٣٠ ٠
(٢) روح العصر ، ٢٨ ــ ٢ ــ ١٩٣٠ ٠
(٣) روح العصر ، ١٤ ــ ٢ ــ ١٩٣٠ ٠

زيت البترول ترفع ثمنه مدة الحرب وما بعدها بدون مسوغ كمـــا ان شركات الدخان والادوية الطبية وغيرها تتحد وتكون نوعا من الاحتكار حتى تستطيع ان تفرض ارادتها على الجمهور وذلك لا يتأتى الا بجعل وسائل الانتاج ملكاللامة تديرها الحكومة او المجالس البلدية أو النقابات التعاونية ..

٣ — منع الاستعمار والحروب التي تنشأ من الرغبة فى الاستعمار . ان الشركات تنتج من المحاصيل كميات هائلة جدا ، ثم لا تجد لها شـــاريا فتكدسها فى مخازنها ثم تأخذ فى عمل الوسائل الفعالة لحمل حكوماتها على استعمار قطر ضعيف كمصر والسودان، ثم تســـتعمل الحكومة الانجليزية نفوذها لحمل حكومتنا على شراء معظم مشترواتها (كالفحم وعربات السـكة الحديدية والاسلحة وأدوات الكتابة) من المعامل الانجليزية رغم ارتفاع الاثمان التى تبيع بها . لقد خسرت مصر عشرات الملايين من الجنيهات فى هذا السبيل، وهو مبلغ ضخم كنا نستطيع توفيره لو كان النظام الاشتراكى متبعا فى انتاج البضائع الانجليزية .

٤ — منع الحروب التى تنشأ من التنافس التجارى ، فان الحرب العظمى التى قتل فيها ملايين الشبان ممن لا ذنب لهم والتى صرفت فيها الدول ألوف الملايين من الجنيهات ، هذه الحرب نشأت بسبب التنافس التجـــارى بين الدول ...

٥ — تقليل تكاليف الانتاج، فاذا كانت الاراضى الزراعية التى فى مصر تستثمر كلها على الطريقة الاشتراكية فان وابورات الحرث وماكينات الدراس وغيرها تحل محل المحراث البلدى والنورج فتقل تكاليف حرث الفدان فى المرة الواحدة من ٧٩ قرشا الى ١٥ او ٢٠ قرشا فقط .

وينشأ من ذلك أنه يمكن للزراعة أن تستغنى عن عدد من عمالها فيشتغل بعضهم فى بناء منازل صحية للفلاحين وانشاء طرقات جميلة فى القرى ومسارح للتمثيل ومدارس ومستشفيات ودور للكتب وغير ذلك مما تجعل الاقامة فى القرى سارة ، هنيه ، ويعمل البعض فى المصانع لانتاج كمية عظيمة من الادوات الضرورية والكمالية حتى لا يحرم منها عامل ولا فلاح ».

وهكذا تمضى محاولة «ناصف» الذكية فى تناول الفكر الاشتراكى مـن منطلقات تهم المواطن المصرى وترتبط ارتباطا وثيقا بمصالحه وبمشاكل حياته اليومية ..

والى جانب العديد من المقالات المماثلة قدمت «روح العصر» شرحا دقيقا وجيدا لافكار «مشاهير الاشتراكيين» لاسال ، أوين ، سان ســــيمون ، فورييه ، كارل ماركس .

وقد نشرت هذه المقالات بتوقيع « مؤرخ اشتراكى » ووفقـــا لرواية القاضى ، فى محضر النقاش معه ، فانه كاتب هذه السلسلة من الدراسات .

وابتداء من العدد ١٤ بدأت «روح العصر» فى نشر الترجمـــة الكاملة لكتاب ماركس «العمل المؤجر ورأس المال» وقد ترجمه د . القاضى ، ونشر فى خمس أعداد متتالية : ما الذى يحدد ثمن البضاعة (العدد ١٥) ، ما هى نفقات انتاج العمل نفسه (العدد ١٦) ، ما هو نمو رأس المال المنتج (العدد ١٧) ، كيف

يؤثر نمو رأس المال المنتج فى أجر العامل (العدد ١٩) ٠
وفى العدد ١٨ مقال هام عن حياة لينين (١) ، كذلك نشرت المجلةدراسة لماركس بعنوان «المادية التاريخية» (٢) ٠ وفتحت صفحاتها امام اجتهـــادات شابة فى مجال الدراسة النظرية ، فنشرت فى باب رسائل القراء مقالا بعنوان «الاشتراكية من الطوبى الى الحقائق المادية» بتوقيع ح ٠ حسن جاء فيه « مما تقدم نرى ان ظهور الاشتراكية فى القرن التاسع عشر والقـــرن العشرين وانتشارها فى العالم ترتكز على حقائق مادية وليست آراء خيالية كما يتصورها البعض فى مصر ٠ وخصوصا بعد التحليل المادى والاقتصادى اللذين قـــام بهما أقطاب الحركة الاشتراكية امثال كارل ماركس وفريدريك انجلسوغيرهما فانهم وضعوا الآراء الاشتراكية فى صيغتها العلمية واثبتوا للعالم ان النظام الرأسمالى لا يناسب العصر الحاضر ، كما وان النظام الاقطاعى والملكيةالمطلقة لا تناسب عصر الرأسمالية . هــذا وسنبين فى مقـــال آخر آراء هـؤلاء الزعماء» (٣) ٠
وفى عددها الاخير تقدم « روح العصر » بابا جديدا بعنوان « كيف صرت اشتراكيا ؟» تقول فى مقدمته انها سوف توجه هذا السؤال للمفكرينوالمناضلين الاشتراكيين المصريين وتطلب اليهم ان يحددوا على صفحاتها الدوافع التى وجهتهم نحو النضال الاشتراكى ٠٠
والمتحدث الاول ــ والاخير ــ فى هذا الباب وقع حديثه بكلمة « هـو » لكن سياق السرد يوحى بأنه محمود حسنى العرابى ٠٠
فكيف أصبح «هو» او «محمود حسنى العرابى» اشتراكيا ؟
انه يروى كيف عاش فى ريف مصر ورأى « ان اصحاب الامـــلاك كلهم يستحلون عرق هؤلاء الفلاحين ويسخرونهم كالماشية لخدمتهم وانهم يستنفدون دماءهم قطرة قطرة وعرقهم نقطة نقطة على مر الايام .
وانتهت العطلة المدرسية وانتقلت الى الاسكندرية وكان عام ١٩١٤ ، وفى أواخر هذا العام تعرفت بجندى انجليزى اسمه فكتور شتن ، وكان شتن هذا اديبا ضليعا واشتراكيا متمكنا ٠٠ وعلمنى ان أرد الحوادث مهما اختلفت الى الاصول الاقتصادية لا الى الاصول الروحية كالاديان وجاءنى بعدة رسائل فى الموضوع ، وتدرج معى فأمدنى بكتب مختلفة» (٤) ٠
وهكذا يمكن القول بأن ما قاله د ٠ القاضى فى محضر النقاش معــــه أن « روح العصر » كانت مدرسة للفكر الاشتراكى لم يكن بعيدا عن الصواب .

---

(١) روح العصر ، ١٣ ـ ٦ ـ ١٩٣٠ ٠
(٢) روح العصر ، ٩ ـ ٥ ـ ١٩٣٠ ٠
(٣) روح العصر ، ١٤ ـ ٣ ـ ١٩٣٠ ٠
(٤) روح العصر ، ٨ ـ ٨ ـ ١٩٣٠ ٠

وقد حرصت «روح العصر» ان تربط معركتها ، بمعركة كل القوى الاشتراكية والديمقراطية فى العالم مبرزة بصورة واضحة اهمية « التضامن الاممى » فى المعارك ضد الاستعمار ورأس المال والخطر الفاشستى .

فنداءات الاشتراكيين الفرنسيين بمناسبة عيد اول مايو ١٩٣٠ ،وقرار مؤتمر مكتبى دولية العمال الاشتراكيين ودولية النقابات الذى صدر بباريس فى اجتماع ٧ مارس ١٩٣٠ وبيان سكرتارية اتحاد النقابات الدولى بأمسترداد بمناسبة اول مايو ، وقرارات مؤتمرالطلبة الاشتراكيين بستراسبورج،ومقالات جان جوريس عن اشتراكية المستقبل القريب .. تجد جميعا ـ هى والكثير غيرها ـ مكانا متاحا لها على صفحات «روح العصر» ..

وعندما توجه «روح العصر» نداءها لعمال مصر بمناسبة عيد مايو فانها تبدأه قائلة « أيها العمال : لقد آن لكم أن تترسموا خطوات اخوانكم العمال فى اوربا وامريكا فتستريحوا من أعمالكم فى اول مايو عيد العمال الدولى ..

ايها العمال : اجتمعوا فى هذا العيد العظيم وقرروا كما قرر اخوانكم العمال فى كل العالم مطالبة الحكومة بحمايتكم من ارهاق اصحاب الاعمال .. وليعلم الجميع ان فى مصر عمالا يشعرون بما يشعر به كل عمال العالم من ان لهم كل الحق فى ان يعيشوا وكرامتهم موفورة ، وجانبهم عزيزا وحقهم مؤيدا منصورا .

ليحيا اول مايو . ليحيا عيد العمال الدولى» (١) .

وفى برنامج حزب العمال والفلاحين الذى نشرته «روح العصر» نجد فقرة تقول « القيام بنشر الدعوة لاظهار بشاعة الحروب الاستعمارية، وغرس روح الاخاء الشعوبى بين الامم » (٢) .

كذلك اهتمت « روح العصر » بالدفاع عن التجربة السوفيتية وابراز نجاحاتها وانجازاتها . وفى مقاله الشهير « ما هى الاشتراكية ؟ » نلاحظ حرص « عصام الدين ناصف » على ان يقارن دوما بين العمال فى مصر وتدهور أحوال معيشتهم وبين المنجزات التى تحققت من اجل العمال فى الاتحاد السوفيتى .

وعندما اشتدت حملة العداء للاتحاد السوفييتى متسترة خلف ماأسمته بالاضطهاد الدينى تكتب «روح العصر » قائلة «أفاضت التلغرافات العامة فى ذكر الاضطهاد الدينى فى روسيا السوفييتة فشممنا رائحة الدعاية السياسية بين سطور هذه البرقيات ، ولم نشأ ان نعلق حتى جاءنا البريد الاوروبى فرأينا صحف الأحرار والعمال طافحة بالرد على هذه الدعاية » (٣) . وكانت صفحة القصة فى « روح العصر » مخصصة فى أغلب الاحيان لنشر قصص من نوع

---

(١) روح العصر ، ٢ ـ ٥ ـ ١٩٣٠ .
(٢) روح العصر ، ٦ ـ ٦ ـ ١٩٣٠ .
(٣) روح العصر ، ١٤ ـ ٣ ـ ١٩٣٠ .

« انشودة الصقر ــ للكاتب الروسي الاشهر مكسيم جوركى ، عن الشـــيطان لمكسيم جوركى ، عيد ميلاد وحلمة زفاف بقلم القصصى الروسى الكبير فيدوز ديستوفسكى اضراب فى نابولى لمكسيم جوركى ٠٠ الخ » ٠

على انه يتعين علينا ان نشير هنا الى بعض الملامح « التروتسكية » التى برزت سريعا ثم اختفت سريعا ايضا على صفحات « روح العصر » ٠

ودليلنا على ذلك مقال وحيد نشر فى العدد الاول بغير توقيع بعنوان « من هو بنايني استراتي ؟ » جاء فيه « كان بنايتى استراتى اذ ذاك من اشد انصار الحركة الشيوعية فى روسيا والعالم فهو بطبيعته الشعرية ميـــال للتطرف ونزاع للمثل الاعلى فى الاصلاحات الاجتماعية وله فى ذلك مقـــالات ملتهبة نشرتها مجلة « اوربا » الفرنسية ٠

هذا الرجل الذى قضى حياته محترفـــا شتى المهن مختبرا الجـــوع والفاقة والعمل ، لم يطق ان يرى النظام الديكتاتورى يقوم فى روسيا ولو فى سبيل تأييد الشيوعية التى ينادى بها ، ورغبة منه فى تعرف جو الحال هناك سافر بنفسه ودرس أحوالها وعاد منها ناقما على سلطة البيروقراطيـــة التى جعلت من الحزب الشيوعي الحكم الوحيد فى روسيا ، وكتب فى ذلك سلسلة كتب عنيفة يؤيد فيها نزعة تروتسكى المتطرفة فهو ليس كما قالت « الاهرام » كاتبا كان شيوعيا فيما مضى ، ولكنه على النقيض شيوعى كامل الايمان بفكرته لا يعرف الحل الوسط ٠٠٠ وأنا متى إدركنا ان النظام فى روسيا يسير شيئا فشيئا وفق تعاليم تروتسكى ، ورغبة فى تنفيذها مع مرور الزمن لا يمكننا الا ان نقول ان أولئك الناس جميعا انما تجمعهم فكرة واحدة وغاية واحدة وايمان واحد ، مهما اختلفت السبل وتنوعت الوسائل » (١) ٠

ولقد لفت هذا المقال نظرى ، كما لفت نظرى انه كان من بين المضبوطات التى أدرجتها النيابة فى قرار اتهام لقضية اتهم فيها عصام الدين حفنى ناصف أصول مقالات لتروتسكى مترجمة الى العربية (٢) ٠

وأدرت حوارا ممتدا مع عصام ناصف ــ قبل وفاته بقليل ــ حول هذه المسألة ونفى عصام عن نفسه اية نزعة تروتسكية «حقيقية» وقال «ربمـــا استهوانا الامر لبعض الوقت ــ وربما كانت لدينا مجرد الرغبة فى تعـــرف أسرار وحقائق هذا الخلاف ، لكننى لم أكن تروتسكيا مطلقا » .

كذلك يتعين علينا ان نشير الى ان « روح العصر » كانت اول صحيفة مصرية تحذر من خطر الفاشية وتدعو للنضال ضدها ٠٠ وعلى صفحاتها نجد مقالات عديدة ضد الفاشية مثل من هونوردن شهيد الفاشيســـتية (٣)

---

(١) روح العصر ، ١٤ ــ ٢ ــ ١٩٣٠ ٠

(٢) ملف القضية رقم ٢٤٤ كلى ١٩٣١ جنايات الاسكندرية ٠

(٣) روح العصر ، ٢١ ــ ٢ ــ ١٩٣٠ ٠

و (ديكتاتورية الفاشزم وما جرته على ايطاليا من البلاوى) (١) .

* * *

وكانت «روح العصر» تعتبر ان قضية العمال هى المحور الاساسى لكفاحها ومن هنا فقد خصصت الكثير من صفحاتها للحديث عن مشاكلهم وحثهم على النضال من اجل تحقيق ظروف افضل لمعيشتهم ، واهم من هذا كله حثهم على ضرورة اتخاذ مواقف طبقية متميزة فى مختلف المسائل ، وتأكيدها الدائب على ضرورة قيام حرب اشتراكى يدافع عن مطالب العمال والفلاحين .

واذا القينا نظرة على العدد الاول من «روح العصر» نجد الموضوعات العمالية التالية : تاريخ النقابات فى انجلترا ، نقابة عمال الحوذية ، نقابة عمال المطابع ، عمال السجاير ، التعريفة الجمركية ، تشريع العمال فى مصر .. فى يونيو القادم يقطع اربعة أعوام فى البرلمان ، فى دوائر العمل ، اضراب عمال التنابر ، نقابة عمال وسائقى السيارات تقيم حفلتها السنوية الاولى ... الخ » (٢) .

ويمكن القول باطمئنان الى ان كل اعداد «روح العصر» قد نهجت هذا النهج فى التركيز على المطالب والنشاطات العمالية .

كذلك فقد افسحت «روح العصر» صفحاتها امام النقابيين المصريين .. مثل سيد قنديل الذى كتب عديدا من المقالات والازجال ، وطلبة محمد طلبه ، واحمد اسماعيل ومحمد ابراهيم زين الدين الذى كتب مقالا بعنوان «صور مظلمة ــ العمال العاطلون فى مصر ، حياتهم وكيف يعيشون » (٣) .

والحقيقة ان العمال المصريين قد أثبتوا على صفحات «روح العصر» وعيا طبقيا وفكريا راقيا ... وشجاعة نادرة فى الدفاع عن الاشتراكية وفى التأكيد على انها السبيل الوحيد لنيل مطالبهم العادلة .

فسيد بدوى قنديل يكتب مقالا ممتازا بعنوان « الانسانية يجب أن تسود العالم ــ نريد حياة غير هذه » (٥) . وفى مقال آخر يروى لنا سيد قنديل محنة المناضل العمالى الاشتراكى عندما يحاول ان يقول كلمته دفاعا عن طبقته ومبادئه .

« كيف تكون اشتراكى . ولماذا ؟» هذا هو عنوان المقال اما الاجابة فهى تصوير للمعاناة التى عاناها الكاتب وهو ينتقى الكلمات خوفا ــ لا على نفسه وانما على الجريدة من ان تغلق ــ ولنتأمل تصوير سيد قنديل لمعاناته هذه

---

(١) روح العصر ، ٨ ــ ٨ ــ ١٩٣٠ .
(٢) روح العصر ، ١٤ ــ ٢ ــ ١٩٣٠ .
(٣) روح العصر ، ٢٥ ــ ٧ ــ ١٩٣٠ .
(٤) روح العصر ، ٣٠ ــ ٥ ــ ١٩٣٠ .

فهى صورة بالغة الاهمية لانها توضح لنا طبيعة المعركة التى كانت تخوضها صحافة اليسار فى ذلك الحين ٠٠ يقول العامل المناضل سيد قنديل «سؤال وجهته الى نفسى حينما كنت اكتب فى جريدتى « الاخبار » و « النظام » مقالات متتالية خصصت كثيرا منها عن العمال فى مصر ، ولكنى ما كنت أبيح لقلمى الصغير ان يطالع القراء ــ خصوصا ساداتنا الحاقدين على ما يظنونه (ضارا بمصالحهم) ! ــ بكل ما كان يجيش فى صدرى من كلمات كنت أعتقدها حقا وصراحة ، فى حين كانوا يعتقدونها هم ثورة ! وخروج على الانظمة ! واشتراكية ، بل وليست فقط اشتراكية وانما اشتراكية (ثائرة) ٠

ولطالما كنت أكتب وأمزق ٠وهكذا ساعات دون ان انتهى الى ما أريد ان اكتب فى أسلوب لا يشتم منه رائحة يتمسكون بها كحجة على تطرفى ــحسب اعتقادهم ــ وما ذلك رهبة ولا فزعا ، وانما ضنا على الجريدة من ان تسأل من اجل مقال هو على الرغم من ان مايجىء به حق ، فهو فى عرف (سادتنا) خروجا على شريعتهم التى سنوها لانفسهم ــ ونحن زاعمين انها خروج على انظمتهم التى نحن بها مضطهدين » ٠

ثم يمضى سيد قنديل داعيا العمال والفلاحين الى الوحدة ذلك ان الوحدة « عنوان اشتراكيتنا وحيث تكلمنا عن الاشتراكية ــ وهذا وقتها ــ فليكن منا اشخاص عاملين لها بكل قواهم ٠ باذلين فى سبيلها جميع جهودهم ٠ لايرهبهم غير صوت الحق ولا يقعد بهم مايلاقوه من عسف وجور » ثم هو يطالب بعدد من المطالب العاجلة من بينها :

« ضم صوتنا لصوت اخواننا الاشتراكيين فى بلدان العالم ، وعلى الاخص العاطفين علينا منهم فى الشرق ــ مطالبة الحكومة بسرعة سن وطبع تشريع العمال وضرورة سن تشريعات تحمينا من عسف المولين وأصحاب الاعمال خصوصا وأن غالبهم من الاجانب » (١) ٠

وفى النداء الذى وجهته «روح العصر» الى العمال المصريين قالت « انكم فى حاجة ماسة الى اسماع اولى الامر وأصحاب الاعمال ظلامتكم ، وكلما كان هذا الصوت قويا واجماعيا سينتبهون اليكم وسيرون انفسهم امام اجماعكم انكم على حق فى مطالبكم العادلة ٠

ايها العمال ٠٠ طالبوا بحقكم فى ان لاتعملوا اكثر من ثمانى ساعات ٠٠ طالبوا بحقكم فى زيادة الاجور ٠٠طالبوا بحقكم فى ضمان العجز والعطل ، وطالبوا بحقكم فى بناء مساكن تؤويكم ومدارس تتعلمون فيها انتم وأولادكم ومستشفيات تعالجكم » (٢) ٠

وتعليقا على كتاب « حركات العمال بمصر فى ربع قرن » لاحمد أفندى

---

(١) روح العصر ، ١٦ ــ ٥ ــ ١٩٣٠ ٠

(٢) روح العصر ، ٢ ــ ٥ ١٩٣٠ ٠

اسماعيل تكتب « روح العصر » : « وتناولنا الجزء الثانى فوجدنا المؤلف قد ركب رأسه فى تاريخ حركة النقابات فى مصر فأغفل الدور الذى لعبته النقابات فى القطر المصرى سنى ١٩٢١ ـ ١٩٢٤ فى الاسكندرية ••• وتكلم كثيرا عن عبد الرحمن بك فهمى ونسب اليه أفضالا لا نعرف لها اصلا بل هى على خلاف ما هو متداول عن البك وحرام على المؤلف ان يسجل فى تاريخ العمال المصريين زعامة هذا البك ولقد كانت زعامة صورية خلعها عليه سعد باشا لامور معلومة فى دوائر العمل » •

كذلك حاولت «روح العصر» ان تناقش او ضاع الحركة النقابية وآفاقها وامكانيات تأسيس اتحاد عام للعمال •• وأيضا امكانيات تأسيس حزب عمالى اشتراكى •• من خلال مقابلات صحفية أجراها حسنى العرابى مع مستشارى نقابات العمال •• تحت عنوان « آراء مستشارى النقابات فى نهضة العمال المصريين » •

وفى حديث مع « حسن افندى نافع رئيس لجنة تشريع العمال فى البرلمان ومستشار بعض النقابات » •

يسأل العرابى : « ألا تلاحظون معى ان العمال عندما يتولى الوفد الحكومة ينشطون فى لم شملهم ثم لا تطول هذه الحال ويأخذون فى الاضمحلال ؟ فهل تعللون لنا سبب ذلك ، وهل سيتجدد هذا فى عهد الوزارة الحاضرة ؟

والجواب : يعتبر العمال الوزارات الوفدية كأب لهم يقدر على كل مطالبهم فعندما تتألف وزارة وفدية دستورية (لأن الوفد لم يؤلف وزارة غير دستورية) يزحمونه بمطالبهم الممكنة وغير الممكنة ، ثم لايطول العهد بالوزارة الوفدية فلا يتحقق للعمال مطلب ••• »

وبعد « تعرية » دور الوفد تجاه الطبقة العاملة ومطالبها •• يأتى سؤال حاسم ••

«س : هل ترون من الصالح تأليف حزب اشتراكى فى مصر ، وان شئت فسمه حزب عمال ؟ واذا كان كذلك فمتى يحسن القيام بهذه الدعوة ؟

ج : عندى انه لو حل ما بيننا وبين الانجليز من المشاكل بامضاء المعاهدة وبقى المجلس النيابى خمسة أعوام لابد وانه ستنشأ احزاب اجتماعية بطبيعة الحال ، واما الان فكل حزب يتألف يفت فى القضية الوطنية وتتوجه اليه الشبهة » (١) •

لكن هذه الاجابه « الوفدية » لم تمنع العرابى من أن يوجه نفس السؤال لمستشار نقابى آخر هو زهير صبرى •

« س : متى يحسن الدعوة لانشاء حزب عمال فى مصر ؟

ج : هذا يتوقف على الموقف السياسى ، ولا استطيع ان اتكهن بالزمان • غير انى استطيع ان اقول ان روح الحزب موجودة اليوم • وأفضل ما اشير به الان السعى فى تقوية النقابات » (٢) •

---

(١) روح العصر ، ٢١ــ٢ــ١٩٣٠ •

(٢) روح العصر ، ٢٨ــ٢ــ١٩٣٠ •

غير ان الوقت لا يطول بروح العصر ، فان مثل هذه الاسئلة لم تكن سوى مقدمة لعمل تعد له المجموعة التى تصدرها ٠٠ وهو تأسيس حزب للعمـــال والفلاحين ٠٠

وفى العدد ١٧ تنشر « روح العصر» برنامجا لحزب العمـــال والفلاحين وتنشر مقدمة له بقلم اسماعيل مظهر ٠٠

«جاءنا من اللجنة التحضيرية لحزب العمال والفلاحين ما يأتى : اعلنت منذ بضعة اسابيع عن ضرورة انشاءحزب للاخذ بناصر الفلاح المصرى واقترحت له برنامجا نشرته فى مجلة «العصور» وفى بعض الصحف اليومية ، فكتب لى الكثيرون يحبذون تكوين هذا الحزب ويقترحون تعديل بعض مـــواده ٠ ثم ناقشت الكثير من المفكرين والمهتمين بشئون الطبقة العاملة فى هذه التعديلات، وانتهينا الى وضع هذا البرنامج الذى نذيعه الان لنعطى فرصة اخرى لكل من يود ان يقترح تعديلا جديدا ونأمل من كل من يهمه امر العمال والفلاحين ان يبدى لنا ما يعن له من الآراء فى هذا الشأن ، حتى نبحثها قبل التكـــوين النهائى للحزب فى أواخر هذا الشهر » ٠

وواضح من استقراء بنود البرنامج ان بصمات عصام ناصف قد غيرت تماما من البرنامج الذى اقترحه اسماعيل مظهر وحولته من برنامج متخلف الى برنامج تقدمى تماما ٠٠

وتمضى بنود البرنامج المقترح ٠٠

« **الاغـــراض :**

١ ـ الاستقلال التام لمصر والسودان وأن تكون قناة السويس مصرية ٠
٢ ـ القضاء على الاستعمار البريطانى ، وكافة النزعات الاستعمارية فى جميع بلدان العالم ٠
٣ ـ تحرير الطبقات العاملة فى مصر من عمال وفلاحين ، مـــع تقليل الفوارق بين الطبقات الاجتماعية، وجعل هذا الفوارق قائمة على اســـــاس الاجتهاد والمنفعة للمجتمع ٠٠

٤ ـ بث الافكار الديمقراطية وروح المساواة العامة فى الشعب » ٠

ثم بعد ذلك المبادىء وعددها ثلاثون بندا ٠٠ من بينها التكاتف مـــع الامم المستعبدة ولاسيما الامم الشرقية والعربية على محاربة الاستعمار ـ الغـاء الامتيازات الاجنبية بدون قيد ولا شرط ـ سن قوانين لتحديد هجرة الاجانب الى مصر ـ فرض ضرائب جمركية خاصــــة على الكماليات ومواد الزخرف والرفاهية ـ نشر الثقافة ومحاربة الامية وفتح مدارس ليلية للطبقات العاملة ـ قيام الحكومة باصلاح اراضيها البور وتوزيعها على صغار المزارعين ـ فرض ضرائب متدرجه على الدخل والميراث ـ المساواة بين الرجل والمرأة فى الحقوق السياسية والاجتماعية ٠٠ الغاء الرتب والنياشين ـ جعل التعليم مجانيـــا

بجميع درجاته ـ منع تعدد الزوجات ـ تحديد الملكية الزراعية ٠٠٠ الخ»(١)٠

★ ★ ★

وتستمر «روح العصر» فى معركة متصلة ٠٠ وتعـــانى من مؤامرات عديدة ، أشدها خطرا تآمر متعهد التوزيع مع البوليس لمنع توزيعهـــا فى الاسواق ٠٠

وتوجه « روح العصر» نداءات صارخة لقرائها « الاشتراك فى جريدة «روح العصر» هو الوسيله الوحيدة لضمان وصونها ، وواجب الشـــباب الاشنرا فى ترويجها بكل الوسائل بين اهله ورفاقه» (٢) ٠

وتعانى «روح العصر» من ازمه مالية خطيرة استنفذت كل مدخـــرات الثالوث فأفلسوا جميعا ٠٠

لكن التوقف عن الصدور كارثة ٠٠ وقاوم الثلاثة قدر استطاعتهم حتى آخر قرش يملكونه ولا زال المأزق قائما ٠٠

واقترح عصام الدين ناصف التوقف عن الصدور على طريقة «الهـــارى كارى » وذلك بتحدى السلطة تحديا شديدا والهجوم عليها بكل القســـوة الممكنة ، وذلك لاجبارها على اصدار قرار باغلاق المجلة ٠٠

ويصدر العدد ٢٤ ٠٠ آخر أعداد «روح العصر» بمقال عنيف بعنـــوان « الوزارة الطاغية » قالت فيه :

« كل يوم ترينا الليالى   خلقا من ابى سعيد جديدا »

فى كل يوم يزيح صاحب الدولة صدقى باشا بيديه القناع عن وجهـــة شيئا فشيئا ، حتى انكشف وجه الباشا من تحت ذلك البرقع المهلهل او كاد، فانكشف عن سحنة متنمرة مرسوم عليها البطش والغضب ٠

وها هو اليوم يقف امام الشعب وجها لوجه يســــومه كل أنواع الاضطهادات ، ويتجنى عليه الأثام ، ويرميه بكل نكراء ، ويسوط ظهوره على ذنوب لا وجود لها الا فى مخيلة الباشا فهل تطول هذه الحال وهل فى الطاقه الصبر عليها » ٠

ثم يمضى المقال او «الهارى كارى» قائلا « ٠٠ هذه الوزارة يشتد طغيانها يوما عن يوم ، ولو طال عمرها فستخلق نظاما فى مصر يشبه نظام الفاشـــست فى ايطاليا ، نظاما يقوم على العسكرية او المليشيا فتقتل الكفايات وتخنـــق الحريات وتتفشى الجاسوسية ، فلا بد من مكافحتها فى المهـــد حتى تقص اطرافها وتقل حدتها ٠٠ فمسايرتها فى خطتها اجرام ليس بعده اجــــرام ،

---

(١) روح العصر ، ٦ـ٦ـ١٩٣٠ ٠
(٢) روح القصر ، ١١ـ٤ـ١٩٣٠ ٠

ونقدها وتعديد أخطائها واجب على الافراد والجماعات فلتتعاون كل القوى فى مصر على خضد شوكتها قبل ان يتمكن لها فى البلاد فيستعصى الداء ويعز الدواء ٠

واذا اتحدت قوى البلاد على امر فليس فى العالم قوة يمكنها ان تقف فى طريقها» (١) ٠

والتوقيع «م٠ح٠ع» وهو محمود حسنى عرابى ٠٠

وفكرة «الهارى كارى» ليست مستنتجة من عنف المقال فى العدد الاخير ٠٠ ولكنها وردت صراحة فى مناقشة مع عصام الدين ناصف ٠

« ٠٠ وأحسسنا اننا نفلس وأفلسنا فعلا ، وبدلا من ان نغلق المجلة بأيدينا هاجمنا الحكومة بشدة وعنف ، فاجتمع مجلس الوزراء وأصدر قرارا باغلاق المجلة » (٢) ٠

ويقول د ٠ عبد الفتاح القاضى «لما اغلق اسماعيل صدقى المجلة ٠٠ كنا أفلسنا فى الحقيقة ، أنا افلست وحسنى العرابى أفلس ٠٠ حتى انى اضطررت الى الاقتراض لاسافر للخارج للعلاج ٠ وبعد اغلاق المجلة ظل البوليس يطارد حسنى العرابى ويستجوب كل شخص يقابله حتى اضطره الى الهجرة من مصر » (٣) ٠

ولما كانت «الهارى كارى» محاولة غير مضمونة النتائج ٠٠فقد احتاطت الجماعة كى لا تضطر سريعا لاصدار عدد تال ٠٠ وهى لا تملك مليما واحدا لاصداره ٠٠ فكتبت فى العدد الاخير ٠٠

« روح العصر» تصدر مرة فى كل اسبوعين طول شهرى اغسطس وسبتمبر نظرا لسفر بعض المحررين الى مصايف القطر لاشتداد الحر فى العاصمة ٠ وسنعوض القراء ما يفوتهم فى هذه المرة فى الاعداد المقبلة » ٠

لكن مفعول المقال الحاد كان حادا كذلك ، واجتمع مجلس الوزراء ووقع صدقى الماكر فى الفخ وأصدر قرارا باغلاق جريدة لم تكن تستطيع مواصلة الصدور ٠٠

وهكذا ماتت «روح العصر» كما عاشت طوال حياتها ٠٠ بأسلوب درامى ٠٠

★ ★ ★

وسافر د ٠ القاضى الى المانيا للعلاج ٠

وحاصرت المراقبة المشددة العرابى ٠٠ ومضى وحيدا يتجول فى شوارع الاسكندرية التى شهدت يوما وقفات تاريخية مشهودة تردد فيها اسمه لامعا

---

(١) روح العصر ، ٨-٨-١٩٣٠ ٠

(٢) د٠ رفعت السعيد — تاريخ الحركة الاشتراكية فى مصر — المرجع السابق ص ٢٧٨

(٣) المرجع السابق ص ٢٧٤ ٠

كالشهاب ويقول العرابى متحدثا عن آخر جولة له فى شوارع الاسكندرية « أحب بلاد مصر الى فيها قضيت زهرة شبابى فيها درست فى العباسية الثانويه ، فيها ضاربت فى البورصة وجمعت عشرات الالوف من الجنيهات ، فيها بدأت حياتى السياسية وخطبت فى الوف العمال ٠٠ طفت فى شوارعها ساعات ، فكان جوابها صريحا ، لا ٠٠ لا ،الشوارع نظيفة،والعمارات جددت شبابها ، والشمس مشرقة ضاحكة ٠٠ والناس رائحون غادون وعلى وجوههم مظاهر المرح والمسرة ــ أما انا فأسير وحدى كسير القلب ، مهيض الجناح ، لا يابه لى مار ولا مارة كأن لم يكن لى فيها دولة ، أغريب انا » (١) ٠

وهاجر هو ايضا ٠٠

★ ★ ★

وبقى رجلا صلبا ٠

صلبا الى الحد الذى لم يشعر فيه بالوحدة ، واثق من نفسه ومن مبادئه ومن شعبه الى الحد الذى لم يكن ممكنا معه ان يشعر ابدا انه وحيد ، او انه كسير القلب او مهيض الجناح ٠٠ أو غريب عن بلده ٠٠ رجل صمم ان يقاوم حتى آخر لحظة ٠٠

★ ★ ★

واغلاق الجريدة لم يكن سوى بداية ٠٠

فسرعان ما اطبقت يد الجلاد على الرجل الوحيد الباقى من التالوث ٠٠ وواجه عصام الدين حفنى ناصف محكمة الجنايات بتهمة الترويج للشيوعية ٠٠ وكانت مقالاته فى «روح العصر» احد أدلة الاتهام ٠٠

ودافع الرجل عن نفسه ، بل دافعت عنه مصر كلها ٠٠
فقد هزت قضيته مشاعر الكثيرين وتطوع للدفاع عنه اكبر المحامين ، وكانت قضيته قضية تاريخية انتهت بحكم تاريخى ٠٠ البراءة ٠٠
ونشرت معظم الصحف النص الكامل لحيثيات الحكم باعتباره تأكيدا لحرية الرأى والعقيدة فى مصر ٠٠ وهزيمة لاسماعيل صدقى وأسلوبه فى الحكم ٠٠
وفيما يتعلق بمقالاته فى «روح العصر» ٠٠ قالت الحيثيات ٠٠
«٠٠ وحيث انه فيما يختص بمقاله الاشتراكية من الوجهة العلمية والمقالة التى نشرها فى مجلة «روح العصر» وهى كلها متعلقة بالكلام على

---

(١) محمود حسنى العرابى ــ ٨٩ شهرا فى المنفى ــ ص ٨ ٠

الاشتراكية وبعض نظرياتها ، فان المتهم يقول فى شأنها انها دراســـة علمية يريد بها توضيح معنى الاشتراكية للناس لانه يلتبس عليهم معناها وهو لا ينكر ان نشر مبادىء الاشتراكية قد يترتب عليه قلب نظام الملكية الفردية ، كما تقضى به مبادىء المذهب الا ان وسائل هذا المذهب فى تنفيذ برامجهليست وسائل العنف والقوة ٠٠ وعمدة هذا المذهب كارل ماركس يرى ان تطـــور الظروف الاقتصادية وتغير ظروف الانتاج هى التى تؤدى الى التغيير » ٠

« ٠٠٠ فلهذه الاسباب وبعد الاطلاع على الماده «٥٠» من قانون تشكيل محاكم الجنايات حكمت المحكمة حضوريا ببراءة المتهم» (١) ٠

* * *

وكان الرجل يمتلك من الاصرار ما يكفيه لكى يحاول من جديد ٠

---

(١) الجهاد ، ٣٠-١١-١٩٣١ ٠

شـــــبرا

جريدة سياسية اجتماعية اسبوعية
٢٦ أغسطس ١٩٣٧

صاحب الجريدة ورئيس التحرير المسئول
محمد عبد الحميد عبد الله المحامى
مدير الادارة
محمد بيومى
سكرتير التحرير
السيد محمود القصرى
ادارة الجريدة
٢٣ ش ٠ الخلفاء بشيكولانى

جريدة شبرا
لسان العمال
على مبادىء الزعيم
عباس حليم ٠

نجريدة شبرا هى جريدة العمال ٠٠
فهى ترحب بما يرد لها من العمال وأنصار العمال ٠

... بعض الناس يستهويهم المستحيل ..

والمستحيل عند « عصام الدين حفني ناصف » يصل الى حد محاولة الوصول الى القمر بسيارة عادية .. فقد حاول ـ او حلم ـ بتأسيس حزب عمالى «مستخدما» لافتة عباس حليم .

قد يدفع ذلك الاسم بالبعض الى الاشمئزاز ، ورفض التجربة وطوى الصفحة دون حتى قراءة عدد من سطورها ..

لكن الامر يتطلب فى اعتقادنا بعضا من التأنى ..

★ ★ ★

رجل وحيد محاصر ..

كانوا ثلاثة هاجر منهم اثنان .. وبقى رجل واحد .

لم يكن يؤمن بالعمل السرى فى ذلك الحين وهذه خطيئة .. لكنها لا تنفى عن محاولته صفة الجدية ، وعن اصراره العنيد صفة التحدى ..

كان الشيوعيون قلة محاصرة تجاهد كى تستمر فى التواجد ، اما هو فقد قرر ان يستنفد كل امكانيات العمل القانونى حتى الثمالة .

وشرب الكأس المريرة حتى نهايتها الاشد مرارة ..

وفشل مرة وثانية وثالثة ... وعاشرة لكنه كان يملك قدرا غريبا من الاصرار .

★ ★ ★

وفى نقاش معه قلت له .. كيف كنت تفكر فى تأسيس حزب عمالى حقيقى بزعامة النبيل عباس حليم ؟ اليس ذلك وهما يجرد العمل من مضمونه الثورى ؟

وقال : « كنت اعرف انه نبيل واقطاعى ورجعى ، لكنه كان فى وسط هذا الظلام يقود بالفعل جموعا عمالية ، لماذا اترك له العمال ، دخلت ، وتسللت ونجحت فى أن أجر النبيل فى معركة تلو اخرى .. إن أستخدم نفوذه للكتابة

فى مجلات عديدة مدافعا عن العمال مهاجما البرجوازية ، مطالبا بحزب طبقى عمالى ، كان النبيل يخدع احيانا ويتصور انها أصول اللعبة ، وكان يتذمر فى احيان اخرى ويقول لى فى سخرية « عصام ٠٠ لا تنسى اننى نبيل » ٠

واعتقد ان الذى كسب انا وليس هو ٠٠ التقدم وليس الرجعية ، اليسار وليس اليمين » ٠

هكذا تصور الرجل دوره ، لكنه حذرنى منذ البداية ، لا تخدع بالمظاهر ولكن تأمل الكلمات وحاول ان تضعها فى اطارها التاريخى وتخيل كم كان مفيدا لقضية الاشتراكية ان تقال هذه الكلمات وفى هذا الوقت بالذات ٠٠

★ ★ ★

واقلب صفحات جريدة «شبرا» فهى تجسيد للتجربة ٠٠ محاولة الوصول الى القمر بسيارة عادية ، والشىء الغريب فى التجربة ان صاحبها كان يعرب جيدا انه لن يصل الى هدفه بهذه الوسيلة ، لكنه لم يجد وسـيلة اخرى ، فاستخدم المتاح امامه ٠٠ واستنفذه وتبدد هو فيه احيانا ، لكنه ظل عـلى الدوام يردد كلمة الاشتراكية ويتحايل كى يسمح لها ان تقال ٠٠

كان يعرف ان المعركة طويلة ٠٠ طويلة ، وكان يقول لى فى أواخر ايامه ها انا اموت وكل حصيلتى هذه الكومة من الكتابات ، لكنها تكفينى كى اموت مستريحا ٠

كان يدرك ان الكلمة سلاح ، وان السلاح قد يصدا اذا لم يستخدم واذا غاب طويلا عن أذهان الجماهير ، فلنشرعه فى كل وقت لامعا او غير لامع ،حادا او مثلوما ٠٠ مجديا او مجدبا ٠٠ وصمم الرجل على ان يظـل يردد كلمة الاشتراكية فى كل وقت وفى كل مجال متاح ٠٠

وهكذا فرض هو على « المؤرخ » ان يعتبر «مجلة شبرا» مجلة يسارية،لا لانها كانت فى محتواها الاساسى مجلة يسارية ، وانما لان صوت عصام ناصف الجهورى دوما كان دائما قادرا على ان يطغى على كل صوت عداه ٠٠ كان عصام ظاهرة مهيمنه تظهر فتلمع سريعا ثم تطفىء كل ما عداها ٠٠

ومضت فترة كانت فيها «مجلة شبرا» بالفعل مسرحا لمقالات وتيارات يسارية حقا ٠

وقد يبدو ذلك غريبا فى مجلة تقول انها «لسان العمال على مبادىء الزعيم عباس حليم» ٠

لكن الرجل علمنى الا اخدع بالظواهر وان أتأمل كلماته بالتفصيل ٠٠ وان أضعها فى اطارها الحقيقى ٠٠ والتاريخى ٠

فلنحاول ٠٠

★ ★ ★

وللقصة بدايتان ..

بداية مع النبيل عباس حليم .. عندما كان عصام يسعى – فى طريق العمل القانونى – محاولا تأسيس حزب للعمال والفلاحين ، حاول ذلك عام ١٩٢٧ (اللجنة التحضيرية للحزب الاشتراكى المصرى) ، ثم حاول مرة اخرى عام ١٩٣٠ مع بعض العناصر اليسارية من الحزب الوطنى (حزب العمال والفلاحين) (١) .

ثم مرة ثالثة فى نفس العام مع اسماعيل مظهر ، ثم مرة رابعة فى ١٩٣٢ (الكتلة الاشتراكية) (٢) .

ثم يجىء الدور على عباس حليم وكان يسعى لتأسيس اتحاد للعمال يسيطر هو عليه ، ووقع خلاف بين عباس حليم وبين الوفد حول مدى سيطرة كل منهما على الحركة العمالية ، ويشن عصام ناصف هجوما على كلا المعسكرين قائلا « لقد اعلن انصار الوفد عن انشقاق حزبهم على اتحاد العمال الذى يرأسه الشريف عباس حليم وأعربوا عن آراء مرتبكة تدل على نهاية الجهل المتسرب بسوء النية .. اذ يزعم الوفد ان الوطنية البرجوازية الفاشلة التى يرفع هو لواءها لا تسمح بافساح المجال لحركة عمالية يقوم بها العمال لجمع صفوفهم وتكوين جبهة موحدة للعمل على تحرير انفسهم من تحكم اصحاب الاعمال .

وترى جريدة العمال (عباس حليم) ان نقسم شئون الامه الى قسمين قسم يتولاه مصطفى النحاس وقسم يتولاه عباس حليم وينبغى على العمال فى رأيها ان يمتنعوا عن معالجة المسائل السياسية التى لا تختص بشئون العمال» .

ويهاجم عصام كلا المعسكرين ، «فكل من هذين الزعمين لا يقل عن الأخر بعدا عن محجة الصواب ، والعمال يجب ان يعنوا ببحث جميع الشئون السياسية على ان ينظروا اليها من وجهة نظرهم الخاصة دون تبعيه للاحزاب البرجوازية» (٣) .

لكن «البرجوازى الصغير» المحاصر وحيدا فى ميدان العلنية ، والذى سعى وفشل ثم فشل ثم فشل مرات عديدة ، لا يجد مناصا من ان يلجأ بمحاولته الى احضان «النبيل عباس حليم» ربما فى محاولة للاحتماء به ، وربما فى حالة فقدان للثقة والصبر وربما باعتبارها منفذا وحيدا متاحا امام انسان يقاوم التيار وحده .

لكن عصام يقتحم معسكر عباس حليم شاهرا سيفه معلنا الحرب على النقابيين النفعيين فيكتب فى صراحة « كنت مضطرا للذهاب الى النبيل عباس حليم ، فقد كان جميع العمال تحت زعامته ، وهو رجل مخلص حسن النيه ، ولكنه قليل الخبرة بهذه الشئون ، وقد وجدته وقد ترك الامر فى ايدى عدد

---

(١) د. رفعت السعيد – عصام الدين حفنى ناصف – سلسلة طلائع الفكر الاشتراكى فى مصر – دار الثقافة الجديدة – القاهرة – ص ٦٦ .

(٢) الوادى ، ٣٠–٤–١٩٣٢ .

(٣) صندوق الدنيا ، ٢٩–٨–١٩٣٣ .

من العمال معظمهم غير مخلص للحركة وانما كان انضمامهم لاستغلالهاوالافادة منها ادبيا وماديا » (١) ٠

ويحاول عصام الدين ناصف اقناع عباس حليم بتأسيس حزب عمالى وليس مجرد اتحاد للعمال ، ويرفع عصام شعاره الشهير « حزب عمال لااتحاد نقابات فقط » ٠

وتنشر جريدة «شبرا» : «اقترح الاستاذ عصام الدين على الشريف عباس حليم ان يؤسس حزبا للعمال الى جانب اتحاد العمال ، لان للحزب وظيفة غير وظيفة النقابات واقتنع الشريف بصواب الفكرة ودعا الاستاذ عصام الى وضع مبادىء هذا الحزب » (٢) ٠

★ ★ ★

وفي ٢٥ مارس ١٩٣٧ يصدر العــــــدد الاول من مجلة «شبرا» كمجلة متخصصة فى مشاكل حى شبرا ، وصاحب الجريدة ورئيس تحريرها محمد عبد الحميد عبد الله المحامى ومدير الادارة محمد بيومى وسكرتير التحــــرير السيد محمود القصرى ــ وادارة الجريدة ٢٣ شارع الخلفاء ــ شـــــيكولانى شبرا ٠

ولم يكن في محتوى العدد الاول ولا فى اسماء المسئولين الثلاثة عـــن المجلة اى شىء يمكن ان يوحى بمسحة من اليسار وحتى بالاهتمام بأية مشاكل عامة ٠٠

ثم فجاة يظهر عصام الدين حفنى ناصف على صـــــــفحات العدد الثانى مباشرة وتحت عنوان «الاستاذ عصام الدين حفنى ناصف يحدثنا عن حركــة العمال ــ حزب العمال والفلاحين تصادره النيابة » ٠ وتقدم «شبرا» لقرائها عصام ناصف متذرعة بحجة بسيطة وهى انه «نشأ وترعرع فى حى شبرا» ٠

« يعرف قراؤنا الافاضل الاستاذ عصام الدين حفنى ناصف الذى نشأ وترعرع فى شبرا ، فان له ماضيا عظيما فى الجهاد الوطنى والجهاد فى سبيل الطبقة العاملة وقد قضى فى السجون مددا تزيد عن عام ونصف ، وقدم لمحكمة الجنايات ثلاث مرات وذلك بسبب صلابته واصراره على خدمة الوطن عموما والطبقة العاملة خصوصا ٠ وهو الان يشغل منصب مساعد فنى بدار الكتب ، ولكنه ما زال يوالى التأليف والكتابة واليكم رأيه فى الحركة العاملية فى الوقت الحاضر» (٣) ٠

وهكذا تبدأ قصة محاولة لتحويل مسار جريدة ، من ان تكون مجرد لسان

---

(١) شبرا ، ١ــ٤ــ١٩٣٧ ٠
(٢) شبرا ، ١ــ٤ــ١٩٣٧ ٠
(٣) شبرا ، ١ــ٤ــ١٩٣٧ ٠

يتحدث عن مشاكل حى من أحياء القاهرة ، الى لسان يتحدث عن مشاكل العمال والفلاحين ومنبرا للدعوة الملحة لتأسيس حزب لهم .

ولقد كتب عصام كثيرا فى مجلة «شبرا» وأفسح صفحاتها امـام كتاب آخرين أمثال سلامة موسى وغيره ، واستفاد من تكتلات عمال الترام فى شبرا ليحول المجلة للاهتمام بمشاكلهم .. ونشر على صفحات شبرا مقالات عديدة عن الاشتراكية داعيا الى اقامة نظام اشتراكى على أنقاض النظام الرأسـمالى القائم ..

ومع تحفظات كثيرة ـ قد يثيرها البعض ـ حول امكانية ادراج «شبرا» وغيرها من المجلات المماثلة ضمن قائمة «الصحف اليسارية» الا انها تمثل مرحلة هامة من تاريخ المحاولات اليسارية للتعبير ، ليس من خلال صحيفة يسارية تماما او خاضعة لنفوذهم تماما من خلال التسلل عبر منحنيات تتيحهـا الامكانيات المحدودة ..

وعلى اية حال فان «شبرا» قد ظلت ابتداء من العدد الثانى الصادر فى ١ـ٤ـ١٩٣٧ ، وحتى العدد ٢٥ الصادر فى ١٦ سبتمبر ١٩٣٧ منبرا ترددت الافكار اليسارية والاشتراكية على صفحاته بصراحة ووضوح بحيث كانت هذه الافكار هى السمة الاساسية والمميزة لهذه الصحيفة فى ذلك الحين .. وبحيث يمكن الاطمئنان الى نسبتها الى قوائم «صحف اليسار» اما بعد ذلك وابتداء من العدد ٢٦ الصادر فى ١٦ـ١٢ـ١٩٣٧ فقد تحولت «شبرا» الى مسار جـديد واختفت من صفحاتها اية مسحة يسارية ..

لكن هذه هى نهاية القصة .

فلنبدأ من البدايه .. من العدد الثانى من مجلة « شبرا » ..

★ ★ ★

وكعادة «عصام ناصف» كانت البداية عنيفة فقد كتب مقالا طويلا حلل فيه تجربة النبيل عباس حليم ومحتواها وردود فعلها على حركة الطبقة العاملة، مهاجما فى ذلك كله العناصر النقابية الصفراء التى التفت حول «عباس حليم» سعيا وراء كسب شخصى ..

وهو يلخص كل شىء فى اول كلمة من مقاله « ان حركة العمال متجهة الى الوراء وذلك لانها ينقصها زعماء مخلصون مثقفون ثقـافة عاملية ولان الروح المعنوية للعمال انفسهم قد اصبحت فى حالة تفكك وانهيار عقب الفشل المتوالى الذى أصيبوا به الى الان » .

ثم يحكى قصة كفاحه الطويل .. مع «روح العصر» «وكنا فيها نسعى الى فصل الحركة العاملية عن الحركة الوطنية واعطائها شخصية مستقلة وقد أصدر مجلس الوزراء برئاسة اسماعيل صدقى قراره بالغاء هذه الجـريدة بتهمة التمهيد للشيوعية .

فالتجأت بعد ذلك الى الاستاذ اسماعيل مظهر وعاونته فى تحرير مجلة «العصور» بشكل مجلة خاصة بالعمال والحركة الاشتراكية وأصدرنا برنامج

لحزب العمال والفلاحين فصادرته النيابة ..»

ثم تبدأ قصته مع المحاولة الجديدة .. مع عباس حليم .

«.. وكنت مضطرا للذهاب الى النبيل عباس حليم فقد كان جميع العمال تحت زعامته فى ذلك الوقت ، وهو رجل مخلص حسن النية ولكنه قليل الخبرة بهذه الشئون ، وقد وجدته ترك الامر فى ايدى عدد من العمال معظمهم غير مخلص للحركة وانما كان انضمامهم اليها لاستغلالها والافادة منها ادبيا وماديا فكانوا يركبون سيارات النبيل ، ويفتخرون بأنهم زاروه فى قصره او زارهم فى منازلهم ، وكان البعض منهم يختلس مما تصل اليه يده من اموال العمال المساكين ، ثم وهناك ما هو ــ أدهى وأمر ــ كان الكثيرون منهم يتصلون بادارة الامن العام وقد ثبت ان عددا منهم قد تآمر على خلع النبيل عن زعامتهم طمعا فى الحصول على اموال المصاريف السرية ..»

ثم يمضى محددا موقفا اكثر وضوحا ..

«قلت ان معظم العمال «المتزعمين» الذين كانوا يجتمعون حول النبيل عباس حليم كانوا جهلة أدعياء فى الحركة .. كانوا من الاصناف التى تعيش فى ظلال الاغنياء وتتمتع بكرم الاغنياء فلا يمكن مقارنتهم بالعمال الذين يشتغلون فى مصانع السكر او محالج القطن .

ولقد كانت حالة هؤلاء العمال مثيرة للاشمئزاز ، ولذلك بادرت بالانفصال عنهم وأعتقد ان هؤلاء الافراد يجب ان لا يعهد اليهم بأمور العمال مرة اخرى ..

وانى آمل ان تنمو الحركة العمالية من جديد ، ولا بد لذلك من انفصالها عن الحركة الوطنية واستقلالها عن الاحزاب . وطرد كل من كان له ماض سىء من صفوف زعامتها » (١) .

وهكذا أملى الرجل شروطه ، وطالب عباس حليم ان يختار بينه وبين كل كوادره القديمة الذين كانت « حالتهم مثيرة للاشمئزاز » .

وطالبه بألا يقتصر على تأسيس اتحاد عمال وانما يجب ان يسعى الى تأسيس «حزب عمال» .. والغريب ان عباس حليم قد رضخ لكل هذه الشروط .. « واقتنع الشريف (عباس حليم) بصواب الفكرة ودعا الاستاذ عصام الى وضع مبادىء هذا الحزب » (٢) .

وربما كان عباس حليم يخشى من تطرف عصام ناصف ، وربما كان يخشى من ضغوط قاعدته القديمة من العمال الذين اعتادوا ان «يعيشوا فى ظلال الاغنياء» وربما اراد ان يتباعد عن الامر كله ليعطى لنفسه فرصة الانسحاب فى المستقبل اذا ما كان الانسحاب ضروريا ..

---

(١) شبرا ٣ ١ــ٤ــ١٩٣٧ .

(٢) المرجع السابق .

المهم ان النبيل عباس حليم وافق مبدئيا على تأسيس حزب للعمال ٠٠ وكلف عصام ناصف بوضع برنامجه ، ثم غادرالبلاد الى اوربا فى رحلة لدراسة احوال العمال فيها ٠

وانفتح المجال واسعا امام عصام ناصف ليقول ما يريد ٠٠ ونسى — او ربما تناسى — ان الامور تجرى تحت مظلة «النبيل» واضطر عباس حليم ان يذكره « لا تنسى اننى نبيل » ٠

وبسفر عباس حليم كانت الفرصة أرحب امام عصام ليعبر عن مواقفه اليسارية سواء فى محاولة تأسيس الحزب ، او على صفحات «شبرا» ٠

وفى العدد الثالث من «شبرا» يأتى ضيف جديد «سلامةموسى» وتقدمه «شبرا» ككاتب «له جولات كبيرة فى محيط العمال ، وقد اشتغل بحركتهم سنوات طوال اشتهر فيها بآراءه ومذاهبه الاشتراكية» ٠٠ وهكذا اختلف جواز المرور الى العدد الثالث كان يكفى ان يكون الكاتب اشتراكيا ٠٠

ويكتب سلامة موسى مقالا بعنوان «حزب العمال والحكم الديمقراطى»آكد فيه ضررة ان يناضل العمال من اجل فرض قواعد ديمقراطية للحكم «٠٠والواقع ان جميع عمالنا يعترفون ان مصلحتهم تقتضى سيادة الحكم الديمقراطى ، لابل رسوخه حتى يتعوده الناس ، وحتى يصبح من المحال ان يفكر احد المستبدين فى الوثوب الى الحكم» (١) ٠

وفى نفس العدد يكتب عصام ناصف مقالا بعنوان «الوطنية الحمقاء»يعلق فيه على قصة نشرتها جريدة «الثغر» لسان حال «مصر الفتاة» زعمت انها وقعت فى اليابان ، وقد ضربتها مثلا للوطنية العالية ، وملخص القصة ان يابانيا اراد التطوع فى الجيش الذاهب الى الحرب فلم يقبلوه لانه كان وحيد أمه والقانون هناك يحرم الاشتراك فى الحرب على امثاله كى يتفرغوا لا عاله امهاتهم ،فلما قص ذلك على أمه قتلت نفسها وبذلك أصبح يحق له أن يلتحق بالجيش» ٠. وقد التحق به فعلا ومات فى ميدان القتال » ٠

ويجدها عصام فرصة سانحة للهجوم على الحرب الاستعمارية مقدما مفهوما «طبقيا» لفكرة الوطنية ٠٠ فيقول « وأنا لست أرى فى عمل هذه الام هى وابنها وطنية بل حمقا وغباء فالمفهوم من القصة ان هذه الحرب التى مات فيها هذا اليابانى الاحمق هى حرب استعمارية ٠٠ لقد مات ذلك الجندى فى حالة اعتداء على شعب مسكين سىءالاحوال ٠ اجل يجب ان يحب الانسان وطنه ولكنه لا يجب ان يكره أوطان الآخرين ، وليس من الوطنية الحقة ان يجر الانسان بلاده الى حرب كالحرب التى تستعد اوربا لخوض غمارها قريبا ٠٠ وليس من الوطنية الحقة ان يموت الانسان فى حرب لن يجنى من وراء الظفر فيها شيئا٠ ولا يستفيد منها الا طبقة مخصوصة من تجار الاسلحة وكبار الرأسماليين وانما

---

(١) شبرا ، ٨—٤—١٩٣٧ ٠

الوطنية الحقة ان يخدم المرء كتلة الشعب ويعمل على رفع شـــــأنها وزيادة رفاهيتهم » .

وهكذا يقدم عصام ناصف مفهوما طبقيا واضح المعالم للوطنية .. بل انه يسوق الاتهام للجميع بأنهم ليسوا وطنيين بما فيهم الكفاية لانهم لايدافعون عن حقوق العمال والفلاحين فيختم مقاله قائلا « وليس فى مصر من يستطيع ان يزعم انه قائم بفروض الوطنية ، فاننا جميعا مقصرين فى حـق العمـــال والفلاحين » .

وفى العدد ايضا تقديم لقصة «البترول» لابتون سينكلر وقد ترجمهـــا عصام ناصف ونشرها مختصرة فى كتاب ... ويقول التقديم انها « قصـــة اجتماعية قيمة تدور حول النزاع بين العمال واصحاب الاعمال فى امريكا ... ونحن ندعو قراءنا الافاضل الى المبادرة باقتناء هذه القصة الخالدة ، وكنا نتمنى لو ان الاستاذ عصام طبع منها اكثر من الالف نسخة التى طبعها فان هـــذه القصة جديرة بأن توجد فى مكتبة كل مثقف وكل عامل وكل من يعنى بحركة العمال » .

وفى العدد الرابع يكون عصام ناصف قد قلب فى اوراقه القديمةفينتزع من ملفقضية قديمة مقالا كانت النيابة صادرت « مخطوطه » وقدمت عصام للمحاكمة على اساسه والمقال بعنوان « الاشتراكية والاسلام » ثم عنوان فرعى مفرط فى التحدى « انما القوانين والاخلاق والدين بالنسبة للطبقات العاملة أستار تخفى وراءها مصالح الاغنياء — بيان ماركس وانجلز — وكان الاقتباس فى المخطوط المضبوط منسوبا الى البيان الشيوعى (١) لكنعصام وهو يحاول نشر المقال يتحاشى كلمة « الشيوعى » ويكتفى بنسبة « البيان » الى كاتبيه ماركس وانجلز » (٢) .

ويمضى عصام محاولا ان يميز بين الدين والاشتراكية « فالدين فىالاصل ينظم العلاقة بين الانسان وخالقه ، بينما تعمل الاشتراكية لتنظيم العلاقة بين الانسان والانسان ، واذا فلاعلاقة لهذا بتلك ، وعلى اية حال فالانسان لايستغنى عن تنظيم معاملاته الاقتصادية مع ابناء جنسه ولذا وجب عليه ان يفكر وأن يبحث وأن يطيل البحث والاختبار حتى اذا ما وثق من صحة النتيجة كان عليه ان يعمل . وهذا هو الوضع الصحيح فيما يختص بجميع الاديان .. »

ثم يحاول بعدهذا التحذيرالصارم ان يبرز نوعا من التقارب بينالاسلام والاشتراكية «فاذا قارنا بين ما أورده الاسلام فى شئون المعاملات وما قررته الاشتراكية ازاءها وجدنا بينهما اشياء متماثلة فى الغاية ولكنها تختلف قليلا من حيث طريقة تنفيذها كالزكاة التى فرضها الاسلام ، وضريبة الدخل التى اتت بها الاشتراكية .

---

(١) ملف القضية رقم ٧٥٣ المنشية — ٣٤٤ — كلى عام ١٩٣١ جنايـات الاسكندرية ص ٤١٦ .

(٢) شبرا ، ١٥—٤—١٩٣٧ .

وأما الربا فقد حرمه الاسلام اذ به يستبد صاحب المال بمن وقع ورطه مالية ويستغل ضيقه ، واما الاشتراكية فتقول بمنعه ايضا ولكن لان النقود يجب ان ينظر اليها دائما على اعتبار انها «مالا» تشترى به الحاجيات ، لا «رأس المال » يستعبد به الفرد ابناء جلدته ويستغل جهودهم فالعمل وحده هو الذى ينتج الدخل اما النقود فلا يصح ان تنتج شيئا.» •

لكنه يفضل الضريبة على الزكاة ، لان قيام الدولة بجميع الضريبة يمكنها من « صرف المتحصل منها فى انشاء المدارس وشق الترع واقامة المساكن للعمال وغير ذلك من مرافق التعمير الانشائى وعدم الاكتفاء بتوزيع مال الزكاة على الفقراء نقودا او مأكولات او غيرها مما ينمحى أثره بعد بضعة ايام ويظل الفقراء على فقرهم •

كذلك تشعر الطبقة الفقيرة التى تنتفع بالضريبة بأنها تحصل على حقها لا أنها تتلقى احسانا من الاغنياء وكذلك عدم السماح لدافعى الضريبة بأن يشعروا انهم كرماء وانهم يتبرعون بما يستطيعون الامتناع عن دفعه » •

وتدخل مجلة «شبرا» فى اشتباك عنيف مع البرجوازية المصرية •• اذ يكتب على اسلام باشا مقالا فى «المجلة الجديدة» ينعى فيها على العمال كثرة مطالبهم مما يهدد تقدم الصناعة •

ويرد عليه « سلامة موسى» على صفحات «شبرا» بمقال عنيف يذكره فيه بأن « شركة كوم امبو وغيرها من الشركات تتراوح ارباحها السنوية بين ٢٠ و ٦٠ بالمئة من رأس المال » •

ويضرب مثالا محددا «فشركة المياه اتضح انها فى العام الماضى قد أنفقت نحو ٥٥٠ الف جنيه فكان ربحها من هذا المبلغ يزيد على ٣٣٠ الف جنيه ،فأى غبن عليها ان هى أدت الاجور لعمالها» (١) •

واشتباك آخر اكثر عنفا دخلته «شبرا» مع«بنت الشاطىء» عندماهاجمت الحركة العمالية •• واستخدم عصام ناصف «بنت الشاطىء» مجرد مدخل لحملة هجوم عنيف على خصوم الحركة العمالية •• وتحت عنوان « عدو جديد للعمال والفلاحين ــ الآنسة بنت الشاطىء » يشن عصام الدين ناصف هجومه على الجميع ••

« ما تزال حركة العمال فى مصر منذ نشأتها تواجه عداء بعض الجهات والافراد ، وما يزال بعض الافراد يصرحون تصريحات تدل على عدم فهمهم للحركة كتصريح معالى عبد السلام فهمى جمعه باشاوزير التجارة والصناعة بأنه يعمل لحماية اصحاب الاعمال من العمال •• وتصريح رفعت النحاس باشا الاخير ضد النبيل عباس حليم وعمله لانشاء حزب العمال •

ولا تزال حركة العمال تواجه منذ نشأتها أنواعا اخرى من المحاربة خالية من الصراحة والرجولة ، فالبعض يتجسس لمصلحة القلم السياسى • والبعض

---

(١) شبرا ، ٢٢–٤–١٩٣٧ •

يتصل علانية بمصلحة العمل على زعم انه يستعين بها لخدمة العمال والحقيقة انه لا يعمل الا لنفسه وقد ظهر خصم جديد لحركة العمال ولكنه في هذه المرة من الجنس اللطيف وهي الآنسة عائشة عبد الرحمن ٠٠ وهي تنشر مقالاتهـا في جريدة « الاهرام » بامضاء « بنت الشاطىء » ٠

ثم يسدد عصام ناصف هجماته في عنف « قرأت الكثير من مقالات هذه الآنسة ولا أذكر انى وجدت بينها مقالة واحدة خالية من حملة موجهة ضـد الفلاحين العمال ، وقد كنت فيما مضى أسند ذلك الىجهلها بالمسائل العمالية والى رغبتها في ارضاء الجريدة التى تدفع لها أجر مقالاتها ٠ ولكن ما نشرته في «اهرام» الثلاثاء ٧ سبتمبر الماضى يدل على ان الامر أسوأ من ذلك ٠ وقد بدأت مقالها بالديباجة المملة التى تكتبها في جميع مقالاتها والتى تزعم فيها انها ما كانت تود العودة الى هذا الموضوع لولا شعورها العميق ٠٠٠ الخ ٠ ثم ذكرت ان قضية العمال « قضية غريبة المنشأ والنزعة » ولا أعرف شيئا أغرب فىالمنشأ

والنزعة من خلط هذه الآنسة في مسائل العمال والفلاحين ثم قالت ما نصـه « هل فكر احد في مغزى حركة العمال من حيث كونها تطبيقا حرفيـا للنظم الغربية ؟ أرجو ان تكون هذه النقطة بالذات قد ظفرت باهتمام متزعمى حركة العمال ، فهى كفيلة بأن تسلحهم ببعض الحذر ، حتى نأمن الاندفاع في التطبيق الحرفى لنظم بلاد ليس لنا مثل ظروفها ، ان تحقيق مطالب العمال فيما يتعلق بارتفاع الاجور وتحديد ساعات العمل من شأنه حتما ان يزيد في نفقـات الانتاج » ٠

ويمضى عصام ناصف في عنفه المعروف به ، ردا على الفقرة السابقةقائلا « وما نظن هذه الآراء في حاجة الى اظهار سخفها ، ولكن استمرار نشر هـذه الآراء التخريفية في جريدة واسعة الانتشار قد يهوش بعض الذين لا علم لهم بحركة العمال ولذلك نذكر في منتهى الايجاز :

١ ـ انتطبيقنا لبعضالنظم الغربية تطبيقا حرفيا ليسمما يصح التنصل منه ، فان ذلك يكون في كثير من الاحيان خيرا من التخبط في تجارب ونظم يخترعها لنا أناس قليلو الخبرة والتجربة ٠

٢ ـ ومع ذلك فاننا لا تطبق النظم الغربية تطبيقا حرفيا ، وليس ادلعلى ذلك من البرنامج العمالى الذى سننشره في الاسبوع القادم ٠

٣ ـ ان رفع أجور العمال وتحديد ساعات عملهم لا يزيد من نفقاتالانتاج زيادة محسوسة فان أجور العمالفي مصر لاتكون الا نسبة ضيئلة جدا جدا جدا من نفقات الانتاج » (١) ٠

لكن عصام لا يكتفى بتسديد هجماته الى «بنت الشاطىء» وأمثالها ،وانما بوجه الهجوم عنيفا ومباشرا الى النظام الرأسمالى ذاته ، وتحت عنوان «فشـل النظام الاقتصادى الحاضر» يقول « في مصر ملايين القناطير من القطن مكدسة

---

(١) شبرا ، ٩ـ٩ـ١٩٣٧ ٠

لا شار لها لانخفاض سعر محصول القطن ، وفى مصر ملايين من العـــرايا الذين تعوزهم الالبسة المنسوجة من القطن وغير القطن ، ولكن القطن باق بلا غزل او نسج ٠ وفى مصر وانجلترا وأمريكا وغيرها ملايين من العمال عاطلين تنتهى عطلتهم ومسغبتهم اذا هم اشتغلوا فى غزل القطن ونسجه ٠٠

فما معنى كل هذا ؟ معناه ان هنالك خللا جوهريا فى نظام الانتـــاج والتوزيع ٠ وأى نظام هذا الذى ينشر العطلة والفقر والعرى سدا لنهم فريق من رجال الصناعة » (١) ٠

وهو يدين النظام الرأسمالى العالمى ككل باعتباره مصدرا للاســتعمار ومصدرا للحرب الوشيكة الوقوع وذلك فى مقال بعنوان «العالم يتخبط فى بحران من الخوف ــ عصر المدنية أم عصر الاستعمار ــ احصاء المستعمرات التى تملكها الدول الكبرى » (٢) ٠

وينشر عصام مقالا بالغ الاهمية يشرح فيه بالتفصيل وبتبسيط مدهش «المذهب الاشتراكى وتطبيقاته والفرق بين المرحلة الاشـــتراكية والمرحلة الشيوعية ٠٠ والمقال بعنوان «علاقة الاشتراكية بالمذاهب الاجتماعية الاخرى» ٠

ولكى يحمى نفسه من هجوم متوقع فانه يسكت اعداءه بأن يضع فى صدر المقال العبارة التالية « حكمت محكمة جنايات الاسكندرية فى نوفمبر ١٩٣١ بأن هذا الموضوع لا يحوى شيئا يعاقب عليه القانون » (٣) ٠

والمقال طويل وهام لكننى سأكتفى بايراد فقرة واحدة منه يشرح فيها عصام طبيعة النظام الاشتراكى ٠٠ «٠٠٠ أما النظام الاشتراكى للانتاج فانه يجعل المعامل ملكا للدولة تديرها لمصلحة الشعب بواسطة موظفيها ٠٠ وكذلك الحال فى الانتاج الزراعى فتصير جميع الحقول ملكا للدولة يديرها موظفون بأحدث الآلات وعلى أحدث الطرق الاقتصادية مع اراحة عمالها بتحســين مرتباتهم وتقليل ساعات عملهم ٠٠ واعطاءهم امتيازات كثيرة كمجـــانية التعليم والمعالجة ودخول المسارح ، والسكن فى بيوت مســـتقلة ذات حدائق ٠٠ »

وهو لا يكتفى بالكتابة بل يترجم كثيرا من المقالات وخاصة مقـــالات المفكرين الشيوعيين الالمان ، أمثال كارل ديل وكمفماير وليبنخت ولودفيج كسل ٠٠

وثمة مقال هام بوجه خاص ترجمة عصام لجريدة «شبرا» بعنـــوان

---

(١) شبرا ، ٩ــ٥ــ١٩٣٧ ٠
(٢) شبرا ، ٢٠ــ٥ــ١٩٣٧ ٠
(٣) شبرا ، ٢٩ــ٤ــ١٩٣٧ ٠

« موقف الاشتراكيه ازاء الدين والزواج · من محاضرات كارل ديل » (١) ·
ونكمن اهميه هذا المقال في انه يدحض افتراءات اعداء الاشتراكيه والماركسيه حول قضايا الدين والزواج ··
وتفسح «شبرا» صدرها لشكاوى العمال ونداءاتهم ومطالبهم ·· ومقالاتهم ايضا ·

ومنه نداء تنشره «شبرا» موجه «الى عمال الترام ـ ايها الزملاء العمال انتم الان في غايه الضعف ، ولستم احرارا ، وليس في استطاعتكم ان ترقوا سلم التقدم والوصول الى تحقيق مطالبكم اذ يقتضي ذلك وسائل جمه لا تتوفر لديكم · ان حاله النقابه التي عليها الان محزنه للغـــايه ، وبان الواجب ان نتعاون جميعا على تحسين حالها ، وليس لدينا الان نقابه بالمعنى الصحيح·· والتوقيع ـ نقابي حر ـ عامل بالترام» (٢) ·

وتشن «شبرا» هجومها على المجلس الاستشاري الاعلى للعمل والعمال الذي أسسه الوفد وتقول « انه ليس محل تقدير العمال ولا موضـــــــع ثقتهم » (٣) ·

* * *

لكن ذلك كله لم يكن الا مجرد تمهيد للمعركة الاساسيه وهي معركه تاسيس حزب العمال ·· المعركه التي خاضها عصام ضد قوى عديدة أهمها الوفد الذي القى بكل ثقل زعامته وجماهيريته ضد هذه الفكرة ، والسراى التي تدخلت باسم « جلاله الملك» طالبه تعديل البرنامج الذي اعده عصام ، والنقابيين الصفر الذين كانوا يتحلقون حول « النبيل » ليبتزوا امـــــوال النقابات ، وقوى الامن والبوليس السياسي التي كانت تتابع بحذر بالغ كل حركه لعصام ، وفوق هؤلاء جميعا سلطات الاحتلال ··

ومع ذلك استطاع عصام ان يناور بين هذه القوى جميعا ليخرج الى حيز التنفيذ بالفكرة التي سيطرت على وجدانه لامد طويل ··
وكانت «شبرا» منبره الاساسي في هذه المعركة ··
ويكتب عصام ناصف على صفحاتها قائلا :

«يجب على عمال المدن والارياف ان ينشئوا حزبا سياسيا يعبر عـــن آراءهم وينظم نضالهم في سبيل تحقيق مطالبهم العادلة ويتيح لهم تمثيل جموعهم الهائلة في المجالس النيابية وفي مناصب الدولة » ·
وهو يؤكد ان حزب العمال سوف يخدم مصر كلها وليس العمـــــال

---

(١) شبرا ، ٩ـ٨ـ١٩٣٧ ·
(٢) شبرا ، ١٣ـ٥ـ١٩٣٧ ·
(٣) شبرا ، ٢٧ـ٥ـ١٩٣٧ ·

وحدهم .. فهو باشتراكه في الحكم « سيقي الحكومه شر الاسراف وتبدير اموال دافعي الضرائب ، فيما لا نفع ويقي الشعب خطر سوق ابنائه الى ميدان الحرب للدفاع عن المصالح الاستعماريه او سواها من مظاهر الرأسماليه المدججه بقاذفات النار والسموم . ان حزب العمال والفلاحين هو الهيئه الوحيدة التى ستطيع فى هذه الظروف المرتبكه ان تنتشل الطبقه العامله فى مصر مما هى فيه من الاوحال وتضعها فى المستوى الذى يتيح لها ان تشارك باقى الطبقه العامله العالميه بفضل الجهاد الدولى لتحرير العمال من عبوديه الاجر وانقاذ الجنس البشرى كله من التقاتل على مذبح نفر من الراسماليين الانانيين » (١) .

اهداف الحزب اذن واضحة وأهمها وأكثرها وضوحا هو توجيه المعركة ضد الرأسماليين الانانيين ، وتحرير العمال من عبودية الاجر ..

وكان ذلك فوق ما يطيق « النبيل » وغيره ممن كانوا يريدونها محاولة لحرف أنظار العمال .. عن هذا الهدف بالذات ..

والحقيقة ان عصام ناصف بدعوته الى تأسيس « حزب عمال » كان قد راجع كثيرا عن موقفه الاصلي سعياوراء البقاء مع « النبيل » ومجموعته .. فبل سنوات كتب عصام مقالاهاما بعنوان «حزب اشتراكى لا حزب عمال»(٢) رفض فيه فكرة تأسيس حزب عمالى دون النص فى اسمه على انه اشتراكى، لكن الظروف ألجأت الرجل الى التراجع والتحايل بحثا عن المستحيل ..

وهو فى معركته هذه يتوجه الى مجموع العمال محاولا ان يتحصن معها وبها ضد اعداء فكرته .. ويوجه على صفحات «شبرا» نداء الى الطبقة العاملة ..

« ايها العمال .. انتم الان غير احرار من الوجهة الاقتصادية ، وليس فى استطاعتكم ان ترقوا سلم المراتب الاجتماعية . انتم تبيعون عملكم بقيمة لا تسمح لكم بالمعيشة فى المستوى المألوف فلا يمكنكم الاستمرار حتى فى انتاج القدرة على العمل وهكذا يلحق بكم التلف فى سن مبكرة فتزداد وسائل استغلالكم والسيطرة عليكم وتعيشوا فى البؤس والشقاء والعبودية والجهل والقسوة والانحلال الخلقي .

وان حالة العامل المصرى الاقتصادية هى أصل البؤس الاجتماعى ومنشأ الاستعباد بجميع أشكاله وعلة التدهور الخلقي والاستعباد السياسى » .

وهو يعلم ان الوفد بما له من نفوذ يقاوم محاولته ولهذا فانه يتوجه حتى الى العمال الوفديين « ليس للمسائل العاطفية والحزبية موضع ، ولا معنى لضياع الوقت وليست قضية العمال قضية فرعية ، بل هى قومية واجتماعية

---

(١) شبرا ، ١-٤-١٩٣٧ .

(٢) ملف القضية ٣٧٥ منشية — ٣٤٤ كلى جنايات الاسكندرية عام ١٩٣١ — ص ١٢٠

نشمل الجميع ونطرح فى سبيلها التفرقات بين شتى الالوان .. واعلموا ان ـسم ليس الا كفاحا فى سبيل الحضارة وان به وحدة نكتمل اسبابيتكم جسما وروحا » (١) .

ثم هو لعادته يرفع صوته مهددا الجميع « حزب العمال قائم لا محالة » وهو مقال عنيف يقول فيه « وبما ان اصحاب الاعمال لم يبد منهم ما يـــدل على فهم هذه الحقيقه . لذلك لم يبق بدا من ان يؤسس العمال مؤســـسات تعودهم الى نيل هذه الحقوق ، وبما ان النقابات العماليه لا تكفى وحدهـــا لتسديد خطاهم ، لذلك لم يبق بدا من تاسيس حزب العمال . وليس الغرض من الحزب هو مجرد مساعدة العمال والفلاحين فى الحصول على بعض المزايا، بل ان عرضه الاساسى يتعدى ذلك كثيرا فهو يرمى الى اشتراك العمال فى ادارة دفه سياسه الدوله كلها ... ولن يقتصر حزب العمال (كالنقابات) على معالجة شئون العمال الخاصة باجورهم ومقدار ساعات عملهم وما اليها ، بل هو يرمى كأى حزب سياسى آخر الى ادارة سياسة الدولة كلها .. فهـــو حزب جميع المصريين المتحررين العاملين لبناء مصر الحديثه ، ومما لا ريب فيه ان سياسة العمال هى السياسة الوحيدة التى تناسب العالم فى هـــذا الزمن المتقدم ، وخصوصا من وجهة النظر الوطنيه » .

ثم يقول عصام كلمته التى فجرت الموقف وأخافت كل القوى ودفعتها الى مقاومته ..

« ولسوف يعمل الحزب بالطرق السلمية ، للاستيلاء على السلطـــة السياسية » (٢) .

هنا تشعر السلطة الحاكمة بمختلف مؤسساتها انه يتعين عليها ان تجابه محاولة عصام ناصف ..

وشن الوفد والنحاس باشا شخصيا حملة عنيفه على المحاولة .. وسخر عصام معظم صفحات «شبرا» للرد على الحملة الوفدية ..

وتحت عنوان « حزب عمال لا اتحاد نقابات» قال « لقد كانت الضربة التى نزلت على أم رأس الوفد باعلان النبيل عباس حليم انه يعتزم العمـــل لانشاء حزب العمال بمجرد عودته من رحلته الدراسية فى أوربا ــ كانت تلك الضربة قوية الى حد أفقد الوفد رشده ، فسارع النحاس باشا رئيس ذلك الحزب ورئيس الحكومة يخطب فى الاسكندرية متهما عمل النبيل عباس حليم بأنه دس للوفد ولكن انشودة الدس والدسائس والدساسين قـــد اصبحت ممجوجة هى ومنشدوها » .

لكن الخطر لا يأتى من مجرد هجوم النحاس ، بل من الضغوط التى تعرض لها « النبيل » وهو فى لندن حتى أعلن من هناك انه لا يعتزم تأسيس حزب عمالى وانما اتحاد عمال فقط .

---

(١) شبرا ، ٩ـ٩ـ١٩٣٧ .

(٢) شبرا ، ١٦ـ٩ـ١٩٣٧ .

لكن عصام ناصف لا يتراجع بسهوله ..

فهو يدلو الجميع بل ويدلو « النبيل» نفسه انه قــد صرح « بلهجه ساطعه واداع فى الصحف انه يعتزم انشاء حزب عمالى ... ومن الواضح ان النبيل لم يكن هازلا حين قال ذلك بل كان يعنى تماما ما يقول ولذلك فقــد دهشنا اكبر دهشه حين قرانا ما نشره « الاهرام » فى ١٠ ســبتمبر الماضى لمراسله فى لندن من ان النبيل سيكتفى (على الارجح) بتكوين اتحــــاد نقابات » .

ويمضى عصام محاولا التخلص من المازق الذى وضعه فيه « النبيل » ، مؤكدا اصراره واصرار العمال على تاسيس حزب لهم حتى رغم انف النبيل « اذن فليخفف النحاســـيون من فرحهم وهنافهم وزعمهم انهم انتصروا ، وقضوا على الحزب فى مهده .. ولا يفوتنا هنا ان نلفت نظرهم الى الفــارق الكبير بيننا وبينهم ، فنحن لا نؤمن مثلهم بنظريه الايمان الاعمى بالزعامه .. وعدم التفكير الا بعقل الزعيم . بل نحن نفكر بعقولنا نحن ، ونعمل مانقتنع نحن به وهذا مايجعل الزعيم عباس حليم يشعر بالفخار لانه يتــزعم حركتنــا ولا يتزعم جماعة مثل جماعتكم » .

ثم يمضى عصام ليقول كلمته الاخيرة ..

« فاذا فرضنا مثلا (وهذا ما نكتبه على سبيل الجـــدل ولا نعتقده قط) ان النبيل عباس حليم رأى ان يتخلى عن الحركه .. فهل معنى هذا ان العمال يمتنعون عن انشاء حزب العمال ؟ كلا ثم الف كلا فالعمال سينشئون حزب العمال لا لان الزعيم عباس حليم يرى ذلك فقط ، بل لانهم هم يرون ذلك » (١) .

ولكى لا يدع الفرصة امام اى تراجع يسارع عصام بنشر « مبـــادىء حزب العمال » وهى نفس البرنامج الذى كان عصام قد أعده خلال محاولته السابقة لتأسيس حزب للعمال والفلاحين هو واسماعيل مظهر .. وقد نشر هذا البرنامج فى مجله «العصور» (٢) ثم فى مجلة «روح العصر» وقد أشرنا اليه فى الفصل الخاص بمجلة «روح العصر» :

لكن عصام يدرك ان هذا البرنامج اكثر من متطرف بالنسبة للنبيل هو لا يريد ان يخسر النبيل ..

لكنه ايضا لا يريد ان يبدو «معتدلا» اكثر من اللازم امام العمال الذين سارع بتكتيلهم دفاعا عن هذا البرنامج ..

ولهذا أمسك بالعصا من منتصفها فنشر البرنامج داعيا العمال للتكتل حوله والدفاع عنه حتى فى وجه النبيل نفسه ، وان كان قد أتاح الفرصة امام النبيل ايضا ليقول كلمته ..

« نحن ننشر هذا البرنامج ليكون القارىء فكرة عن حزب العمال الذى

---

(١) شبرا ، ١٦-٩-١٩٣٧ .

(٢) العصور ، يونيو ١٩٣٠ .

سيتكون فى القريب العاجل والذى سوف يكون برنامجه مشابها لهـــذا البرنامج بعد ادخال التعديلات التى هى نتيجه دراســـات الزعيم حليم فى اوربا الان ‥ » (١) ٠

لكن عصام لا يكتفى بالنشر ‥ بل هو يكتل العمال خلف البرنامـــج ويعقد مؤتمرات للعمال ليناقشوا البرنامج ، ثم ينشر على أعـــداد متواليه توقيعاتهم تاييدا لبرنامجه ‥ واضعا النبيل فى مأزق شديد الحرج ‥

وعصام لا يكتفى باعلان برنامج يسارى لحزبه بل هو يعلن باعلى صوته فى مقال عنيف رفضه لكل الاحزاب الاخرى لانها تمثل طبقات معـــاديه « حزب العمال يقوم على انقاض الاحزاب الاخرى » (٢) ٠

★ ★ ★

ولان القصه غريبة فقد كانت لها بدايتان ‥ وايضا كانت لها نهايتان٠

الاولى نهايه محاوله تاسيس الحزب ‥ فعندما وصلت الامور الى هذا الحد ، وعندما اوشك حزب العمال ان يكون حقيقه واقعه ، وعقدت سلسله المؤتمرات العماليه لمناقشه البرنامج والموافقه عليه ، وانهالت التاييـــدات والتوقيعات لتغمر معظم صفحات مجله «شبرا» ‥ هنا ادرك الجميع ان الامر جد لا هزل ‥ واستدعى النبيل عباس حليم على عجل الى القاهرة ، وتدخل الملـــك شخصيا فى الامر ، وتنشر « شبرا » الخبر « وقـد علمنا ان عـددا كبيرا من العمال البارزين فى صفوف الحركه العماليه قد اجتمعوا مـــع بعض المثقفين المعروفين بارائهم وثقافتهم العمالية ودرسوا مشروع اعـــلان الحزب وقرروا :

١ ـ انشاء حزب العمال المصرى ٠

٢ ـ اعتماد المبادىء الاقتصاديه والاجتماعية التى وضعها الاستاذ عصام الدين حفنى ناصف ونشرت فى جريدة «شبرا» بتاريخ ١٦ سبتمبر ١٩٣٧ ٠

٣ ـ الاستغناء عن برنامج سياسى للحزب وذلك نزولا على نصيحـــة حضرة صاحب الجلالة الملك بعدم الاشتغال بالمسائل السياسيه » ٠

وهكذا كان ثقل الملك ضروريا كى تهزم محاولة عصام ناصف ‥

وأحس الرجل ان الحزب الذى يزمعون انشـــاءه بعد تجريدة من حقه فى الاشتغال بالسياسة ليس هو الحزب الذى يريد ولا الحزب الذى كان يؤمل ان يبنيه ‥ وانسحب ٠ لكنه انسحب ليحارب فى جبهة اخـــرى ‥ ويشن الحملة على الجميع ‥ بما فى ذلك عباس حليم نفسه ٠

وفى مقال عنيف نشره فى جريدة « الشعاع » وهو مقال كان نهـــاية العهد لعصام بميدان العلنية ذلك انه تحول بعد ذلك الى العمل السرى ‥

---

(١) شبرا ، ١٦ـ٩ـ١٩٣٧ ٠

(٢) شبرا ، ١٦ـ٩ـ١٩٣٧ ٠

مسنعا بعد كل هذه التجارب انه لا مجال لمساومة « البرجوازية » على علانية النضال من اجل حقوق الطبقه العامله .. ومن اجل الاشتراكية .. يقول عصام .

« عمال قبل كل شيء .. حذار من تضليل البرجوازية » هذا هو عنوان المقال الذى جاء فيه « ليس هناك أشد ضلالا ممن يزعم ان هنـــاك نزاع بين الوطنيه المصريه والعامليه المصريه .. ما أمهر احزاب البرجوازية فى التهويش والتضليل ، انها تعطى للعامل خنجرا مسموما ليطعن به طبقته وتدعوه باسم الدين او الوطن ان ينتحر فيفعل . ويقولون له ابق مكانك لا تتقدم الى الامام حتى ننتهى نحن من اجلاء المحتلين فيجيب سمعا وطاعة سأبقى قابعا فى الاوحال القذرة الى ان يصدر أمركم بالتحرك فأتحرك فى الطريق الذى سارت فيهـــا احزاب العمال والاشتراكية فى سائر بلاد العالم » .

ويمضى عصام قائلا « أننا نسعى لتحسين حاله أغلبية الامة من عمـال المدن والارياف وهذا امر لا يعوق الحركه الاستقلالية ، بل هو حـــــرى ان يقدمها ويقويها فاذا زعمت هذا الهيئات ان حركة العمال تعرقل جهادكم ، بل هو حرى ان يقدمها ويقويها فاذا زعمت هذه الهيئات ان حركة العمـــال تعرقل جهادكم ، فالامر سهل ، فليتخلوا للعمل عن الجهاد لتحرير الوطن . ان العمال يستطيعون النهوض بالحركتين معا : الاستقلالية والعمالية » ولقد ابتت الحوادث فى الصين وغيرها ان احزاب العمال هى التى تستمر الى النهاية فى الجهاد ضد الاحتلال الاجنبى على نقيض الاحزاب البرجوازية فهى مرتشية ، تساوم العدو على حقوق بلادها ، وتضحى بالمصلحة العامة فى سبيل المصلحة الحزبية والشخصية .. » (١) .

ولم تكن هذه مجرد نهايه لمحاولة مستميتة سعيا وراء المستحيل بل كانت بدايه لاقتناع الرجل بأن « العلانية والقانونية » ليسا هدفا بذاتهما وانما الهدف هو « الاشتراكيه » .. واذا استحال السعى للاشتراكية علنا .. فلنسع اليها «سرا» .

وانضم عصام الدين ناصف الى موكب الحركة الشيوعية التى كانت تتبلور فى ذلك الحين .

★ ★ ★

والنهاية الثانية للقصة .. متعلقة بالمنبر الذى خاض عصام معـــركته من فوقه جريدة «شبرا» التى «احتلها» عصام «احتلالا» واستخدمها بفاعلية وكفاءة كمنبر يسارى يدافع به عن فكرته ..

ولم تكن «شبرا» مجرد منبر للدفاع عن حقوق العمال والفلاحين ، او للدعوة الى حقهم فى تأسيس حزب لهم ، بل فتحت صفحاتها أمام الدراسات الاشتراكية العلمية وأمام المعارك التى خاضتها الانســـــانية ضد الفاشية وخطرها ، وعلى صفحاتها ترددت نداءات اليسار العالمى ضد الحـــرب .. وضد الفاشية وضد الاستعمار ..

---

(١) الشعاع ، ٢٣ ــ ٥ ــ ١٩٢٨ .

وقد نظمت «شبرا» حملة شعبية ضد الغزو الايطالى للحبشة بدأنها بنشر نداء صادر عن الاتحاد الدولى للسلم والجمعية الدولية للهيئات التابعة لعصبة الامم والمؤتمر الدولى للشباب بعنوان «نداء الى جميع الساخطين على غزو الحبشة » (١) ٠

ان الاعداد التى صدرت من مجلة «شبرا» خلال فترة سيطرة عصام ناصف عليها كانت وبحق نموذجا فريدا لكفاح الحركة اليسارية عندما تستخدم منبرا غريبا عنها ، ثم تتحكم فيه ، وتلوى عنقه ليخدم مصالحها ٠٠ لكن ذلك ــ بالضرورة ــ لا يمكن ان يستمر طويلا ٠٠

والنهايتان متواكبتان ٠٠

فما ان تجهض محاولة عصام لتأسيس الحزب بناء على تدخل من الملك ٠٠ وما ان ينسحب عصام من حزب لا يمتل أحلامه ، حتى تنسحب « شبرا » ايضا من المعركة وتنحاز الى الوفد ٠٠

لقد فقدت الملهم ٠٠ الذى كان يبث فيها روح الشجاعة ٠٠

وانسحاب «شبرا» من المعركة تم تحت ضغط وارهاب السلطة ، ففى اعقاب محاولة فاشلة لاغتيال النحاس باشا شملت الاعتقالات محمد عبدالحميد عبد الله صاحب «شبرا» ورئيس تحريرها ٠

وهو يشير الى حادث القبض عليه « في مساء اليوم التالت لعيد الفطر » ثم الافراج عنه مقدما شكره « للعدالة والاخوان » ٠

ويبدو ان الافراج لم يكن بغير ثمن ٠

فقد غيرت «شبرا» موقفها تماما ، حتى القطع غيرته ٠٠ وصدرت فى قطع صغير ، وحذفت من صدرها عبارة « لسان حال العمال » واكتفت بأنها «جريدة سياسية اسبوعية » ثم دفاع عن النحاس باشا «زعيم البلاد» (٢) ٠

والباقى يمكن تخيله ٠٠ مقالات عادية بغير اتجاه ٠٠

لقد تخلت «شبرا» عن مسارها اليسارى وعادت مجلة «عادية» من جديد ٠

★ ★ ★

ولم تكن «شبرا» النموذج الوحيد لمحاولة عصام ناصف لتحويل مسار جريدة والسير بها فى اتجاه اليسار ،فلقد كانت هناك محاولات اخرى عديدة، صندوق الدنيا عام ١٩٣٣ ، الادب الحى عام ١٩٣٧ ، الشعاع ١٩٣٨ ٠٠ لكنها لم ترتق سواء من حيث العمق فى الاتجاه اليسارى او من حيث القدرة فى التحكم الى المرتبة التى وصلت اليها «شبرا» ٠٠

فقط ، أردنا ان نشير الى هذه المحاولات استكمالا للصورة العامة ٠

---

(١) شبرا ، ١٦ــ٩ــ١٩٣٧ ٠

(٢) شبرا ، ١٦ــ١٢ــ١٩٣٧ ٠

التطـور

فى هذا العدد

العدد الاول ـ يناير ١٩٤٠ **الثمن قرشان**

« غلاف خارجى من ورق مقوى يتغير لونه فى كل عدد »

المؤلـــف

التطـــور

مجلة شهرية تصدرها جماعة الفن والحرية

العدد الأول يناير ١٩٤٠

صاحب الامتياز
ورئيس التحرير
أنور كامل

الادارة شـــارع المدابغ
رقم ٢٨ بالقاهرة ٠
الاشتراك ٣٠ قرشا عن سنة
و ١٥ قرشا عن نصف سنة

اتجاه جديد

« نحن نؤمن بالتطور الدائم والتغيير المســتمر ٠٠ »
« نحن نقاوم الاساطير والخرافات ونكافح القيـــم المتوارثة ٠٠ التى وضعت لاستغلال قوى الفـــرد فى حياته المادية » ٠

« غلاف داخلي من ورق عادى »

المؤلـــف

« ... في البداية اتصلت بجماعة Essayiste «المحاولين» ولكن صلتي بهذه الجماعة كانت ضعيفة جدا ولم تتعد زيارتين او ثلاثة لكنني لم أشعر بالقدرة على الاندماج معهم ..

وفي عام ١٩٣٦ أصدرت كتابا اسمه « الكتاب المنبوذ » وقد صـــدر عن دار نشر كان يملكها أحمد الصاوى محمد وهي دار «مجلتى» (١) .. وعـــن طريق هذا الكتاب تعرف بي كامل التلمساني وتدعمت العلاقات بيننا بشكل وثيق ومستمر ..

« ... وعن طريق التلمساني تعرفت بجورج حنين ، وتوثقت علاقتي به . وكان يرتب في ذلك الحين هو وعدد من المصريين للانفصال عن جماعة «المحاولين» .. وبعدها اتصلنا بالنادى الديمقراطى لكن لم نشعر بالارتياح معهم ... وهكذا انفصلنا انا وجورج حنين وكونا «جماعة الفن والحرية» .

« وأصدرنا سلسلة من النشرات وأذكر بأن اول نشراتنا كانت عنيفة جدا بعنوان « يحيا الفن المنحط » وكان الاتجاه العام للبيان معادى للفاشية ودفاع عن حرية الرأى ، وبعدها أصدرنا نشرة ثانية وكانت دراسة لاندريه جيدأعتقد ان عنوانها كان «دفاع عن الثقافة» .

وعقب ذلك تجمع حولنا عدد من الشبان وأحسست انه لابد ان تكون لنا مجلة فحصلت على ترخيص مجلة « التطور » وكنت رئيس التحرير وصدر العدد الاول في يناير ١٩٤٠ » (٢) .

هكذا صدرت « التطور » لتفتح صفحة جديدة من صفحات الصحافـــة

---

(١) اصدرمجلس الوزراء في ١٩ أغسطس ١٩٣٦ قرارا بمصادرة هذا الكتاب ومنـــع تداوله في الدولة المصرية لانه « يدعـــو الى الاباحية والتجرد من الاديـــان والتخلى عن الفضيلة والضمير في سبيل ارضاء الشهوات الجسدية - راجع انور كامل - مقال تيارات رجعية - مجلة التطور - مارس ١٩٤٠ .

(٢) راجع النص الكامل لمحضر النقاش مع انور كامل في د. رفعت السعيد - اليسار المصرى ١٩٢٥ - ١٩٤٠ - دار الطليعـــة بيروت - الطبعة الثانية - ، ص ٢٥٢ .

اليسارية فى مصر .. فقد سبقتها محاولات لتأسيس صـــــحافة حزبية لليسار ، ومحاولات أخرى لاستخدام «الجريدة» منبرا لبث الدعوة الاشتراكية من أجل توثيق النشاط العلنى للفكر الاشـــتراكى ومحاولة تأسيس منبر اشتراكى علنى ..

وتأتى «التطور» لتبدأ مرحلة جديدة ، انها جريدة تحـــاول ان تجمع حولها تيارا من المثقفين اليساريين ليفكروا معا فى الطريق الذى يجـــب ان يسلكوه ..

نحو ماذا ؟

هنا يثور الخلاف بين الرواة ..

يقول أنور كامل انه اشترك فى تأسيس جماعة « الفن والحرية » مـع « جورج حنين » .. « وحول مجلة التطـــور تجمع عدد كبير من الشـــبان المصريين المتحمسين للاصلاح وبدأت أشعر اننا بحاجة الى حـــركة اكثر ارتباطا بمشاكل الجماهير .. وهكذا تزعمت مجموعة من اعضـــاء « الفن والحرية » لنكون ناديا جديدا أسميناه « الخبز والحرية » (١) .

لكن مارسيل اسرائيل مؤسس التنظيم الشيوعى السرى « تحـــرير الشعب » يقدم لنا رواية اخرى « .. كما قام اعضاء «تحرير الشعب» بوضع أيديهم على مجلة «التطور» وأصدروها باسم الفن والحياة وحولوها من مجلة فوضوية وسريالية الى مجلة عمالية . لكنها لسوء الحظ لم يتسع امامها الوقت لتدعيم تأثيرها فقد منعتها الرقابة بعد صدور عدة اعداد منها . وبعد ان فقدت « تحرير الشعب » كل من « الاتحاد الديمقراطى » و « الفن والحرية» كمنابر علنية كونت بدلا منهما منبرين علنيين آخرين هما « الخبز والحرية » والذى اختير اســـمه بوحى من معـــارضة المثقفين الفوضويين فى اختيارهم لاسم « الفن والحرية » ، اما التجمع الثانى فسمى « ثقافة وفراغ » (٢) .

ويستكمل مارسيل اسرائيل المعلومات الخاصة « بالخبز والحرية » فى تقرير خاص كتبه فى عام ١٩٧٣ وسلمه لى فيقول « وبالرغم من ان قيادة « تحرير الشعب » هى التى كانت مسئولة عن جمعية «الخبز والحرية» الا اننى لم أظهر مرة واحدة فى مقر هذه الجمعية حفاظا على مصريتها » (٣) .

لكن أنور كامل يرفض ذلك كله .. مؤكدا باصرار « لم يكن معنا اجانب

---

(١) د . رفعت السعيد . المرجع السابق ٢٥٣ .

(٢) من تقرير مكتوب على الالة الكاتبةباللغة الفرنسية وهو محاولة لتاريخ حـركة اليسار المصرى ودور مارسيل اسرائيل فيهامرفوعة الى قيادة الحزب الشيوعى الايطالى وقد كتب مارسـيل اسرائيل هذا التقرير عام ١٩٥٠ بعد ابعاده من مصر الى ايطاليامقدما به نفسه الى الحزب الشيوعى الايطالى ..راجعالنص الكامل منالتقرير — المرجعالسابق ص ٢٥٨ .

(٣) مارسيل اسرائيل — تقرير مكتـوب بخط اليد باللغة العربية يروى فيه الـــكاتب ذكرياته بناء على طلب المؤلف .

مطلقا » وأواجهه بما كتبه مارسيل اسرائيل فيقول « لا جدال في أن مارسيل اتصل بنا . وحاول ان يؤثر فينا ، لكنني وزملائي جميعا صممنا على ان تكون « الخبز والحرية » حرية مصرية مائة بالمائة » .

والجأ الى مصدر آخر للمعلومات هو أسعد حليم أحد مؤسسي « الخبز والحرية » وأسأله « يقول مارسيل انه مؤسس « الخبز والحرية » ويؤكد أنور كامل انه مؤسسها فما هي الحقيقية ؟ » .

ويرد اسعد حليم «كلاهما صادق» . نحن (تحرير الشعب) أسهمنا مساهمة ايجابية في انشاء « الخبز والحرية » وكان مارسيل يوجهنا ويقودنا ، وأنور كامل كان الرئيس الرسمي . وكان مجلس ادارة الجمعية مكونا من أنور كامل (رئيسا) ودكتور عبد العزيز هيكل ـ اسعد حليم ـ فتحي الرملي ـ صالح عرابي . وبعد مدة ضممنا عبد العزيز هيكل الى «تحرير الشعب » ، وهكذا فان مارسيل اسرائيل برغم انه لم يضم اسمه كعضو في مجلس ادارة « الخبز والحرية » الا انه كان مسئولا عن ثلاثة اشخاص من مجلس الادارة » (١) .

وهكذا يمكننا ان نفهم الامر كالآتي ..

أنور كامل حاول استخدام « التطور » كمنبر يتبلور حوله اتجاه «مصري» يساري .. وأتاه مصريون لكنهم كانوا منضمين سرا الى تنظيم آخر هو «تحرير الشعب » الذي كان يرأسه مارسيل اسرائيل .

* * *

وثمة رواية أخرى احاطت بتأسيس وتمويل «التطور» فعبد المغني سعيد أحد محرري «التطور» روى في مذكرات له نشرها في مجلة « الثقافة العمالية» مؤخرا ان انور كامل كان في ذلك الوقت على علاقة بمحاولات هنري كورييل لتأسيس تنظيم الحركة المصرية للتحرر الوطني ..

وقد نفي كورييل ذلك في مقابلة معه .. ونفاها أنور كامل ايضا .

وليس أدل على عدم صدق هذه الرواية من أن «التطور» قد توقفت عن الصدور بمجرد ان « جورج حنين » سحب الضمان المالي منها .. ولو كانت « التطور » على علاقة بهنري كورييل في ذلك الحين او حتى على علاقة مباشرة بمارسيل اسرائيل لامكن لاى منهما تدبير ضمان مالي آخر .

* * *

بقيت بعض « الشبهات » التي احاطت « بالتطور » .

---

(١) المرجع السابق ص ٢٧٥ .

فقد قال مارسيل اسرائيل فى تقريره المشار اليه سابقا ان اعضاء « تحرير الشعب » قد حولوا التطور « من مجلة فوضوية وسريالية الى مجلة عمالية » (١) ٠

وأتهمها كثيرون بأنها كانت منبرا تروتسكيا ٠٠

لكن استقراء الاعداد الخمسة التى صدرت من مجلة «التطور» يوضح لنا انه لم تظهر فيها اية مواقف فوضوية اللهم الا بعض ملامح توحى بالاقتراب من الفكر الفوضوى ، برزت خلال عرض جورج حنين لكتاب « مباعث النيران» لنقولا كالاس (٢) ٠

وبعض كتابات كنتروفيتش وبعض الشعارات التى يمكن ان تندرج تحت نفس النمط الذى سارت عليه هذه المجموعة منذ نشأتها عندما اصدرت الكتاب «المنبوذ» وبيان « يحيا الفن المنحط » وشعارات مثل تلك التى ظهرت على الغلاف الاخير للعدد الاول « هل تريد ان تقتل كل الادب والفن الحر فى مصر وأن تقضى على كل اصلاح وتجديد يتطلبه المجتمع ٠٠ اذن فلا تشتر هذا العدد ، فستقتصد قرشين » ٠

وكانت مثل هذه الرموز تفسر فى المحيط الثقافى المصرى فى ذلك الحين على انها انتماءات فوضوية ٠٠ لكنه يصعب علينا ان نصم التجربة كلها بالفوضوية أو حتى نصل الى حد القول بأن بصمات الفكر الفوضوى كانت واضحة المعالم فى مجلة « التطور » ٠

كذلك فاننا نود ان نؤكد انه باستقراء كافة أعداد التطور الخمس لم نجد بها اية دعاوى تروتسكية ٠٠ لكن ذلك لا ينفى مطلقا ان بعض مؤسسيها (جورج حنين مثلا) كان تروتسكيا ٠

لكنه قد استلفت نظرنا ــ وهذه مسألة ذات اهمية خاصة ــ ان اسم الاتحاد السوفييتى لم يرد مطلقا ٠٠ فى كل اعداد التطور لا بالسلب ولا بالايجاب ٠ مما يوضح ان الموقف منه كان محل خلاف ٠ وذلك برغم ان كل صحف هذه الفترة كانت بحكم تطورات الاوضاع الدولية فى ذلك الحين زاخرة بالحديث عن الاتحاد السوفييتى ٠

كذلك فانه مما يلفت النظر ان «التطور» لم تشر من قريب او بعيد الى الخطر الفاشيستى او الى الحرب العالمية الثانية ، او الى الدعاوى الهتلرية ٠٠ مما يوحى ايضا بأن هذه المسألة كانت موضع خلاف (واضعين فى الاعتبار ان التروتسكيين كانت لهم مواقف متناقضة مع مواقع الحركة الشيوعية حول هذه المسألة ٠٠ فى ذلك الحين) ٠

على انه بمكننا ان نقول ان استقراء اعداد التطور يوضح لنا انها كانت مسرحا لصراعات بين قوى مختلفة ٠

---

(١) المرجع السابق ص ٢٦٨ ٠

(٢) التطور ، العدد الاول ــ يناير ١٩٤٠ ٠

جورج حنين وأنور كامل وكانا معا في اتجاه « يساري معتدل » لم تبرز فيه على صفحات التطور – على الاقل – اية لمحات تروتسكية ، وان كانا قد اتخذا في مسارهما العام بعد ذلك موقفا تروتسكيا ، وقد انفصل الاثنان ابتداء من العدد الخامس والاخير وذلك على اثر انفصال أنور كامل عن «جماعة الفن والحرية» مؤسسا «الخبز والحرية» داعيا الى الابتعاد عن الاجانب وذوى الثقافة الاجنبية والالتحام بالمصريين (وسوف نرى ان جورج حنين ظل لصيقا بالاجانب ٠٠ كان يكتب اشعاره بالفرنسية ٠٠ ثم هاجر من مصر واقام في فرنسا حتى مات فى اغسطس ١٩٧٣) ٠

وكان هناك موقف اصلاحى بحت عبر عنه عبد المغنى سعيد ٠

وهناك ايضا موقف راديكالى يعبر في عنفه عن رفضه للنظام الرأسمالى ويدعو للاشتراكية ويتزعم هذا التيار عصام الدين حفنى ناصف ، على كامل، رمسيس يونان وفيصل شهبندر ويفترض ان يكون ضمن هذا التيار عبد العزيز هيكل (عضو تحرير الشعب) لكن اسمه لم يظهر الا فى العددين الاخيرين وكانت كل مساهمته نشر مسرحية من فصل واحدفى كل منهما ٠٠

وهناك موقف يسارى ركز كل حديثه عن الفن وعن دور الفنان فى معركة التطوير وكان محور هذا التيار كامل التلمسانى ٠٠

وتيار كان يعتقد ان محور التقدم فى مصر هو حل قضية المرأة وتحريرها ومناقشة موضوع الجنس مناقشة صريحة ٠٠ عبد الحميد الحديدى ٠٠ رمسيس يونان ٠

وعلى وجه الاجمال يمكن القول بأن مجلة «التطور» كانت نقطة تجمع يسارية للمثقفين التقدميين المقبلين من مصر الثلاثينيات نحو مصر الاربعينيات ٠٠

كانت العجلة تدور بهم يسارا ، وظروف مصر والعالم تقودهم نحو اليسار لكنهم كانوا على العتبات الاولى للطريق ٠٠ فقد كانوا – حتى ذلك الحين – مجرد مثقفين منعزلين كل ما يميزهم هو رفض المجتمع القائم رفضا قاطعا اما تطلعهم الى المستقبل فانه متفاوت الدرجات متعدد الألوان ٠

وباستثناء شخص واحد هو عصام ناصف فانهم لم تكن لهم – حتى ذلك الحين – اية علاقات بالحركة المخضرمة لليسار المصرى والتى امتدت متأججة احيانا وخابية في احيان اخرى عبر العشرينات والثلاثينات ٠٠

وبقيت علامة استفهام وحيدة ٠٠ أنور كامل فى كل محاولاته لتذكر هذا الماضى يؤكد ان كل بواعثه كانت تمصير الحركة ٠٠ وكانت رفضه لفكرة ان يلعب الاجانب او المتمصرين إى دور فى تأسيس المنبر الشيوعى المرتقب ٠٠ فلماذا فتح صفحات كل اعداد التطور بغير استثناء امام اجنبى هو سام كنتروفتش وامام اجنبى آخر هو البير قصيرى الذى كان يكتب قصصه بالفرنسية ليترجمها محررو التطور الى العربية ؟ ٠ ذلك سؤال لم أجد له جوابا ، ولعله يلقى ظلالا من الشك حول دعاوى التمصير التى يتشبث بها انور كامل الان مبررا كل مواقفه السابقة ٠ أو – على الاقل – يقلل من قيمة هذه الدعاوى ٠

★ ★ ★

بعد هذه المقدمة .. نعود الى قصة مجلة « التطور » .

« جماعة الفن والحـــرية » التى تاسست فى ٩ ينـــاير ١٩٣٩ والتى اتخذت مقرا لها بشارع المدابغ رقم ٢٨ بالقاهرة والتى حدد قانونها الاساسى أغراض الجماعة بما يلى :

« أ ـ الدفاع عن حرية الفن والثقافة .

ب ـ نشر المؤلفات الحديثة والقاء محاضرات وكتابة خلاصات عن كبار المفكرين فى العصر الحديث .

جـ ـ ايقاف الشباب المصرى على الحركات الادبية والفنية والاجتماعية فى العالم » (١) .

هذه الجماعة قررت اصدار مجلة .. رأس تحريرها أنور كامل ،وقدم ضمانها المالى جورج حنين ..

وصدر من المجلة ثلاثة اعداد .. تم تلحظ آثار الازمة ابتداء من العدد الرابع عندما قرر أنور كامل الانفصال عن « الفن والحرية » وتاسيس «الخبز والحرية» فقرر «جورج حنين» كف تمويله عن العددالرابع ، فظهر عـــلى الغلاف الداخلى لهذا العدد الاعتذار التالى « لظروف فوق ارادتنا تأخر صدور هذا لعدد كما ظهر فى نصف حجمه المعتاد» ، ونلاحظ ان الثمن قـــد خفض ايضا الى النصف فأصبح عشرة مليمات » (٢) .

لكن جورج حنين يكتب فى هذا العدد .. اما العدد الخامس فيظهر فى نصف الحجم المعتاد ايضا والثمن ايضا عشرة مليمات وهو العدد الوحيد الذى لا يشارك فى تحريره جورج حنين .

ثم توقفت «التطور» عن الصدور .

يقول مارسيل اسرائيل فى تقريره « ان الرقابة قد منعت « التطور » من الصدور (٣) وثمة دليل قد يشجعنا على قبول هذا الرأى وهو افتتاحية العدد الخامس والاخير التى كتبها أنور كامل بعنوان « نحن ودعاة الرجعية » والتى قال فيها « قامت بعض الجمعيات بحملات متعددة ضد مجلة «التطور». ولقد رفعت احدى هذه الجمعيات الى رئيس مجلس الوزراء كتابا تشير فيه الى خطورة الدعوى التى تنادى بها هذه المجلة والى انها تعمل على نشرالاباحية وهدم الفضيلة والدين وتقويض أركان النظامين الاجتماعى والدســـتورى اللذين تسير بمقتضاهما البلاد .. »

ويحاول أنور كامل ان يشرح باعتدال شديد أفكار ومواقف مجلته لكنه يختتم دفاعه قائلا « ان كان فى تحرير العقول من الخرافات والاساطير

---

(١) التطور ٣ يناير ١٩٤٠ .

(٢) التطور ٣ ابريل ١٩٤٠ .

(٣) د. رفعت السعيد ـ المرجع السابق ص ٢٦٩ .

الرجعية افساد ، وان كان فى تحرير الناس من الرق والعبودية افساد ، فنحن نعلن من هنا بان لنا رسالة فى هذه الحياة : هى افساد عقـــــول الناس » (١) ٠

وهذا يوضح ان «التطور» كانت تتعرض لهجمات ومؤامرات شديدة ، ويزيد من مظنه انها قد توقفت عن الصدور بقرار من الرقابه ٠

لكننا بفحص الصحف اليومية والمجلات الاسبوعيه الصادرة خـــلال شهرى مايو ويونيو سنه ١٩٤٠ لم نعثر على ايه اشارة لصدور مثل هـذا القرار ، وكانت العادة ان تنشر الصحف مثل هذه القرارات وتعلق عليها ـ تأييدا او معارضة ٠

ويقوى الاعتقاد بأن رواية مارسيل اسرائيل ليست صحيحة ما يؤكده ـ صاحب الشأن أنور كامل من ان المجلة قد توقفت عن الصدور لان جورج حنين ـ وكان الضامن المالى للمجله «سحب الضمان فحسب الترخيص فتوقفت المجلة عن الصدور» (٢) ٠

يقوى هذا الرأى ان جورج حنين قد امتنع بالفعل عن المشاركة فى تحرير العدد الاخير ٠

★ ★ ★

وقبل ان ندخل فى دراسة متأنية لاعداد مجلة «التطور» الخمس نود ان نشير الى بعض الموضوعات التى تميزت بها «التطور» عن غيرها من مجلات اليسار السابقة والتى اعتبرت «التطور» بسببها نقطة تحول فى الصحافة اليسارية المصرية ٠٠

هناك أولا ٠٠ الشعارات التى نثرت فى كل اعداد « التطور » ٠٠ لملء الفراغات فى نهاية المقالات ٠٠ مثل « مجلة التطور تحارب الرجعية وتثور على القديم ، تدافع عن حقوق الافراد ، وتنادى بحق المرأة فى الحرية والحياة » ـ « خلقت العراقيل لتكتسح» ـ « فلتأخذ المرأة حريتها بنفسها ولا تنتظر من أحد ان يمنحها هذه الحرية » ـ المرأه التى تخدم الرجل ، والرجل الذى يخدم الرئيس كلاهما من طبقة واحدة طبقة العبيد » ـ « سنكون أقوى فى الغد ٠٠ وأنت ؟ » (٣) ٠

« نحن لا نريد منك ان تتبعنا وانما نريد أن تشق معنا الطريق » (٤) ، الدولة التى لا عدالة فيهـــا خير لها ألا تكون » ـ لكل فـــرد فى الدولة الحق فى ان يعيش حرا ٢٤ ساعة فى اليوم »(٥) ٠

« نحن نريد ونعرف ما نريد » ـ « ايها الزميل تذكر دائما ان كـــل

---

(١) التطور ـ مايو ١٩٤٠ ٠

(٢) د٠ رفعت السعيد ـ المرجع السابق ص ٢٥٤ ٠

(٣) التطور ـ يناير ١٩٤٠ ٠

(٤) التطور ـ فبراير ١٩٤٠ ٠

(٥) التطور ـ ابريل ١٩٤٠ ٠

قرش تدفعه لهذه المجلة معول هدم فى صرح الاستغلال » ـ «يجب وضع حد ادنى للاجور وحد أقصى لساعات العمل » ـ « كل قرش ينفق فى غير موضعه اهدار لحقـــوق الفقير » ـ الموت خير من الحيـــاة فى عالم لا يقترن فيه الحلم بالعمل » ـ لسنا أحرارا مادامت هناك سجون » ـ « ايها الزميل لا ننس أن نترك هذه المجلة فى مكان ما حتى يقـــرأها غيرك » ـ « انى اتهم الخونة واللصوص » (١) ٠

كذلك كانت «التطور» اول مجلة يسارية تركز تركيزا خاصا وفى كل عدد من أعدادها على مشكلة تحرير المرأة وعلى ضرورة تناول قضايا الجنس تناولا عصريا متحررا ٠٠

وينبع ذلك الاهتمام من ايمان بعض محرريها بأن تحرير المرأة وتناول قضية الجنس تناولا حرا هما عنصران اساسيان فى تقدم الامم ٠٠

ولنلق نظرة سريعة على أعداد المجلة لنجد ان الشعارات تتنـــاول فى كثير من الاحيان مسألة تحرير المرأة ٠٠٠ اما المقالات فهى عديدة وفى كل عدد « بين ابليس والمرأة » ـ أنور كامل ـ « حول الغاء البغاء ٠٠٠ مشكله تستوجب الصراحة » (٢) ـ « كيف تكون لنا ثقافة جنسية ـ عبد الحميد الحديدى » ـ « البغاء مشكلة لها جذور ـ رمسيس يونان » (٣) ، « حـــرية المرأة ـ أنور كامل » ـ « ذكور واناث ـ عبد الحميد الحديدى (٤) ـ « دوّلة الاجـرام الابيض ـ زاهر غالى » ـ « الحب والجنس ـ عبد الحميد الحديدى » «المرأة المحاربة من أجل حقها فى الانتخاب ـ كريستايل بانكهرست »(٥) ٠

وفى البرنامج السياسى الهام الذى قدمه زاهر غالى على صـــــفحات «التطور» بعنوان « ثورة على التقاليد » نجد ان البند الاول فى هذا البرنامج بعنوان المرأة وينص على ان « للمـــرأة الحق فى الحياة والحرية ٠ المساواة فى كافة الحقوق والالتزامات قبل الرجل وقبل المجتمع ٠ ـ لها الحق فى كافة الحقوق السياسية العامة كالانتخاب والوظائف ـ لها الحق فى تشريع مدنى يتلاءم مع نظم المدنية الحديثة ـ يمنع تعدد الزوجات ويقيد الطلاق تقييدا يتفق مع كرامة المرأة الانسانية » (٦) ٠

وهكذا لفتت «التطور» أنظار اليسار وأنظار كل دعاة التقدم فى مصر الى ضرورة معالجة قضايا تحرير المرأة معالجة حاسمة وصريحة كمنطلق اولى لتحرير المجتمع ككل ٠

---

(١) التطور ـــ مايو ١٩٤٠ ٠
(٢) التطور ـــ يناير ١٩٤٠ ٠
(٣) التطور ـــ فبراير ١٩٤٠ ٠
(٤) التطور ـــ مارس ١٩٤٠ ٠
(٥) التطور ـــ ابريل ١٩٤٠ ٠
(٦) التطور ـــ مارس ١٩٤٠ ٠

كذلك فقد كانت «التطور» اول مجلة يسارية تركز تركيزا كبيرا على دور الفن والفنان فى تطوير المجتمع ، وعلى واجبات الفنان تجاه قضايا مجتمعه · وهذه مسالة طبيعية ذلك ان «التطور» كانت اولا واخيرا منبرا لجماعة « الفن والحرية » ··

وفى العدد الاول توجه «التطور» الكلمة التالية « الى اصحاب الابراج العاجية» فتقول «لن نجد كلمة نوجهها الى الفنانين والادباء الذين يعيشون على هامش المجتمع خيرا من الكلمة التى القاها بول الوار فى لندن فى ٢٤ يونيو ١٩٣٦ بمناسبة المعرض الدولى لحركة السيرياليزم ونحن نقتطف منها هنا بعض فقرات لعلها تجد لديهم آذانا صاغية » (١) ·

وتحت عنوان « نحو فن حر » يكتب كامل التلمسانى مقالا يضع فى مقدمته عبارة اقتبسها من برنارد هولاندر تقول « كل راحة ونعمة فى الحياة الجديدة ولدت فى أذهان رجال شذوا عن العرف والمالوف المصطلح عليه ، وأوجدوا بالرغم من الاضطهاد والمعارضة ترتيبا جديدا أصلح للاشياء ،ينسى العالم عبيد التقاليد المتوارثة ·· لكنه يشيد هياكل الخلود لهادمى التقاليد الناجحين » (٢) ·

وفى العدد الاول ايضا لقصيدة « عايدة » كتبتها بالفرنسية الشاعرة مارى كفاديا ··· ودراسة عن « شاعر العيون الخصبة بول الوار » وقصيدة اخرى « العبقرى » كتبها بالفرنسية ايضا جورج حنين :

« غابة شقوقها من المرجان
مفتوح للعابرين المتخفين
الواصلين من نهاية السماء
الحب الذى يلعب
فوق سفوح الضوء المجهولة
وفوق عزلة جبينك التى يمكن التعبير عنها
يتردد فى الاختيار
بين مذاهب الغواية المختلفة
التى يقدمها له مع ابتسامة من رصاص
شباب متدهور
حياته لا تقوم الا على صلابة هذه الابتسامة

---

(١) التطور — يناير ١٩٤٠ ·
(٢) المرجع السابق ·

وفوق ذلك كله قصة رائعة بعنوان « قتل الحلاق امراته » كتبهـــا بالفرنسيه ايضا البير قصيرى وترجمها الى العربية على كامل ...

وتعدم «التطور» القصه الاولى لالبير قصيرى بالعبارة التالية « البير قصيرى » كاتب مصرى ، يكتب بالفرنسيه ، وهو يعبر فى كتاباته عن روح الشعب والطبقات الفقيرة ، ونحن ننقل له هنا هذه القصه كمثال للاتجـــاه الحديث فى القصة المصرية » .

وقصة البير قصيرى تستحق الاعجاب بالفعل ، فأنت تشـــعر انه بلمسات رقيقة عاية فى الرقه يضع يدك على الحقيقة المباشرة .

« .. كان الطفل قذرا ، ولكنه كان جميلا ، كانعاريا تحت ردائه الملون بلون الارض ، كان يحمل حزنه فى كل جوانب جسمه » .

ويجرى الحوار بين الحداد وابنه .

« ان العيد ليس لنا يا ولدى فنحن فقراء » .

ـ ولم نحن فقراء ؟

ـ اسمع يا ولدى اذهب واجلس فى ركن ودعنى اشتغل ، اذا كنـــا فقراء فذلك لان الله قد نسينا .

ـ ولكن متى سيذكرنا الله يا ابى ؟

ـ عندما ينسى الله انسانا ،ينساه الى الابد ياولدى » .

ويصف حى الاغنياء فى القاهرة قائلا « كانت المدينة الاوروبية تبدو فريسة ملل حزين لا ينتهى ، هو وليد الشـــك وتفـاهة اللذات ... كان المرء يحس ان المدينة تريد أن تفعل شـــيئا من أجل ان تحيا . ولكن نوعا من الهم الباطنى الذى لا يشفق كان يشل حركتها باضوائها القوية .. » اما الفقراء فقد ... « كانوا لا عدد لهم حول المطاعم وكل الاماكن التى يمكن ان يأكل فيها المرء . كان تناول الطعام بالنسبة لهم هو كل شىء . كانوا لا يرغبون فى أى شىء آخر . منذ أجيـــال لم تكن لهم لذات أخرى . كانوا أجساما بغيضة لا حياة فيها . كانت المدينة تتعذب برؤيتهم ، كانوا أشبه ما يكونون بوخزات الضمير . وخزات ضمير متأصلة فى أعماق الارض . ورغم كل ذلك لم يكونوا يريدون الموت . كان استجداء قطعة من الخبز من الذين انتزعوا منهم كل شىء هو بالنسبة لهم فرصة للحياة » .

كل هذا فى عدد واحد هو العدد الاول ..

وبامكاننا بدون افاضة ان نلمح الجديد والثورىفى كل أشكال التناول الادبى والدرامى التى قدمتها التطور بل وأعطتها مكانا مبالغا فيه عـــلى صفحاتها ..

وفى الاعداد التالية نلمح نفس الشىء .. وبنفس الكم .

على كامل يكتب فى العدد الثانى « الثقافة والرجل المثقف » يدعو فيه الى ثقافة جديدة « .. اساس هذه الثقافة الجديدة هو ان تكون شـــعبية بالنسبة للوطن ، انسانية بالنسبة للاوطان الاخرى . ذلك ان الثقافة الحقة هى تلك التى تنظر الى ابناء الوطن جميعا ككتلة واحدة دون تمييز ، هى تلك التى لاتسمح لطبقة خاصة من الامة بأن تفوز بامتياز حق التثقيف فتأخـــذ

بيدها زمام الامور لتفرض أهوائها ومصالحها على الشعب ••

الثقافة الحقة هى تلك التى تسعى لتكوين الفرد وتجعل منه انسانا واعيا يعرف ماهيته ، يدرك علاقته بالمجتمع وعلاقه المجتمع به » (١) •

وفى نفس العدد يكتب كامل التلمساني « الانسانية والفن الحديث» فيقول « الشعور بالانسانية وما تعانيه في وقتنا الحاضر من أزمات هو أحد المشاكل التى يتناولها الفن الحديث وفى اعتقادى انه أهمها جميعا وأحقها بالدرس والمعالجة » •

والشعر اخذ مكانا كبيرا ــ هو ايضا ــ على صفحات «التطور» لكن معظم القصائد كانت مكتوبة بالفرنسية اما لجورج حنين او كنتروفتش او ماريا كفاديا • لكن ثمة أشعار مصرية صميمة كتبها احمد رشدى •• وهى أشعار تعبر عن التمرد ورفض الاستعباد •• لعلها كانت ارهاصات مدرسة جديدة فى الشعر تطورت بعد ذلك على صفحات الفجر الجديد وأم درمان والجماهير •• بأقلام كمال عبد الحليم ومحمد خليل قاسم ومحمود توفيق وغيرهم •

وقصيدة « استعباد » لاحمد رشدى هى نموذج لهذه الارهاصات الجديدة للشعر الثورى •

« فى الحروب يستعبد القوى الضعيف
وفى السلم يستعبد الغنى الفقير
نحن نعمل لنعيش
ولكنهم يمنحوننا أجرا هو العدم
اننا في طريقنا الى الفناء
نحن نكدح من اجلهم طيلة اليوم
وهم يكدسون الذهب فى خزائنهم
قبل الأوان يذوى اطفالنا
وتتصلب وجوه من نحب
ويعلوها التجهم والعبوس
نحن نغرس الكروم ونسهر عليها
وغيرنا يشرب الخمر
نحن نزرع القمح
لتخلو منه منازلنا
اننا مقيدون بالاغلال
وان كانت مختفية عن الانظار

---

(١) التطور ــ فبراير ١٩٤٠ •

نحن العبيد
وان كان الناس يلقبوننا بالاحرار
اركلني بعيدا
خذ كل ما املك
اسلبني دنياي
في هذا الاهمال
في الحرية المجردة
دعنا نصبح في الاخاء شخصا واحدا
أسفا على هدفي الذي ضاع
اين الامل في المساواة »

وفي العدد الثاني ايضا قصة رائعة لالبير قصيري بعنوان « اضطرابات في مدرسة الشحاذين » . وهكذا تمضى «التطور» لتؤكد ـ في مبالغة احيانا ـ على دور الفنان والفن . وفي العدد الثالث يصرخ كامل التلمساني «الفن كالخبز والجنس ضرورة يجب ان تكفلها الدولة لكل فرد فيها » (١) .

وفي العدد الاخير يكتب التلمساني مقالا عنيفا بعنوان « الفن المصرى والمجتمع الحاضر» يبداه بعبارة غريبة « على الدولة ان تحقق لكل فرد نصيبه من الشعر ، ونصيبه من الخبز » ويقول « ... ان السينما المصرية والمسرح والغناء والموسيقى المصرية عبارة عن تجارة يقوم بها بضعة بقالين لسرقة اموال الشعب المسكين لانه اكثر الطبقات ترددا على الافلام المصرية » .

ثم يركز بعد ذلك على محمد عبد الوهاب قائلا « ان رجلا مثل محمد عبد الوهاب ينقل كل قطعة الموسيقية عن الموسيقى الاوربية بمثل هـذه الجرأة والوقاحة .. ينقلها كما هي دون تحريف او تبديل هو رجل لص .. اني أقصد هنا بكلمة لص ما يراد بها تماما » (٢) .

والفن التشكيلي لقى هو ايضا اهتماما كبيرا من مجلة « التطور » .. **وكانت رائدة في هذا المجال ايضا ..**

وقد ابتدعت «التطور» لاول مرة في الصحافة المصرية فكرة بلـورة القصيدة في لوحة تشكيلية .. وبدأت بلوحة لبيكاسو لاحد قصـائد بول الوار (٣) ثم امتدت بعد ذلك الى لوحات عديدة مبدعة بريشة كامل التلمساني، آنور كامل ، انجلو دى ريز ، فؤاد كامل ، فتحى البكرى .
ويمكن القول بأنه بالنسبة للفن التشكيلي كانت «التطور» منبرا يدافع

---

(١) التطور ـ ابريل ١٩٤٠ .
(٢) التطور ـ مايو ١٩٤٠ .
(٣) التطور ـ يناير ١٩٤٠ .

عن السيريالية ويدعو لها ..

يقول رمسيس يونان « وبازاء الفرويدزم فى علم النفس الحديث ، ظهرت حركة السيرياليزم فى الفن والشعر تلك تحلل التناقض بين العقل الباطن والعقل الواعى او بين الحلم والحقيقة او بين الشهوة والواقع ... وهذه تبرز أسراره الشديدة وتقابل بين أطرافه المتباعدة فى صورةواحدة، داخل اطار واحد أى داخل مثالية واحدة جديدة ، وفلسفة جامعة متكاملة فى الحياة » (١) .

... وهكذا كانت «التطور» منبرا لعب فيه الفن والدعوة اليهوالتركيز على موقف الفنان من قضية تطوير مجتمعه دورا اساسيا ... ولعل ذلك كان امرا مقبولا من مجلة تصدرها جماعة « الفن والحرية » ...

ولسنا نريد ان ننتقل من هذه النقطة دون ان نشير إلى اهمية هذا الدور الذى لعبته «التطور» تجاه مستقبل الحركة الفنية فى مصر ... ونجاه اهتمام الحركة اليسارية المصرية بالفنان ودوره ...

★ ★ ★

بعد هذه الملاحظات العامة ، يمكننا ان نستقرىء أعداد مجلة «التطور».

تقول افتتاحية العدد الاول « نحن نعتقد ان المجتمع المصرى بحالته الراهنة مجتمع فاقد للاتزان : فمقاييسه الخلقية وأوضاعه الاجتماعية والاقتصادية مختلة . واثر هذا الاختلال نراه واضحا فى اعراض الانحلال المتفشية فى عناصر القوة فيه : فالشباب المتعلم من جهة يقضى وقته فى الاحلام المريضة نتيجة لما يعانيه من كبت لميوله ونزعاته ، وسواد الشعب من جهة اخرى يعيش فى أبشع حالات الفقر والبؤس والمرض نتيجة لانعدام روح العدالة فى النظم التى يخضع لها ...

ونحن باصدار هذه المجلة نمهد للحوافز الكامنة فى نفسية هذا الجيل طريقا يخلق فى جو المجتمع الذى نعيش فيه جديدا من أطوار الصراع الفكرى وحركة حرة تقاوم الخرافات والاساطير وتكافح القيم المتوارثة التى وضعت لاستغلال قوى الافراد فى حياتهم المادية والروحية . لقد كان لابد لهذا المجتمع ان تنشأ فيه حركة فكرية جديدة كالحركة التى ندعو اليهاونحن وان كنا لم نقدم للناس برنامجا معينا لحل مشاكله المختلفة فقد مهدنا للطليعة المتوثبة من ابناء هذا الجيل مكانا صالحا تلتقى فيه أفكارهم الحرة

---

(١) التطور — مارس ١٩٤٠ .

ونزعاتهم الاصلاحية لتنمو وتنضج وتهيىء اسباب التطور لهذه البلاد»(١)٠

ولقد تعمدت أن أورد الافتتاحية كاملة ٠٠ فهي بالفعل تعبر بشكل دقيق عن مهمة مجلة «التطور» كما فهمها اصحابها ٠

لكنني أود ان الاحظ اولا كلمة «نزعاتهم الاصلاحية » فلقد كانت «التطور» بالفعل مجلة اصلاحية قبل ان يقتحمها كتاب من أمثال عصام ناصف وفيصل شهبندر وغيرهما ٠

كذلك الاحظ ان التوجه الى «الشباب» و «الجيل الجديد» كان اللهجة السائدة في العدد الأول حتى جاء عصام ناصف وغيره في العدد الثاني وما بعده ليتحدثوا عن « الشعب » و « العمال والفلاحين » ٠

ويمكن القول ان «التطور» كانت مؤهلة من جانب مؤسسيها «جورج حنين ـ انور كامل ـ النلمساني» لان تقف على الهامش الدقيق الشديد الدقه الذي يمكن ان يقف عليه الوطني الرافض للاحتلال ، والماركسي الراغب في اقامة الاشتراكية ، والتروتسكي المعادي للنموذج السوفيتي ، والمتحرر الرافض لقيود واغلال التقاليد القديمة ٠٠ الفنان الحر ٠٠ والمطالب بحرية المرأة ٠٠ والمطالب بحرية العقيدة وحرية رفض العقيدة ٠٠

٠٠ هذا الهامش الدقيق كان محل صراع مستمر ٠٠ فظهرت تيارات اصلاحية وتيارات ماركسية ٠٠ وأخرى متحررة ٠٠ ولنحاول ان نتتبع ذلك كله ٠

★ ★ ★

وكان عبد المغنى سعيد استاذ «الاصلاحية» في مجلة «التطور» وكان يوقع « ع ٠ سعيد » وقد كتب موضوعا من حلقتين بعنوان « ذلك الفقر الازلي» وقال في الحلقة الاولى « ٠٠ لا يكفي في نظري ان يقول بعض كتابنا الافاضل ان خمسة وسبعون في المائة من ابناء هذا البلد يعيشون في فقر مدقع ليقنعوا أنفسهم ، وليحاولوا اقناع الناس بأنهم اتوا بالجديد وهبوا لاداء رسالة انسانية سامية٠٠ لا يكفي ان يصيح صائح وهو واقف على شاطىء المشكلة لاثارة العواطف الانسانية وايقاظ الضمائر النائمة » ٠

« ٠٠٠ نعم لم تعد مسألة اصلاح محدود منعزل ولم يعد من الممكن انقاذ ملايين المصريين من هوة الفقر الاسود الشائن بملاجىء لا تتسع للمئات ، أو بصناديق احسان لن تعرف على سعتها رقم الالوف مهما حشدنا لها من نداءات حارة ومقالات قوية صاخبة ٠ فما هذه الاساليب المسكنة وأمثالها الا حلول مرتجلة وعلاجات مؤقتة لا يمكن ان تأتي بنتيجة الا في علاج الفقر العرضي ٠٠ اما الفقر الازلي فلا يجدي معه اصلاح ولابد لعلاجه من ثورة شاملة جارفة » ٠

---

(١) التطور ـ يناير ١٩٤٠ ٠

لكن كيف فهم « استاذ » الاصلاحية « الثورة الشاملة الجارفة » ..

« ولست أعنى بالثورة معناها السطحى كتظاهر وهياج فى الميادين والطرق فما كان الهياج ليحل المشاكل الاجتماعية العويصة المعقدة فهو ان قضى على حكومة مستبدة فانما يأتى مكانها بحومة اخرى مسيطرة ! وانما أعنى بالثورة معناها البعيد . أعنى بها التنظيم الجرىء والاصلاح المتطرف الشامل ذلك الاصلاح الذى لا يقطع الداء وانما يجتثه من جذوره » .

وهكذا أدان الاصلاح .. ليطالب بالاصلاح الشامل ، وفى طريقة بين «الاصلاح» و « الاصلاح الشامل » أدان الثورة وعرض بها ملمحا الى انها تنتج حكومات مسيطرة ..

وكل شىء فى نظر « ع . سعيد » يجب ان يتم بالرضاء التام من جانب الطبقات الاستغلالية .

« .. فمتى أدرك أصحاب المصانع انه لا سبيل لتقدم صناعتهم ورواج منتجاتهم الا برفع مستوى معيشة العمال عن طريق زيادة أجورهم ، ومتى أدرك أصحاب المؤسسات التجارية والصناعية ان ما يدفعونه الى الدولة من ضرائب مباشرة وغير مباشرة ينفق منهما على رفع مستوى معيشة الفلاحين والعمال ومن ثم يعود اليهم باتساع سوقهم ! ومتى أدرك رجال الحكم ان لا سبيل لتدعيم مركزها السياسى والحربى الا برفع مستوى المعيشة والقضاء على الجهل كان طريق الاصلاح أمامهم ممهدا » .

ثم ماذا بعد ان يصبح طريق الاصلاح ممهدا ؟

يقول « ع . سعيد » : « ... واستطاعوا بشىء من الروتين الحكومى القيام بذلك الاصلاح المتطرف الشامل أو الثورة السلمية المنظمة » (١) .

واذا كانت « الاصلاحية » احد ملامح «التطور» فقد كان « الرفض المجرد » و « السخط غير المثمر » علامة أخرى من علاماتها .. ولعل هذا ما حدا بمارسيل اسرائيل الى اتهامها بالفوضوية .. ولعل كلمات مثل « الفن معمل بارود » التى قدم بها جورج حنين دراسته لكتاب « نقولا كالاس » «مباعث النيران » كانت احد أدلة مارسيل اسرائيل على اتهامه هذا ..

تقول جورج حنين نقلا عن نقولا كالاس « أخطر موقف يمكن ان تقفه الانسان فى حياته او فى تفكيره هو موقف الرضى سواء أكان هذا الرضى بنفسه او بالعالم » .

« ونقولا كالاس ينادى بايقاظ صفات الفرد الهجومية ، وبوضع قواته الباطنة فى خدمة ميوله المضطهدة ، وذلك بلغة قاسية جافة تزيد كلامه ودلالة «اقناعا» . ونحن نعتقد ان تلك النيران التى ببعثها قلمه سوف تنير طريق المستقبل الانسانى » (٢) .

وعلى نفس النسق يعلو صوت « ن . ل . ح » (وقال انور كامل انه

---

(١) التطور — يناير ١٩٤٠ .

(٢) التطور — يناير ١٩٤٠ .

د . نظمي لوقا) صائحا « اني اتهم » .

« آن لهذه الامة ان تكف عن غطيطها وأن تستيقظ على الصوت الداوى .. انى أتهم » .

« انى اتهم .. فليس فى هذا البلد المسكين انسان فى مكانه الطبيعى ، ولا شىء فى وضعه الطبيعى ولا فهم طبيعى للانسان والاشياء .

انى اتهم .. فقد آن للحق فى هذا البلد الذى يعيش فى سواد العماية ، وحلكة الضلال والرياء ان يظهر بعد طول غياب ، وأن يسيطر على كل شىء ، وعلى كل انسان ، كما ينبغى له ان يسيطر الا يظلم احدا ولا يستغل احدا ولا يشعر فى ظله احد بعنت ولا ارهاق .

ايها الايقاظ كالنيام .

ايها الاحياء كالموتى .

انى اتهمكم ! انى اصرخ فيكم وأبدد عنكم عمايتكم وابعث أرواحكم من محابسها بصرخة الحق الصريحة المخلصة السامية التى تشق كل اذن ولا يغلق دونها قلب ولا يصمد أمامها رتاج .

ايها الحق انا نريد لك ان تنتصر .

ايها النير انا نريد لك ان تسقط عن كل عنق وان تتلاشى عن كل نفس ..

ايها القيد انا نريدك ان تفرج عن كل روح وأن تطلق كل جسد .

ايها الشعب .

انا نريدك ان تحيا .

انى اتهم ولصحيفة لاتهام قانون واحد : الحق .

ولها غاية واحدة : الحياة .

ووسيلة واحدة : الحرية وشجاعة الايمان » (١) .

وهكذا رنين عال للكلمات الصاخبة دون مضمون طبقى .. صراخ واتهامات دون ان يكون هناك تحديد لمن الجانى ومن المجنى عليه .. الوعى الطبقى غائب تماما ، فقط هناك « سخط » و « رفض » .

بل ان احد كتاب «التطور» وهو توفيق حنا الله طالب بانشاء «مدرسة للسخط » « أولى بنا ان ننشىء مدرسة لكى نعلم فيها هذا الشعب كيف يسخط وعلام يسخط .. على هذه القويد .. على هذه القيم الجامدة ، فالسخط هو الناحية السلبية للمطالبة بالحرية .. والحياة » (٢) .

غير ان بعض هؤلاء الرافضين يتلمس الطريق نحو شحن «سخطه» بالوعى الطبقى .

« لقد آن لحقوق الافراد ان تتحدد فى دولة الاجرام الابيض ، ولقد

---

(١) التطور — مايو ١٩٤٠ .

(٢) التطور — مارس ١٩٤٠ .

آن لهذه الامة ان تخلع نقاب التقاليد الاسود ، ثم لقد آن للشباب الجرىء والفكر الحر ان يعلو منصة الحكم فى البلاد » ٠

هكذا يقول زاهر غالى فى محاورته « دولة الاجرام الابيض » وهو يقول على لسان الزعيم فى هذه المحاورة « تقوم العلاقة بين الفرد والدولة على اساس خضوع الفرد لسيادة الدولة التشريعية والقضائية ٠ فعلى الدولة ان تكفل للفرد العمل والحرية وتحسين ظروف الحياة بتخفيف الفوارق الإجتماعية وتحقيق الانسجام الاقتصادى ٠ ان المشكلة التى يعانيها العالم الان ليست مشكلة وجود الانتاج وليس وجود الثروة وانما حسن توزيع الثروة » ٠

وربما كان كنتروفتتش اكثر وضوحا من غيره من هؤلاء « الساخطين » فتحت عنوان « دنيا بلا عيب » يكتب «يقدمون كماليات الاغنياء على ضروريات الفقراء الاولية ويسمونها مدينة ٠٠ جواهر تتالق فى الفترينات ثم تغطى جلد امرأة اصطناعية لا انسانية فيها ٠ ملذات غاية فى الدقة وفى التفاصيل تخترع من اجل الفئة القليلة المحترمة ٠

اذا كان مصير العالم ان تحول جميع منتجاته فى سبيل أرضاء النفوس التى لاتعرف الا الاستغلال فالافضل الا يكون العلم والافضل العودة الى كهوف ما قبل التاريخ ٠

من جيل لآخر يتنازلون عن ذرة من سلطتهم يسمون هذه انسانية وتطورا اجتماعيا » (١» ٠

وهو يقول تحت عنوان « الحلول المباشرة » « ان استمرار المساوىء والمظالم مائة عام لا يبرر استمرارها مائة سنة اخرى ، ولا يبرر تقليد السلحفاة فى التقدم نحو المراحل الجديدة » لكننا نلمح بالفعل اتجاها فوضويا فى عبارة لعلها افلتت من كنتروفتتش « كثيرا ما تكون الدراسات الفلسفية والاقتصادية العويصة للمشاكل وسيلة للتهرب من الاصلاح اللازم اتخاذه فى الحال » (٢) ٠

واذا كانت الكلمات السابقة جميعا تقف «بالتطور» عند حدود «السخط « غير الواعى ، و « الرفض » الخالىمن اى مضمونطبقى ، فان كلمات اخرى كانت اكثر وعيا وأكثر التصاقا بحقائق الواقع ٠٠

وفى محاولة لتلمس الواقع ومشاكله ، وربما فى محاولة لاستثارة المثقفين ودفعهم الى التفكير فى مشاكل المجتمع توجه « التطور» « دعوة للتفكير فى حالة المجتمع المصرى » تقول « ٠٠ ونحن نتوجه الى كل من يعنيهم امر هذا المجتمع بهذين السؤالين :

١ ـ تعيش الايدى العاملة وهى سواد الشعب ومصدر الثروة فى

---

(١) التطور ـ مايو ١٩٤٠ ٠

(٢) التطور ـ مارس ١٩٤٠ ٠

البلاد فى أشنع حالات الفقر والبؤس والمرض ٠ والوزارت المتعاقبـــة تعلن انها مهتمة بتحسين حياة هذه الاغلبية المهضومة الحق ٠ فما هى الوســـائل التى نراها لحل هذه المشكلة الاجتماعية التى قد تؤدى الى اشد الاخطـار ؟ ما رأيك فى التوزيع الحالى للثروة فى المجتمع المصرى وفى وسائل تنميةهذه الثروة ؟ ما رأيك فى طرق مكافحة الفقر والمرض والبطالة ؟ ما رأيك فىنظام العمل وأجور العمال ؟ ما رأيك فى نظام الضرائب ؟ ٠

٢ ــ تشيع روح الضعف والتشاؤم وفقدان الثقة والحوافز الشخصية فى نفسية هذا الجيل وهى ظاهرة من ظواهر الانحلال تناولهـــا بالبحث والتحليل اكثر من كاتب ، الا ان اغلب ما كتب فى هذا الموضوع لم يخـــرج عن نطاق البحوث السطحية التى لا تستند على حقائق علم النفس الحديث ٠

فما هى الاسباب التى تعتقد انها أدت الى هذه الحالة ؟ وما العلاج الذى تقترحه لتلافى أضرارها فى المستقبل ؟ ٠٠٠ » (١)

وكان استمرار نشر هذين السؤالين فى ثلاث اعداد متتالية تأكيدا من المجلة على اهتمامها بتلقى آراء القراء حولها او دعوتهم للتفكير فيها ٠٠ وهو موقف متقدم يتجاوز السخط غير الواعى والرفض غير الملتزم بموقف طبقى، فالسؤال الاول واضح ومحدد الهدف وهو فى ذاته يوحى بأن بعض اصحاب التطور كانت تؤرقهم مسألة البحث فى نظام العمل ٠٠ وأجور العمال ٠٠ وتوزيع الثروة ٠٠ الخ ٠

ويسير على نفس النمط مقال لعلى كامل بعنوان « الفكر فى خدمـــة المجتمع » يقول فيه « ٠٠ فالمفروض ان الفكر يجب ان يتطور بتطور المجتمع الانسانى » ، يعبر عن آماله وأحلامه ، يفضح عيوبه ونقائصه ، يكون صدى لمطالبه ورغباته ، يحمل العلم ليسير فى الطليعة ويشق الطريق الذى لا مناص منه دون تردد او خوف ٠٠٠ لقد تحطمت الان الفكرة الرجعية القديمة القائلة بأن الجماهير لا تعى وانها عبارة عن قطيع ينساق وراء الابطال ، ان الابطال لا يبنون التاريخ بل التاريخ هو الذى يبنى الابطال ٠ الابطـــــال لا يغيرون التاريخ ، بل ان تغير التاريخ وتطور الامم اجتماعيا واقتصاديـــا تطورا لا يمكن ان يقف سيره المتواصل مهما حاولت جهود الجامدين هو الذى يغير مبادىء الابطال » ٠

هل كان « على كامل » يتصدى بكلامه هذا للنزعات الفوضوية ؟ ربمـــا ٠٠ ويمضى على كامل قائلا « ٠٠ ان الفكر الذى لا يكون صدى للاغلبيةالعظمى من الشعب فيه منعكس احلامه وآماله وأوجاعه فى وقت واحد ، هو فكر خائن غريب عن الوطن الذى نشأ فيه ٠

٠٠ ان ثمانين فى المائة من شعبنا المصرى تعيش فى الجوع او مايشبه الجوع فأين هو الفكر الذى يبحث فى مشاكلهم ويجد لها علاجا حاســـما

---

(١) التطور ــ يناير ــ فبراير ــ مارس ١٩٤٠ ٠

مشرفا ••• تدل الاحصاءات الرسمية على ان الفقر ينشر تعاسته في مصر بشكل افظع مما كانت عليه البلاد منذ عشر سنوات او اكثر ، وان الثروات تزداد تركزا في أيدى عدد محدود جدا من الافراد » •

« ••• ان لتطور المجتمع الانساني قانونا علميا لا يستطيع ايقاف سيره انسان ولقد اصطدم هذا القانون في كل عصر وفي كل أمة بمقاومة فيالق الرجعية والجمود •• ولقد كان دور رجال الفكر حاسما في كل فترة من فترات التطور الاجتماعي للانسانية ، وكل أملنا الا يستمر مفكرونا أقل فضلا من نظرائهم في الامم الاخرى في تطور المجتمع المصرى والسير به نحو تحقيق العدالة الاجتماعية » (١) ويواصل على كامل ادانته للمجتمع الرأسمالى •• فيكتب في مقال بعنوان « الثقافة والرجل المثقف » « أدرك المفكرون الاحرار بعد الحرب الماضية انها كانت حربا على الشعوب وليست لصالحها وخيرها • أدركوا انها كانت حربا أشعل نارها رجال البنوك وتجار المدافع وأصحاب المصانع الكبرى رغبة في تقسيم العالم من جديد • بعد ان تطورت حال الصناعة في الامم الاوربية بشكل جعل اصحاب رؤوس الاموال فيها يفكرون في الخروج من المازق الذى أوجدهم فيه التناقض العجيب في تركيب المجتمع الذى يعيشون فيه ونظم انتاجه • ذلك ان تطور الصناعة والاندفاع في الانتاج السريع مع بقاء الشعب في حالة الفقر والعجز عن الشراء جعلهم لا يجدون علاجا لتوزيع منتجاتهم والحصول على المواد الخام لمصانعهم الا بالغزو والفتح على حساب الشعوب البريئة المسالمة » (٢) •

هنا تبدو الكلمات واضحة •• والموقف الطبقى يشع بين السطور •• ان الفارق بين ن • ل • ج أوكنتروفتش ، وبين على كامل هو الفارق بين البقاء على هامش السخط والرفض الخالى من الوعى وبين الفهم الماركسى لحقائق المجتمع الرأسمالى ••

ويكتب جورج حنين بعنوان « اختراق المراحل » « •• ان مسائل الحرية والسلم والخبز مرتبطة بعضها ببعض ارتباطا وثيقا فلا قيمة للحرية عند الرجل الذى ينقصه العيش والسلم ، ولا قيمة للخبز اذا اختلط بالاستعباد ، ولا قيمة للسلم لرجل فقد الخبز والحرية • وعلى الشباب ان يوفق بين هذه العناصر الثلاثة الثمينة ، عليه ان يجعلها اساسا قويا لبناء المجتمع في المستقبل ، ولئن تعذر عليه بُعد المسافة فله ان يخترق المراحل بالحماسة وبسرعة اندفاعه » (٣) •

لئن كان جورج حنين قد ركز دعوته على «الشباب» متجاهلا الأساس الطبقى للصراع الاجتماعى فانثمة كتاب آخرين ادركوا ان اداة أى تغيير هى « العمال والفلاحين •• » هكذا اكد في مقالاته عصام الدين حفنى ناصف ••

---

(١) التطور — يناير ١٩٤٠ •

(٢) التطور — فبراير ١٩٤٠ •

(٣) المرجع السابق •

« ... وقد جرى الاغنياء على مطالبة الفقراء بالتضحية كاما ظنوا ان الامر فى حاجة الى تضحية ، فاذا رابط جيش اجنبى على الحدود كان على كل عامل او فلاح مصرى ان يتقدم للقاء الموت دون ان تغمز عينه او يختلج صدره او تهجس نفسه بالسؤال عما قدمه له الوطن من المتع والخيرات .. وعما قدمه للوطن أولئك الذين قدم لهم الوطن كل شيء . اما اذا كان فى الامر ضرائب زهيدة لا تبلغ ربع نظائرهافى البلدان الاجنبية فهنا يثور السادة الاغنياء ... (١)

ونحت عنوان « صحافتهم » يكتب عصام ناصف « كنا نحسب ان ثورة البرجوازيين الرجعيين (نلاحظ انها المرة الوحيدة التى استخدم فيها لفظ برجوازية فى مجلة التطور) ضد التعليم الالتزامى قد خمدت الى الابد، ولكن فاضيا رقيق الشعور هو الاستاذ يوسف يعقوب رأى فى بعض القضايا التى نظرها ان هناك آباء يبلغ بهم الفقر حدا لا يستغنون فيه عن استغلال اطفالهم .. وهنالك بوق آخر من أبواق الرجعية هو الاستاذ محمد زكى عبد القادر أعجبه هذا الرأى الخطير فكتب فى « الاهرام » يقول « ان المسألة التى يتعين بحثها فيما يختص بقانون التعليم الالزامى هى : هل التعليم مقدم على الخبز او الخبز مقدم على التعليم ؟ هل يجب ان يعطى الطفل لقمة ليأكل او قلما ليكتب ؟ ان هذا القانون فى حاجة الى تعديل كبير بل لعله فى حاجة الى الالغاء . ولا بد من بحث المسألة كلها بشيء من الجرأة والفهم الصحيح». ولسنا ندرى ما هى الحاجة الى «الجرأة» هنا ، فان الدفاع عن وجهة النظر الرجعية ليس الان ولم يكن فى اى عهد من عهودنا محتاجا الى الجراة .. ان الخبز والتعليم كليهما ضرورى ، ولكن هذا لا يسوغ للاستاذ ان يضع سؤاله فى هذه الصيغة المضللة فان فى وسع الدولة ان تعطى كل طفل لقمة ليأكل وقلما ليكتب ومن واجب الدولة ان تقدم الخبز والتعليم معا الى هذا الشعب الجائع البطن والرأس .. أما محاربة الفقر بالجهل فلا يؤدى الا الى نتيجة عكسية » .

ثم يختتم عصام مقاله العنيف قائلا « .. ونحن نطمئن حضرته .. فسيجد الفلاحون والعمال والصعاليك دائما ما يقرأونه ونحن سنزودهم بما يقرأون » (٢) وفى مقال آخر يقول عصام ناصف قررت ان « أنشر التعاليم الاشتراكية وأدعو اليها » (ونلاحظ انها المرة الاولى والاخيرة التى ترد فيها كلمة الاشتراكية فى مجلة «التطور» وكانت كلمة الاشتراكية فى ذلك الحين تثير الدهشة المقرونة بالاستخفاف عندمايدور الحديث عليها باعتبارهامسألة ذات علاقة بمصر .)

.. « وقد نصحنى بعضهم بعد محاكمتى على كتابى « الاشتراكية

(١) المرجع السابق .
(٢) التطور — مارس ١٩٤٠ .

الجديدة » و « التجديد الاجتماعي» ان اتحاشى التعرض للخطر بتحاشي ذكر كلمة « الاشتراكية » والاكتفاء في كتاباتي بعرض ما لا يتعذر الان من المطالب الخاصة بتحسين حال الطبقة العاملة في مصر · ولكني رفضت الاصاخة الى هذه النصيحة وأجبت محدثي اني أعني بغرس كلمة الاشتراكية في أذهان المصريين ونشرها وجعلها مألوفة في مصر اكثر مما اعني ببعض اصلاحات معينة ، وقد عقبت القول بالعمل فأخرجت كتاب « حركة العمال والاشتراكية الديمقراطية » و « مبادىء الاشتراكية » و « المسألة الاشتراكية » وقد بلغت مصر في النهاية بعض ما رجوناه لها فكثرت فيها الدعوات الى الاصلاح الاجتماعي وظهر الاتجاه الاشتراكي في أبحاث الباحثين ودعوات المصلحين»·

ثم يوجه عصام كعادته لطمة عنيفة لشركائه في المجلة من الساخطين والاصلاحيين قائلا « ·· ومع ان هذه الدعوات ليست في الصميم ، ومع ان معظمها ليس جديا ، ومع ان الكثير منها لا يعدو الندب والعويل ، ومع ان الكثير منها يدعو الى انقاذ كبار المزارعين واصحاب المصانع في طيات الدعوة الى انقاذ لفلاحين والعمال ، فاننا نسجل مع الاغتباط ان جهودنا قد أصابت بعض النجاح فهي على الاقل قد نجحت الى حد ان الكثيرين من المرتزقة والمهرجين اقد اصبحوا بتطفلون عليها » (١) ·

وهكذا يمضي عصام ناصف مهاجما « المنحرفين » بكل العنف الممكن ، ومهاجما ايضا الرجعيين من كبار الملاك العقاريين والبرجوازيين ·· وعندما تثور ثائرة اعضاء مجلس النواب على « مشروع قانون يمنع الحجز على بعض حاجيات الفلاحين » ويصيح أحمد بك عبد الغفار في البرلمان قائلا : « انا اعترض على هذه القوانين التي تقدمها لنا الحكومة لانها قائمة على مبادىء ثورية بلشفية ·· » يواجه عصام ناصف محلس النواب بمقال عنيف بقول فيه « ان النواب ليسوا سوى جماعة من اصحاب الاملاك او ممن يطمعون ان يصبحوا كذلك ذات يوم ، وان الاغلبية الساحقة من الشعب المصرى اى الفلاحين ليس لهم من يمثلهم في هذا المجلس ، وان رجال الاحزاب السياسية المختلفة وان اختلفوا في المسائل الثانوية وتنازعوا على الحكم ·· فانهم يقفون صفا واحدا عندما يتعلق الامر بطبقتهم » ·

ثم يمضي عصام في هجومه على النواب متهما اياهم بالكذب والتهريج والخداع ·· ويقول « والواقع ان اتهام المصلحين بالترويج للبلشفية (نلاحظ انها المرة الاولى التي ترد فيها كلمة البلشفية على صفحات «التطور» لدس الا الطراز الحديث من سلاح الرجعيين الابدى ، فقد كان السادة في العهد القديم يتهمون المصلحين بالاباحية وبهذه التهمة أرغم سقراط العظيم على تناول السم ، ولكن هذه التهمة لم تعد صالحة للاستعمال لان السادة أنفسهم اباحيون ، وكانوا في القرون الوسطى يتهمون المصلحين بالالحاد ولكن هذه التهمة لم تعد صالحة للاستعمال لان الدول المتمدينة تحمى

---

(١) التطور ـ ابريل ١٩٤٠ ·

الالحاد ، ولأن الالحاد لا يغضب احدا غير الطائفة التى لا يهم غضبها احدا ! ادن فالبلشفية ! » .

تم يوجه حديثه الى الاغنياء قائلا « ولعل السادة الاغنياء والنـــواب المحترمين يفهمون قبل فوات الوقت ان الترويج للمبادىء البلشفية وتحبيبها الى قلوب الشعب لا يكون بالمطالبة بهذه الاصلاحات الطفيفة التى اذا نحـن رحبنا بها فليس ذلك على انها اصلاحات حقيقية بل على انها دلالة على اتجاه التفكير نحو الاصلاح ليس الا ، وانما يكون هذا الترويج بمحاربة هــذه الاصلاحات وافهام البائسين الذين يحسون مسيس الحاجة الى الاصلاح ، ان الاصلاح قرين البلشفية ، وان فرض الايلولة على تركات الاغنياءبلشفية، وان نشر التعليم الالزامى بلشفية ، وان تعليم البنات بلشفية ، وان محاربة البذخ والتبذير بلشفية ، وان المطالبة بترقية أحوال العمال والفـــلاحين والجنود بلشفية ، وان الدعوة الى تخفيض رواتب كبار الموظفيـــن وزيادة رواتب صغار الموظفين بلشفيه وان المطالبة بتشريع يحمى الفلاحين مـــن اســتبداد الملاك بهم بلشفية .. وعلى ذلك فان حضرات النـواب المحترمين لا يخدمون انفسهم ولا طبقتهم حين يكثرون من ترديد الاتهام بالبلشفية»(١).

ويكتب عصام مقالا عنيفا آخر بعنوان « نحو امة عديمة الطبقات»يشن فيه هجوما شديدا على الرأسماليين فيقول « تمتاز الرأسمالية فى مصر بأنها حديثة العهد ، ولذلك نرى فى بعض اصحاب رؤوس الاموال عندنا صفات « المحدثين » فى الثراء ، فهم يلقون الكلام على عواهنه دون ان يحاولـــوا التضليل والتمويه ، وهم يفترضون ـ مبدئيا ـ ان الله هو الذى وضع نظام الطبقات ، فمن كان يكد ويكدح فقد سخره الله للكد والكـــدح ومن كان يستمتع ويتأمر فقد خلقه الله للامارة والاستمتاع ، وهم يزعمون ان الثراء ـ فى حد نفسه ـ دليل على الكفاية وعنوان للاســتحقاق ، فمن كان ثريا فجدير بالدولة ان تمد له فى اسباب الثراء ، ومن كان فقيرا فحقيق به ان يزداد فقرا ومسغبة ، وهم يعتقدون ان الديمقراطية هى نظام سيادة اصحاب رؤوس الاموال ، وليس البرلمان الا نقابة لهم يبحثون فيهـا شـــئون طبقتهم » (٢) .

.. وضمن نفس التيار يمكن وضع بعض مقالات رمسيس يونان ..

وقد كتب رمسيس يونان عددا من المقالات لعل أهمها تعليقه المبدع على كتاب « مستقبل الثقافة فى مصر » للدكتور طه حسين .. وفى البداية يقول رمسيس « يزعم قوم أن الدكتور طه حســين مجدد متطرف ، وانه ثورى التفكير ، بل ويزعمون انه ملحد ، ونبحث عن هذه الصفات الخـلابة فى طه حسين وعما يشابهها مما يكال له بغير حســاب ، فنعجب ولا نعـرف أى المقاييس يصطنع هؤلاء القوم فيما يزعمون » .

(١) التطور ـ مايو ١٩٤٠ .

(٢) التطور ـ ابريل ١٩٤٠ .

ويمضى رمسيس مفندا آراء طه حسين فيقول « ليس يكفى ان يكفل الدستور حريه الافراد ليصبحوا احرارا حقا ، فلا بد من ان نمارس الحريه لنتعلم الحريه ، ولا بد ان يعتمد الفكر الحر على خبرة وتجربه حره ليتقوم وينضج ويثمر ... »

ثم يقول « خلاصة هذا ان تسعة اعشار فتيان وفتيات مصر لا يسمح لهم الان بنصيب من التعليم ، اذا استثنينا هذا الهزل الذى يعلم فى المكاتب الالزاميه ولا يصيب مع ذلك الا اقليه من ابناء الفقراء . هذا بينما تفتح ابواب التعليم على مصراعيها امام ابناء الطبقتين الغنيه والمتوسطه ــ سواء منهم الاذكياء او الاغبياء ــ ما داموا يدفعون مصروفات هذا التعليم . ونحن نخدع انفسنا عندما نقول ان الاغنياء يدفعون مصروفات تعليم ابنائهم ،فمن المعلوم اولا ان هذه المصروفات لا تصل الى نصف ما يتكلفه الطالب فعلا ، اما النصف الاخر فان الامه هى التى تدفعه . واذا ذكرنا الامة فقد ذكرنا ذلك الرجل البائس الذى هو مصدر كل ثروة فى مصر ــ نعنى الفلاح . ومن المعلوم ثانيا ان ثروة الاغنياء فى مصر ليست نتيجه مجهودهم المستقل وانما هى فى نهايه الامر نتيجة مجموع مكدس من التضحيات يبذلها الفلاح المصرى فى كل دقيقة من حياته وبكل قطرة من دمه . فلماذا لا نعلن الحق ونقول ان الفقراء هم الذين ينفقون على تعليم ابناء الاغنياء » .

ثم يمضى رمسيس يونان ليطالب ليس فقط بحق ابناء الفقراء فى التعليم المجانى وانما « لا بد ــ فوق التعليم المجانى ــ من اعانه ابناء الفقراء على نفقات معيشتهم من ملبس وغذاء » .

ويطالب بفرض ضريبه على الاغنياء « تسمى ضريبة التعليم يعفى منها من لا يزيد دخله عن ١٠٠ جنيه فى العام على ان تكون ضريبة تصاعديه ... ومثل هذه الضريبة لن تميت الاغنياء جوعا ولن تسيرهم حفاة الاقدام ولن تضطرهم الى آكل المش وشرب الماء الملوث والنوم فى حظائر البهائم .. بل ستتركهم كما هم فى نعيم مقيم » (١) .

ويجدر بنا قبل ان ننتقل الى موضوع آخر ان نشير الى ان « التطور » قد دافعت عن طه حسين بقدر ما هاجمته .. فعندما يتقدم خمسة من اعضاء مجلس النواب باستجواب الى وزير المعارف « بشأن الاسباب التى حدت بالوزارة الى اسناد وظيفة مراقب الثقافة العامة الى رجل كطه حسين عرف بنزعات وآراء ضد تقاليد البلاد وأخلاقها ودينها » .

تعلن « التطور » « نحن مع طه حسين » ونقول « لقد انتقدنا طه حسين على صفحات هذه المجلة .. لا لهذه التهم التى يلصقونها به وانما لروح المحافظة الظاهرة فى علاجه لمستقبل الثقافة فى مصر وفى طريقة توجيهه لهذه الثقافة بما لا يلائم اتجاهات العصر .. ولكن اذا كانت عوامل الرجعية قد

---

(١) التطور ــ يناير ١٩٤٠ .

شاءت ان ترفع رأسها من جديد لتقضى على الخطوة التى اجتازتها البلاد على يد مفكرين كطه حسين وغيره ممن لا نؤمن نحن بهم تمام الايمـــان كمعبر صادق عن حقيقة النزعات المتوثبة فى نفسية هذا الجيل ٠٠ فنحن نصرح فى وجه دعاة الرجعية هؤلاء ، نحن مع طه حسين الى ان نقضى على كل القوى التى تحاول ان نخلق لنا فى القرن العشرين « عصور وسطى جديدة » (١) ٠

اما رابع الاربعة اصحاب التيار الراديكالى فى « التطور » فهو « فيصل عبد الرحمن شهبندر » وهو يكتب تحت عنوان « الحدود والقيود » مناقشـا طبيعة النظام المصرى ٠٠ والحدود التى يقوم الدستور المصرى على اساسها ثم يقول « ٠٠ جاء الدستور ناطقا بان الامة مصدر السلطات ولكن الدستور فيما نص عليه قد اقر الاسس النظرية لسـلطات الامة فحسب ، بينما الامر الواقع من ناحية اخرى يدلنا دلالة لا ريب فيها على ان الشعب عنصر لا شأن له فى تسيير دفة الدولة ٠٠٠ شيد الدستور الاركان النظرية الحكم الشعبى، ولكن فاته ان ثمة عوامل اقتصادية واجتماعية تقلب الاوضاع رأسا على عقب فتنقل مقاليد السلطة من يد الى اخرى ٠٠ وتجعل من السيد مسودا ومـن الرئيس مرؤوسا فكيف لأمة ينهش فى أضلاعها الجوع ويطبق على ابنائهـا الجهل ان نقيم من نفسها رقيبا على أناس تفردوا بالمال والعلم والسـلطة وامتلكوا ما على الارض وما فى باطنها وأقاموا الانظمة القانونية التى تجعل قوام السلطة وقفا عليهم وعلى ذريتهم من بعدهم » (٢)

★★★

والدين ٠٠ كان واحدة من المعارك الهامة التى تصدت لها «التطور» ، واذا كان « زكى سلامة » قد وجد الجرأة لكى يكتب مقالة « نشوء فكرة الله وتطورها » (٣) فان الآخرين قد اكتفوا بمناقشة الدور الذى يلعبه رجـال الدين تجاه عملية تطوير المجتمع ٠٠

وفى مقال عاصف بعنوان « تيارات رجعية » يعلن أنور كامل « نحن نرفض هذه السجون التى تضعها على عقولنا فئة ضئيلة جاءتها القوة عفوا ٠ ان كان المجتمع الحاضر لا يكفل الحرية لارواحنا وأجسادنا فلا أقل من ان نحيا أحرارا بتفكيرنا وخيالنا » ٠ ثم يبدأ المقال بهجوم مباشر وعنيف « لرجال الدين فى التاريخ صفحة سوداء ٠ وليس يجهل أحد أطوار الصراع الذى نشأ بينهم وبين رجال الفكر الحر من قديم الزمن حتى بلغ أشده فى القـرون

---

(١) التطور — مارس ١٩٤٠ ٠

(٢) التطور — فبراير ١٩٤٠ ٠

(٣) التطور — فبراير ١٩٤٠ ٠

الوسطى وحتى انتهى بانتهاء سلطتهم المباشرة بانتشار الافكار الجديدة »..
ثم يتجه بهجومه ضد « جماعه الاخوان المسلمين » دون ان يذكر اسمـــا صراحة وانما يكتفي بالقول « جمعيات نشأت فى مصر في السنوات الاخيرة وعملت على مزج الدين بالسياسه من جديد مستغلة فى هذا اسم الدين فى الخصومات السياسيه والمنازعات الحزبيه الرخيصة .. واذا كانت هــذه الحركات الرجعية قد اتخذت لنفسها هذا الشكل الهستيرى الحاد فقد كـان طبيعيا ان تضع فى مقدمة اهدافها العمل على خنق حرية الفكر » .

تم يندد بلجوء اعضاء هذه الجماعة الى استخدام القوة ضد خصومهم « لو كان القائمون بهذه الحركات مخلصون فى عقيدتهم لما رفعوا السيف فى وجه القلم ، فالدين القوى يستطيع ان يصمد للنقد دون ان يتطرق الشك اليه . ان استعمال القوة المادية ضد الفكر وهو قوة معنوية دلالة على العجز والقصور » (١) .

ويلتقط الكرة عصام ناصف ـ كعادته ـ ليشن هجوما عنيفا عـلى الشيخ المراغى قائلا « لاشك ان جماعة رجال الدين فى مصر من أنشـط الجماعات ، والمسائل الدينية تعتبر فى مصر ـ دون مسوغ ـ من المسـائل الشائكة ولذلك يتحاشاها الكثيرون ، ولكن هذا الاعتبار يجعلها فى نظرى أجدر بوضعها على منضدة التشريح .. » تم يقول « يسرنا لو خفف رجـال الدين من نشاطهمفان البلاد مرتبكةومشغولة بمسائل أهم من مسألتهم»(٢).

وفى مقال بعنوان « بين الجامعة والازهر » يطالب أنور كامل بادماجها فى معهد واحد حتى لا يبقى الجيل الجديد نهبا للانقسام بين « الجامعة التى تمثل العقلية الجديدة والازهر الذى يمثل العقلية المحافظة » (٣) .

★★★

واذا كانت «التطور» قد اعلنت فى افتتاحية عددها الاول انها « لاتقدم للناس برنامجا معينا لحل المشاكل المختلفة » .

واذا كانت قد حاولت ان تستطلع الرأى وأن تتحسس الطريق نحـو فهم المشاكل المحددة .. بتوجيهها الى قرائها « دعوة للتفكير فى حالة المجتمع المصرى » .

واذا كان انور كامل قد نعى على الاحزاب الاخرى تسرعها في اعـداد البرامج « التى لا تستغرق من كاتب مواضيع الانشاء اكثر من ساعة او نصف ساعة » والتى تكتفى « بالدجل والتهريج والشعوذة حتى اصبح من العادى جدا ان نقرأ فى الصحف السياسية والاجتماعية نفس الكلمات التى تكتب

---

(١) التطور ـ مارس ١٩٤٠ .

(٢) التطور ـ مارس .

(٣) التطور ـ فبراير ١٩٤٠ .

للدعايه عن بعض العقاقير التى تشفى جميع الامراض » (١) .

فان « التطور » قد وجدت الجراه بعد ذلك لتقدم برنامجا .. بل برنامجين . الاول تقدم به زاهر عالى تحت عنوان « ثورة على التقاليد » اشرنا فيما سبق الى فقرته الاولى الخاصه بالمرأة . اما الفقرة الثانيه فعنوانها « التضامن الاجتماعى » وتقول « يجب الاخذ بمبادىء النظام والتضامن الاجتماعى والتى بمقتضاها على كل فرد شبه التزام طبيعى قبل الغير هو الواجب الاجتماعى – ان ابسط مبادىء الانسانيه تملى بتحسين حاله الطبقات الفقيره من الامه وبتخفيف الامهم ، وذلك باصلاح نظام توزيع الثروة بين الافراد – على الحكومه اولا تنميه الثروةالاهليه – قوة الانتاج – وذلك بادخال الالات والنظم الحديثه فى الزراعه وانهاض الصناعه الوطنيه واكتشاف موارد الثروة الطبيعيه فى البلاد ... ثم لا قيمة لزيادة كفايه الانتاج ان لم تقترن بتوزيع عادل للثروة وبارتفاع مستوى المعيشه حتى يتزن الانتاج بالاستهلاك – يجب على المشرع اذن ان يتدخل ، عملا بنظام توزيع اصلح ، مطبقا مبدأ تصاعد الضريبه بنسبه اعلى من النسبه الحاليه ، وبرفع فئة ضريبه التركات ، وبتحديد الملكيات العقاريه الكبيرة – ويجب على المشرع ايضا ، اخذا بسياسه انتاج أصلح ، ان يتدخل بالاستيلاء على بعض فروع الانتاج الكبير لتخفيف مظالم المنافسة ولاستغلالها بوجه أقدر ماليا . – ثم اخيرا : على المشرع ان يتدخل لحماية العامل الضعيف امام صاحب العمل بتعيين حد أدنى وحد أعلى لساعات العمل ..

ثالثا – الدين والدولة : يجب فصل الدين عن الحياة المدنية تشريعا – كما يجب ايجاد تشريع وضعى لمسائل الاحوال الشخصية وغيرها حتى يتكيف مع ملابسات الحياة الجديدة .

رابعا – الرتب : يجب الغاء الرتب الفخرية تحقيقا للمساواة الاجتماعية .

خامسا – الوقف : يجب الغاء الوقف حتى لا يستولى بعض الافراد على دخل دون ان يؤدوا عملا .. » (٢)

ويكفى لابراز اهمية هذا البرنامج انه كان يطالب بتحديد الملكيات العقارية الكبيرة وباستيلاء الدولة على بعض فروع الانتاج الكبير ..

ويقدم أنور كامل برنامجا آخر ، لكننا يتعين علينا ان ندرك انه كان يقدمه وهو يتراجع امام ضغط شديد من بعض الجمعيات التى طالبت رئيس الوزراء بايقاف مجلة « التطور » على اساس انها « تعمل على نشر الاباحية وهدم الفضيلة والدين وتقويض أركان النظامين الاجتماعى والدستورى » .

وفى مواجهة ذلك يحاول أنور كامل ان يعلن برنامجا معتدلا .

١ – تدافع مجلة « التطور » عن حقوق الافراد وتطالب بتحسين حالة

---

(١) التطور – مارس ١٩٤٠ .

(١) التطور – مايو ١٩٤٠ .

الطبقات العامله التى هى مصدر الثروه فى هذه البلاد وهى لا ترى فى هذا سندا للنظام القائم وانما ترى فيه تحقيقا لابسط مبادىء العداله الاجتماعيه .

١ ــ تدافع مجله «التطور» عن حريه المراه وتنادى بحقها فى المساواه فى كافه الحقوق والالتزامات قبل الرجل وقبل المجتمع .

١ ــ تدافع مجله «التطور» عن حريه الفكر بصفه عامه . وهو امــــر يتضمن مبدا حق الفرد فى حريه الاعتقاد الدينى وفى حريه التصريح بهـــذا الاعتقاد وهى تحارب فى نفس الوقت التعصب وترى فيه عامل من عوامــل التفرقه يمس الحريه الشخصيه ويضر بمبدا التضامن الاجتماعى . كمـــا انها تعارض بشده كل تدخل من الهيئات الدينيه فى الشئون المدنيه ، ولا توافق على استغلال الشعور الدينى الذى تقوم به بعض الاحزاب لتحقيق اغراضها الحزبيه » (١) .

والحقيقه ان «التطور» قد حاولت فى كثير من الاحيـــــان ان تتلمس مواقف محددة ازاء المشاكل الاساسيه فى المجتمع .. يمكن ان نستخلص منها محاوله « لبرمجه » مواقف متناثرة تبحث لنفسها عن طــــريق اكثر تحديدا واكثر وضوحا ..

وتحت عنوان « فى سبيل سياسة انشائية » يعلق جورج حنين عــلى تقرير مكتب العمل عن عام ١٩٣٩ ويطالب « باسبوع الساعات الاربعين » ويقول انه « بمثابه كابوس للراسماليه » ويطالب « بالحد الادنى للاجر » وكذلك « لابد من القيام بعمل اساسى مباشر . لابد من ازاحة مركز ثقـــل الثروة الاهليه .. ويتحتم ايجاد تنظيم جديد للاجور ينتهى برفع المرتبات الشهريه التى تتراوح بين ٢ جنيه و٢٥ جنيه رفعا تنازليا وانقاص المرتبات التى تتعدى ٥٠ جنيه انقاصا تصاعديا » ويطالب ايضا « بتكوين خزانة دائمة للتعمير الوطنى عن طريق فرض ضريبة تصاعدية على التركـــــات وكذلك بالاستيلاء على ارباح الشركات التى تقوم باعمال عامه متى تعدت هـــــذه الارباح ١٠ بالمئة من رأس المال » (٢) .

ويقدم محمد صادق دراج دراسة جيدة « عن أجور العمال » يستخلص خلالها من الاحصاءات الرسميه « ان متوسط الاجر الذى يتناوله العـــامل ليعول اسرة مكونة من ثلاثة اشخاص هو سبعة قروش .. وان حوالى ٧٠ بالمئة على الاقل من العمال يعيشون دون الكفاف » (٣) .

وتحتفل «التطور» بعيد اول مايو ــ عيد العمال الدولى وتطالب العمال المصريين بالاحتفال به .. وتقول «وقد احتفل بعيد اول مايو فى مصر لاول مرة فى مدينة المحلة الكبرى فى أواخر سنى الحرب الفائتة ، ثم احتفـــل به

---

(١) التطور ــ ابريل ١٩٤٠ .
(٢) التطور ــ مارس ١٩٤٠ .
(٣) التطور ــ مايو ١٩٤٠ .

بعد ذلك فى مدينة بور سعيد ، ولايزال عمال البحر الاحمر يحتفلون به كل عام » (١) ٠

ويقدم أنور شتا صورة نثرية درامية لعمال الفحم فى ميناء بور سعيد بعنوان « حاضر يا ريس » يوضح فيها مدى الاستغلال الذى يتعرضــــون له ٠٠ (٢)

وتحت عنوان « فوضى النظام الاجتماعى » تقول « التطور » فى احدى الشركات الكبيرة يعمل ما يزيد على عشرين الف عامل وعاملة بأجور يومية تتراوح بين ثلاثة قروش وخمسة وليوم عمل يبلغ احدى عشرة ســـاعة يوميا » (٣) ٠

★★★

وهكذا كانت « التطور » معبرا ضروريا لجماعات المثقفين كى يتحولوا من السخط المجرد والرفض اللاواعى الى الفهم الطبقى والماركسى لحقـــائق العصر ٠٠

البعض وعى التجربة فاستقام أمامه الطريق وخاض غمار المعركة ٠٠

والبعض اكتفى بالسخط والرفض الفوضوى ٠٠ فغاب مـــن ذاكرة التاريخ سريعا ٠٠

وبين المحاولات العنيفة لتخطى الهامش الحديدى الذى يرفض الانتماء والذى رسمه جورج حنين بدقة ، والرغبة الجامحة لدى البعض فى الخلاص من اسار المثقفين المنعزلين والالتقاء مع حركة الجماهير المصرية العارمة ٠٠

انقسمت « الفن والحرية » ٠٠ وقامت جماعة « الخبز والحرية » ٠٠

وكانت هناك تنظيمات ماركسية سرية تتكون سريعا لتلبى حاجات التطور وتعبر عن مرحلة جديدة تمر بها مصر ٠٠ « تحرير الشعب » « الحـــركة المصرية للتحرر الوطنى » وتواكب المثقفون اليساريون نحوها ٠

ولم يعد « الهامش » مقبولا ، وصار التمايز اساس كل فهم سليم ٠٠

وسحب جروج حنين الضمان المالى ٠٠ وتوقفت « التطور » عـــن الصدور ٠٠

---

(١) المرجع السابق ٠

(٢) المرجع السابق ٠

(٣) التطور — ابريل ١٩٤٠ ٠

كنت أتصور ان الرجل يراوغنى ٠٠ فقد اشتهر دوما بالتحفظ والحذر الشديد الذى يصل الى حد الانغلاق والحلقيه ٠٠

روى لى قصة اهتمامه بالشعب المصرى ، وبالفكر الماركسى ، وكيف أسس اتحاد أنصار السلام فرع فى القاهرة واخر فى الاسكندريه ، كيف ساعدوا الجمهوريين الاسبان ، كيف رتب لقاءا بين نهرو ومصطفى النحاس، كيف تجمع حوله عديد من الشخصيات التقدميه فى اتحاد انصار السلام ، وكيف حاول هذا البعض (جورج حنين ـ راؤول كوريل وغيرهما) ان ان ينشطوا نشاطا واسعا « وأنا خشيت ان يهدد نشاطهم كيان الجمعية وأن يكشفنا للبوليس السرى » (١) ٠

وروى كيف أنه « فى عام ١٩٣٩ وبعد نشوب الحرب العالمية الثانية لم يكن من الممكن استمرار جمعية السلام فى العمل فتحولت الى جماعة باسم «مجموعة الدراسات » وبدأنا فى اعداد دراسات عن الواقع المصرى والفلاحين ٠٠ »

لكننى كنت أحاول دائما وخلال جلستين امتدتا الى ما يزيد عن عشر ساعات احداهما فى القاهرة والاخرى فى باريس ٠٠ كنت أحاول ان اتجه بالحديث نحو عملية تأسيس التنظيم الشيوعى الذى عرف بعد ذلك بأسماء عديدة « طليعة العمال » « الفجر الجديد » «د ٠ ش» «العمال والفلاحين» الخ ٠٠ ويتهرب بول جاكوب دى كومب متبرما ٠٠ « أنا مصمم على اننى لم اؤسس تنظيما ، أنا وضعت البذور ثم تركتها لتنمو ٠٠ انا كنت من الناحية المبدئية ضد ان يقوم اجنبى بتأسيس تنظيم ٠٠ اننى أقرر بوضوح ان تاريخ الحركة الشيوعية قد بدأ بعد ان تنحيت انا عن العمل ٠٠ لقد عملت فى مصر عشر سنوات من النضال الديمقراطى والماركسى بهدف نقل الفكر الماركسى الى عدد من المصريين وهذا هو كل دورى ٠٠ وبعد ذلك تركتهم يفعلون ما يشاءون » (٢) ٠

---

(١) راجع النص الكامل لمحضرى النقاش مع بول جاكوب دى كومب ، د٠ رفعت السعيد ـ اليسار المصرى ١٩٢٥ ـ ١٩٤٠ ـ دار الطليعة بيروت ٠ ص ٢٤٣ ٠

(٢) المرجع السابق ، ص ٢٥٠ ٠

وعندما الححت بالســؤال تبرم الرجل من جديد قائلا « أولا أود أن أؤكد اننى منذ ١٩٤٠ قد شعرت شـعورا قويا بأن دورنا قد انتهى • كنـا قد وضعنا البذور ويكفى هذا بالنسبة لاجانب • وكان رأينا أن نترك الأمر للمصريين وحدهم واذا احتـاجوا الى بعض المعلومات او المسـاعدات مثل الترجمة وما الى ذلك فاننا نقدمها لهم • لكن قيامنا نحن الاجانب بتأسيس منظمة شيوعية مصرية كان أمرا مرفوضا » •

وعندما سالته فى ختام حديثى معه « هل تريد ان نضـيف شيئا حول النشاط فى الاربعينيات ؟ اجاب بشكل قاطع « اسال أصحاب هذا النشاط ، أما أنا فكان دورى قد انتهى تماما » (١) •

***

واتجهت الى اصحاب هذا النشاط •• واجريت مناقشات ممتدة مع اثنين منهم يوسف درويش وصادق سعد وادركت سـاعتها ان بول جاكوب دى كومب لم يكن يراوغنى وانما كان يقول الحقيقة ، ومن مناقشاتى معهما امكننى ان اصل الى الحقائق التالية •

بعد حل اتحاد أنصار السلام تكونت « مجموعه الدراسات » •• وفى داخل مجموعه الدراسات لمنير عننى كانت هناك مجموعه ضيقه جـــدا تدرس الماركسيه وتعتنقها ، ويمكن التاكيد بان تواجد هـــذه المجموعه الماركسيه يمتد حتى ايام اتحاد انصار السلام •

وهذه المجموعه الضيقة كانت تتكون اساسا من الاجانب ، ولكن بول جاكوب حاول ان يصل بافكاره ونشاطه الى المصريين باعتبار ان ذلك هـــو الواجب الاساسى ••

ومن الاجانب الذين كان معظمهم من اصل يهودى الى مصريين ذوى اصل يهودى وذوى ثقافة اجنبية •

فالمجتمع الاجنبى كان فى ذلك الحين مجتمعا معزولا له ثقافته وتقاليده ولغته ، بل وصحافته وأشعاره وفنونه واهتماماته الخاصة المتميزة عـــن ثقافة وتقاليد ولغة الشعب المصرى ••

كان الاجانب مجموعة كبيرة العدد متعددة الجنسيات لكنها متقاربة التفكير والثقافة والمستوى الاجتماعى ، وكانت فى مجموعها متعالية عـــلى الشعب المصرى ترفضه وترفض أفكاره وتقاليده وتراثه ولغته ولا تربطهـــا بمصر سوى رابطة الاقامة ، التى لا تنظر الى مصر الا كبلد يسهل استغلاله واستغلال ابنائه والاستمتاع فى رحابه بالامتيازات الاجنبية •

---

(١) المرجع السابق ، ص ٢٥٠ •

كانوا يحتقرون الشعب المصرى واللغة العربية ويرفضون استخدامها او التحدث بها ٠

وكان البعض منهم يتحدث عن الحريات والديمقراطية ويحلمـــون بمجتمعات افضل ولكن ليس للمصريين وانما لشعوبهم الاصلية ٠٠

ولكن الاجانب الماركسيين كانوا يمثلون مرحلة جديدة حاولت جاهدة ان تربط عقيدتها بكفاح يومى من اجل الشعب ٠٠ غير ان الوصـــول الى الشعب المصرى كان بعيد المنال فثمة حواجز حقيقية ٠٠ اللغة ، التقاليد ، كراهية الاجانب الخ ٠٠ وهكذا كانت الحلقات الماركســـية الاجنبية تبقى حبيسة التجمعات الاجنبية عاجزة عن اقتحام حواجز العزلة ٠٠

٠٠ وبول جاكوب دى كومب رجل حريص ، لا يعرف القفز ولا السرعة ٠٠ انه يخشى اى خطوة متسرعة ، او حتى معتدلة ، أنه يتلفت عشر مرات قبل ان يخطو خطوة واحدة ٠ وظل يعمل حوالى ست سنوات كاملة فى نشاط علنى وسرى متصل ليكون مجموعة صغيرة جدا معظمها من الاجانب وليس فيها من يمكن القول بأنهم مصريون سوى ثلاثة من اصل يهـــودى وذوى ثقافة اجنبية هم ريمون دويك ـ يوسف درويش ـ صادق سعد ٠

وكان هذا الكسب المتواضع كافيا لبول جاكوب فدفع هؤلاء الثـــلاثة الى الابتعاد عن المجموعة الاجنبية ٠٠ كان يصدهم عنها ليعملوا مستقلين ٠٠ كان ـ كما قال لى صادق سعد فى نقاش معه ـ يصرخ فيهم « لستم اطفالا٠٠ لقد بلغتم سن الفطام » ٠

وفى ١٩٤١ وجد الثالوث (صادق سعد ـ ريمون دويك ـ يوســـف درويش) سبيله للعمل المستقل ٠٠

★★★

واتفق الثلاثة على العمل فى شعبتين منفصلتين ٠

ريمون دويك وصادق سعد ليعملا وسط المثقفين ٠

ويوسف درويش باعتباره محاميا عماليا للعمل وسط العمال ٠٠ على أن يكون صادق سعد مسئولا للاتصال بين الشعبتين ٠

ولنمسك الآن بالخيط الأول ٠٠ مرجئين نشاط يوســـف درويش الى فصل قادم نتحدث فيه عن مجلة « الضمير » ٠

٠٠ ريمون دويك وصـــادق سعد اتصلا بسعيد خيال ومصطفى كامل منيب واشتركا معهما فى تأسيس « جماعة نشر الثقـــافة الحديثة » لكنهما كعادتهما ووفقا لتعليمات الحذر الشـــديد التى أحاطت بكل تصرفاتهما لم يفاتحا الاثنين فى أى شىء ، وحاولا مجرد استخدام « جماعة نشر الثقـــافة الحديثة كمنبر علنى لهما دون أن يشعرا أحدا من شركائهما بذلك ٠

وقد أدى ذلك الى تردى الوضع وطردهما من هذه الجماعة ٠٠ ويروى

سعيدخيال القصة فى مناقشة أجريتها معه فيقول « حضر شخص من الحزب الشيوعى الفلسطينى اسمه «الحسينى» ولا اذكر بقية اسمه ، وقابل مصطفى كامل منيب وخلال الحديث معه قال له ان لديهم معلومات ان مؤسس « جماعة نشر الثقافة الحديثة » هو بول جاكوب دى كومب فلما نفى مصطفى كامل منيب ذلك ، اكد له « الحسينى » ان جاكوب كان فى فلسطين وأبلغ الحزب الفلسطينى بذلك .. ولم يبلغنى مصطفى كامل منيب بذلك لانه كان يعلم اننى عنيف فى تصرفاتى فى مثل هذه الحالات ، واكتفى بأن اقترح على ابعاد صادق سعد وريمون دويك من الجماعة على اساس انهم من اصل شبه اجنبى وانهم ليسوا مصريين تماما .. ووافقت على ذلك وتم ابعادهما .. وبعدها شرعا فى تأسيس « الفجر الجديد » .

★★★

ويروى صادق سعد انه خلال تواجده مع ريمون فى « جماعة نشر الثقافة الحديثة » كانا قد تعرفا « الى عدد من المثقفين المصريين منهم أحمد رشدى صالح ، عبد الرحمن الشرقاوى ، نعمان عاشور ، سعد مكاوى ، محمد اسماعيل محمد ...

وتعرفنا بأبو سيف يوسف عن طريق محمد اسماعيل وبعلى الراعى عن طريق أحمد رشدى صالح » .

وهكذا فان الماركسيين الاجانب توصلوا الى انصاف المصريين وانصاف المصريين تلاحموا مع عدد من المثقفين المصريين .. وأصبح من الممكن بالرغم من ابعادهم عن « جماعة نشر الثقافة الحديثة » ان يلعبوا دورا مستقلا .. وتأسست مجلة « الفجر الجديد » .

★ ★ ★

.. ويكمل صادق سعد روايته ...

.. « كان أحمد رشدى صالح اكثرنا قدرة على الحصول على ترخيص لاصدار مجلة ، فقد كان والد زوجته على علاقة ما بوزارة الداخلية وسهل له الحصول على ترخيص باصدار مجلة « الفجر الجديد » باسمه .

لكن الحصول على ترخيص كان مجرد تخط للعقبة الاولى وظلت عقبة اساسية اخرى هى التمويل ..

ويمضى صادق سعد « وفى جلسة لمناقشة كيفية اصدار المجلة اثار أحمد رشدى صالح مسالة التمويل ، وأبلغناه اننا سنحاول حل هذه المشكلة ، وأصر رشدى صالح على معرفة مصدر التمويل ، واضطررنا الى ان نشرح له الامر ، وعلاقتنا بالمجموعة الاجنبية السرية التى تعمل خلف

« مجموعة الدراسات » وكيف ان هذه المجموعة هى التى ستمول اصـــدار المجلة ٠٠ ووافق رشدى صالح على الانضام الى مجموعتنا الضيقة » ٠

وهكذا وتحت الضغط ٠٠ تحول الثلاثة الى اربعة ٠٠ فقد أجبروا على مفاتحة رشدى صالح ٠٠ لكنهم ظلوا كما هم اربعة ٠٠ دون اية زيادة ٠٠

وظلت العلاقات مع العناصر الاخرى على اساس انها مجرد عنـــاصر صديقة ولم تجر مفاتحة اى منها ٠٠ ويقول صادق سعد « انا كنت مسئول المجموعة التى تعمل وسط المثقفين وفى نفس الوقت كنت حلقة الاتصال مع يوسف درويش ونشاطه وسط العمال » ٠

وظللنا كذلك حتى اواخر ١٩٤٦ ، ولم نفكر فى مفاتحة الاصـــدقاء والتحول الى العمل التنظيمى الا بعد ان أغلق صدقى المنابر العلنية بقراره الشهير في ١١ يوليو ١٩٤٦ ٠٠ »

★ ★ ★

وفى ١٦ مايو ١٩٤٥ صدر العدد الاول من مجلة « الفجر الجديد » ٠ وكانت فى البداية نصف شهرية واستمرت كذلك حتى العدد الثانى عشر الصادر فى ١ نوفمبر ١٩٤٥ عندما اعلنت « الفجر الجديد » انها ســـوف تصدر بعد ذلك اسبوعية ٠٠ وتعلن فى رسالة حماسية توجهها لقرائهـــا « تعمل لجنة التحرير الان لاعداد « الفجر الجديد » لان تصدر اســـبوعية اجتماعية ثقافية ٠٠ وهى اذ تقدم على هذه المسئولية الضخمة تشـــق بكم وتتوجه اليكم ٠٠ ايها الاصدقاء اننا نكافح لنخلص حياتنا جميعا من كل ما يسىء الانسان ويحد من حريته ٠٠ ونحن موقنون بأننا سننجح فى مهمتنا لاننا نؤمن بعملنا وأهدافنا ونؤمن بشعبنا وبالشعوب الاخرى » ٠

والغريب ان العدد التالى لهذا الاعلان وهو العدد رقم ١٣ قد صـــدر بدون تاريخ ٠٠ وبعده يصدر العدد الرابع عشر وتاريخه ٦ ديسمبر ١٩٤٥ ٠٠ وهكذا كانت هناك فجوة لا نعرف لها سببا ونلاحظ بعد ذلك ان العدد الخامس عشر يصدر يوم ١٦ ديسمبر اى بعد عشرة ايام من العدد الســـابق عليه وفى هذا العدد نجد الاعلان التالى « تصدر « الفجر الجـــديد » مجلة التحرر القومى والفكر ى اسبوعية ابتداء من ٤ يناير ١٩٤٦ ٠٠ ثم تنتظم المجلة بعد ذلك اسبوعية كل اربعاء ٠ وتستمر فى الصـــدور حتى يلغى ترخيصها فى ١١ يوليو ١٩٤٦ فى تلك المذبحة الجماعية التى نظمهـــا الطاغية صدقى لكل الصحف التقدمية فى ذلك الحين ٠

★ ★ ★

والشعار الذى اتخذته « الفجر الجديد » لنفسها ابتداء من العدد الاول

كان « مجلة الثقافة الحرة » ، وفي العدد السابع الصادر فى ١١ أغسطس ١٩٤٥ ، يبقى الغلاف الخارجي كما هو مع اضافة غلاف داخلى يحمل نفس الشعار « الفجر الجديد ــ مجلة الثقافة الحرة » لكنها تضيف شعارا جديدا « نحن نجاهد لكى لا يندم احد على الحياة » .

وفى العدد ١٣ يتغير شكل الغلاف فتظهر عليه لوحة تشكيلية بعنوان « الثورة المصرية ــ بريشة جورج دموس » كذلك يتغير شعار المجلة الى « الفجر الجديد ــ مجلة التحرر القومى والفكرى » .

ويشهد العدد ١٤ وهو فى اعتقادنا اول الاعداد الاسبوعية تطوراجديدا فلون الغلاف ثابت وكان يتغير فى الاعداد السابقة ، واللون الثابت هو اللون الاحمر ويضم الغلاف لوحة تشكيلية بتوقيع نصر ، وكذلك العدد ١٥ ، وابتداء من العدد ١٦ يتغير رسام الغلاف ليصبح « الزميل عمر » .

وابتداء من العدد ٢٤ الصادر فى ٦ مارس ١٩٤٦ تطبع أحرف الصفحة الأخيرة بالحبر الاحمر وتخصص لباب ثابت بعنوان « الى زميل » « الى وفى العدد ٢٤ ايضا برواز فى الصفحة الثالثة بعنوان الى زميل « الى اصدقاء « الفجر الجديد » هذه التحرير نهائيا » . وابتداء من العدد ٢٦ يرد يوسف ابو سيف فقد انضم الى التحرير نهائيا » . وابتداء من العدد ٢٦ يرد اسم ابو سيف كسكرتير لتحرير المجلة ..

★★★

وكان مقر ادارة المجلة ٣٢ شارع ابراهيم باشا وابتداء من العدد الثالث يتغير المقر الى ٣٥ شارع شريف باشا ، وفى العدد ٢٤ يتغيرالعنوان من جديد الى شارع البنك الوطنى لكن « الفجر الجديد » تطلب الى قرائها مراسلتها على صندوق بريد ١٩٢٤ القاهرة . ونلاحظ ان هناك بروازا فى العدد ٢٩ يقول « عنوان المجلة الوحيد ص . ب ١٩٢٤ » .

★★★

ورويدا رويدا بدأت « الفجر الجديد » ترفع شعارات عنيفة وتتحول من مجرد مجلة ثقافية الى مجلة سياسية وبرزت فيها المعالم الماركسية بشكل واضح تماما ، ومع تفجر الحركة الوطنية فى مطلع عام ١٩٤٦ تزداد جرعة الحماس فى « الفجر الجديد » « نحن نقول الحقيقة ولكنا لا نستطيع ان

---

(١) الفجر الجديد ، ٢٧ــ٢ــ١٩٤٦ .

نقولها كاملة (١) « أيدوا » « الفجر الجديد » مجلة النضال الوطنى الديمقراطى ــ اكتبوا لها ــوزعوهاــ اتصلوا بهافهى لسانكم الناطق بآلامكم وأهدافكم»(١) « ليكن اتحاد الطلبة والعمال بداية اتحاد المثقفين بالطبقات الشعبية » (٢) « الفجـــر الجديد مجـلة التحرر الوطنى والنضـــال الديمقراطى ٠٠ » « مع العاملين المخلصين من اجل مصر حرة مستقلة ديمقراطيـــــة » (٣) « يا اصدقاء « الفجر الجديد » ٠ اكتبوا الينا ٠ ابعثوا بكلماتكم وانتقاداتكم وتوجيهاتكم ــ انكم بهذا تساهمون فى حركة التحرر الوطنى القومى والفكرى وتنطلقون معنا الى تحقيق غايات شعبنا الحر المناضل » (٤) ٠

★ ★ ★

وكانت « الفجر الجديد » ككل المجلات اليسارية والتقدمية تعانى من نقص مواردها المالية وقد توجهت الى قرائها بنداء تقول فيه « الى اصـــــدقاء «الفجر الجديد» تجتاز « الفجر الجديد » ازمة مالية حادة ، فقد اصـــبحت الان امام امرين اما ان تتغلب عليها فتظل تصدر فى نفس الحجم ، وبنفس العدد ، واما ان تعجز فينخفض الحجم وعدد المطبوع ٠ وانتم ايها الزمـــلاء أيدتم «الفجرالجديد» وما تزالون فأصبح اسبوعيا بعد ان كان نصف شهرى وتضاعف عدد الموزع منه ٠٠٠ واليوم نواجه معكم هذه الازمة ولا بد لنا من ان نجوزها ظافرين ٠٠٠ ابعثوا الى الادارة بتبرعاتكم ، خفضوا مصروفاتكم الكمالية وابنوا بقروشكم وجنيهاتكم صحيفتكم التى تؤمنون بنضالها ٠٠ ادعوا اصدقائكم الى التبرع ، سيروا معنا صفا نتغلب على هذه الازمة المالية الحادة » (٥) ٠

وفى العدد التالى نداء آخر يقول « كان للنداء الذى وجهته « الفجـــر الجديد » الى قرائها اثر كبير ، نشط له الكثيرون من الاصدقاء يساهمون فى تدعيم الفجر الجديد وايصاله الى زملائهم ٠

على ان ارتفاع اثمان الورق وعدم تمكننا من الحصـــــول على الكمية الكافية من التموين قد اضطرنا الى تخفيض عدد المطبوع من « الفجـــر » ٠ ولذلك أصبح من الاهمية بمكان ان يتعاون جميع الاصدقاء على توزيعــــــه بأيديهم لان المعروض فى السوق سيقل حتما ٠٠ » (٦) ٠

---

(١) الفجر الجديد ، ٦ــ٣ــ١٩٤٦ ٠
(٢) الفجر الجديد ، ١٣ــ٣ــ١٩٤٦ ٠
(٣) الفجر الجديد ، ٢٧ــ٣ــ١٩٤٦ ٠
(٤) الفجر الجديد ، ٢٧ــ٣ــ١٩٤٦ ٠
(٥) الفجر الجديد ، ٢٠ــ٣ــ١٩٤٦ ٠
(٦) الفجر الجديد ، ٢٧ــ٣ــ١٩٤٦ ٠

وفى عدد تال نوجه « الفجر الجديد » الى أصدقاء «الفجر الجـــــديد » بالجامعة والمعاهد تقديرا على «مساهمة الزملاء موزعى «الفجر الجديد» الذين واظبوا وما زالوا على توسيع انتشاره ، وترجو بمناسبة قرب انتهاء العـــام الدراسى ان يبذل الاصدقاء موزعوا « الفجر الجديد » بالجامعة والمعاهد اقصى جهدهم حتى يبلغ « الفجر » قراءه الطلبة اثناء العطلة الصيفية ... »(١)

وكان من الطبيعى ان تحاول « الفجر الجديد » الاعتماد على توزيـــع اصدقائها . ليس فقط لان ذلك يوفر عمولة التوزيع لمالية المجلة ولا لان ذلك كان وسيلة لتجميع الاصدقاء والانصار وربطهم بعمل شبه منتظم وانمـــا ايضا لان السلطة كانت تطارد عملية توزيعها .. وتحت عنوان « يحاربون «الفجر الجديد » بوسائل دنيئة » تكتب « الفجر » « يشاء البوليس السياسى ان يوالى « الفجر الجديد » بمضايقاته ـ وأن يعطينا فى كل يوم دليلا عـــلى انه آلة فى يد الاستعمار ـ فبالامس أوحى الى حرس الجامعة بأن يطردوا بائع الصحف لانه ينادى على « الفجر الجديد » وأجبروه على ان لايعرضه أمام باب الجامعة ضمن ما يعرضه من صحف ... » (٢)

وعلى اية حال فان التبرعات التى جمعت لم تكن كافية الامر الذى يوحى بأنها كانت مثلها مثل قيام القراء بالتوزيع مجرد خطة لربط القراء بمجلتهم لاهداف سياسية ففى عــــــدد لاحق نلاحظ بروازا بعنون « تدعيم الفجر الجديد » يقول « بلغت التبرعات لتدعيم « الفجر الجديد » حتى الان خمسة جنيهات ... ابها الاصدقاء نحن نريد ان يكون « الفجر الجديد » ـ لسانكم القوى ـ وانتم لستم أفرادا لستم عشرات او مئات ، وانما انتم ملايين ،انتم يا من تؤمنون بحق شعبنا فى الحياة الحرة الكريمة .. قفوا صفا واحدا .. أيدوا « الفجر الجديد » (٣) .

والذى يؤكد ان حملة التبرعات كانت سياسية فى جوهرهـــا برواز آخر فى عدد آخر « ما يزال تأبيد اصدقاء « الفجر الجــــــديد » والمؤمنين بكفاحه بتوالى ـ حتى بلغت التبرعات داخل القطر اكثر من ثلاثين جنيها ـ ونحن نعلم ان هذه الجنيهات جمعت بالقرش من قراء « الفجر الجديد » فهى تمثل تأييد جماهير لا تأييد أفراد ـ وهى عنوان لنضال الطبقات الشعبية التى تثق بخطتنا السياسية . فقد أرسل الينا عشرون عاملا مثلا عشرين قرشا .. وأرسل الينا اصدقاء « الفجر الجديد » بدمياط خمسين قرشـــا ... ودفع الزملاء بالمنيا خمسين قرشا .. »

وامتدت الحملة الى الاقطار العربية « فأرسل لنا زميل بالعراق ستة شلنات وساهمت أسرة مجلة « الغد » بفلسطين بخمســـــة جنيهات جمع

---

(١) الفجر الجديد ، ١٠ـ٤ـ١٩٤٦ .
(٢) الفجر الجديد ، ١٧ـ٤ـ١٩٤٦ .
(٣) الفجر الجديد ، ٦ـ٢ـ١٩٤٦ .

العمال وطلاب الحقوق بالكاظمية بالعراق ستة جنيهات ونصف » (١) .

.. ويبدو ان هذه الحملة السياسية سواء فى جمع التبرعات او التوزيع قد حققت نجاحا هاما « فالفجر الجديد » توجه تحية الى اصدقائها تقول فيها « ها نحن نعود فننشر « الفجر الجديد فى ٢٤ صفحة والفضل في ذلك لكم انتم ايها الزملاء فقد شجعتم « الفجر » واضطررتم بنشاطكم فى التوزيع وزارة التموين ان تزيد الكمية التى كانت تصرفها لنا ـ وقد برهنتم بنضالكم ومضاعفة جهودكم لنشر « الفجر الجديد » . ان شعبنا مجيد التقدير دافق الحيوية فها قد قفز توزيع «الفجر» عن طريق شركة التوزيع الى ستة أضعاف ما ابتدأ به ، وسيسير نضاله معكم قدما، وسيبلغ كل وطنى مخلص والى غد سعيد قريب » (٢) .

لكن هذا الانتشار كان يواجه عقبات واضطهادات مستمرة .. فلقد أشرنا من قبل الى محاربة موزعى المجلة ـ ونلاحظ ان « الفجر الجديد تعود لتشكو مرة اخرى من الحملة الموجهة ضدها .. وثمة باب ثابت بعنوان « يحاربون « الفجر الجديد » بوسائل دنيئة » يرد فيه بعض مما واجهته المجلة من اضطهاد « علمنا ان موظفا كبيرا فى شركة مصر للغزل والنسيج بالمحلة الكبرى كلف من قبل الشركة بجمع كل ما يصل الى المحله من نسخ « الفجر الجديد » وتشترى الشركة النسخة بخمسة قروش اى بما يعادل ٢٥٠ فى المائة من ثمن النسخة الاساسى ثم علمنا ان الشركة تعدم هذه النسخ . وواضح ان اولى الامر فى الشركة يريدون الاتصال توجيهات « الفجر » الى العمال . ولكن هذا لن يحول ابدا بين العمال وبين المفكرين الديمقراطيين الاحرار فهم جميعا طليعة شعبنا الباسل المناضل فى سبيل حرياته » .

« .. علمنا ان بعض اصدقاء « الفجر الجديد » القائمين بتوزيعه قد اكتشفوا ان عناصر فاشية تسرق نسخ « الفجر الجديد » وتدمرها تماما » (٣) .

لكن الامر لم يقف عند هذا الحد .. فقد بدأت المطاردة الفعلية بالقبض على ثلاثة من محررى « الفجر الجديد » هم أحمد رشدى صالح ـ صادق سعد ـ نعمان عاشور .

لكن النيابة « افرجت عنهم بكفالة عشرة جنيهات لكل منهم .. ولكن لم ينته التحقيق الى الآن » ..

وعقب الافراج توجه « الفجر الجديد » «تحية » .. « الفجر الجديد يشكر الزملاء الذين كتبوا اليه مهنئين باطلاق سراح الاساتذة أحمد رشدى صالح وصادق سعد ونعمان عاشور ، ويكرر عهده لهم انه سيواصل نضاله التحررى بعزيمة لا تكل ويحيى الاقلام المخلصة التى هزتها موجة الارهاب

---

(١) الفجر الجديد ، ١٧ـ٤ـ١٩٤٦ .

(٢) الفجر الجديد ، ١ـ٥ـ١٩٤٦ .

(٣) الفجر الجديد ، ٧ـ٥ـ١٩٤٦ .

فكتبت مدافعة عن الحرية ومؤيدة نظامنا الديمقراطى ٠٠ » (١)

وتحية اخرى الى أحمد رشدى صالح يوقعها «صديق» بعنوان « اخى رشدى » لعلها توضح جو الارهاب الذى أحاط بالمناخ الثقافى فى ذلك الحين فهى تقول « عندما القى القبض عليك لم تساورنى الدهشة ولكنى تألمت كل الالم ٠ لم تساورنى الدهشة لانى أعلم ـ كما تعلم ـ ان ديمقراطيتنا لم تزل بعد ناقصة عرجاء ولكنى تألمت حين تذكرت ان الملايين الذين أرهقوا أرواحهم وأسالوا دماءهم لم يستطيعوا رغم هذه التضحية ان يلقوا بذور الحرية فى كل بلاد الارض ٠٠ وعندما طالعتنا صحف الصباح بخلطها وجهلها وبانبائها واتهاماتها الهوجاء صدمت صـــــدمات مذهلة ٠٠ وعندما لقيت « بعض » من كانوا يسمون انفسهم اصدقاء انتابنى فزع شديد فقد علت وجوههم ابتسامات دنيئة شوهاء » (٢) ٠

لكن الامر لم يقف عند هذا الحد ٠٠ فان محررى « الفجر الجديد » يروون وقائع اخرى تحت عنوان « اذن فهذه هى الديمقراطية ؟ » « ٠٠٠ لم يكتف البوليس الســياسى ٠ هذه الآلة الغاشـــمة الخارجة على كل مبادىء الديمقراطية بتعقب بعض محررى « الفجر الجديد » شـــهورا كاملة ، ولم يكتف بتقديمهم للمحاكمة وارسالهم الى السجن بل راح يطاردهم حتى فى السجن نفسه وفى التحقيق ذاته ! بل ما كاد يفرج عن محـــرر « الفجر الجديد » وزميليه حتى راح البوليس الســـياسى يضغط على المطبعة كى ترفض طبع « الفجر الجديد » وأرسل من زعانفه نفرا يتلصصون ويسرقون بروفات المقالات ، فهل هذه هى حرية النشر ياوزير الداخلية ؟ » (٣) ٠

وكانت « الفجر الجديد » قد أسست دارا للنشر باسم « دار القرن العشرين للنشر » كانت تتخذ لنفسها عنوانا هو نفس مقر المجلة بشـــارع البنك الوطنى ونفس صندوق البريد ١٩٢٤ القاهرة ٠٠

وقد أصدرت هذه الدار عددا من الكتب « الاستعمار البريطانى فى مصر » تأليف الينور بيرنز ترجمة احمد رشدى صالح ، الفلسفة الماديـــة الجدلية تأليف دافيد جست ترجمة محمد اسماعيل ، حول الفلسفة الماركسية (رد على العقاد) تأليف ابو سيف يوسف ، كرومر فى مصر تأليف أحمـــد رشدى صالح ، مأساة التموين صادق سعد ٠٠ الخ » (٤) ٠

ولم تسلم « دار القرن العشرين » من هجمات البوليس هى الاخرى ٠٠ وعندما وقعت حادثة اغتيال امين عثمان كانت فرصة متاحة امام البوليس لمهاجمة منازل العديدين بحثا عن «قنابل» ٠

---

(١) الفجر الجديد ، ١١ـ١ـ١٩٤٦ ٠
(٢) المرجع السابق ٠
(٣) المرجع السابق ٠
(٤) الفجر الجديد ، ١ـ٥ـ١٩٤٦ ٠

وتنشر « الفجر الجديد » نص عديد من البرقيات ارسلت الى رئيس الوزراء ..

« هاجم البوليس منزلى بحجة البحث عن قنابل واني واثق انه ليس لدى الحكومة ادنى شك فى براءتى من هذه التهمة واعتقد ان ذلك عن تدبير بسبب عملى فى منشأة وطنية ديمقراطية هى دار القرن العشرين للنشر . احتج على هذا الاسلوب الارهابى ـ ابراهيم دويك » (١) .

وبرقية أخرى :

« فتش البولس منزلى امس بحجت البحت عن قنابل برغم وثوقه من براءتى من تلك التهمة الجائرة التى يبرأ منها كل مواطن ديمقراطى ..احتج على هذا التدبير الارهابى من جانب البوليس السياسى وأطلب وقفه ـ نعمان عاشور » .

وبرقية ثالثة ..

« الى وزير الداخلية .. فتش بوليس بولاق منزلى اليوم الساعة ٢ صباحا دون امر من النيابة احتج بشدة على هذا الاجراء الخارج عن القانون وأطالب بالتحقيق ـ صادق سعد » .

كذلك أرسل أحمد رشدى صالح برقية الى رئيس الوزراء والنائب العام « الساعة الثانية صباح الثلاثاء فتش البوليس منزلى بأمر نيابةجنوب القاهرة بدعوى البحث عن قنابل احتج على هذا الخلط المقصود الذى يراد به تشويه كفاحى الوطنى باظهارى وزملائى الديمقراطيين بمظهر مرتكبى وسائل الارهاب من الفاشيين خدم الاستعمار » (٢) .

وقد اثارت هذه المطاردة المستمرة حملات استنكار انعكست على صفحات بعض الصحف اليومية والاسبوعية الصادرة فى مصر فى هذه الفترة .. وانعكست ايضا ـ وهذا امر له دلالته ـ على صفحات المجلات التقدمية العربية ، وتنشر « الفجر الجديد » مقتبسات من حملات التأييد نقلا عن جريدة «النضال» البيروتية و « الغد » الفلسطينية و « صوت الشعب» السورية .. و «الشعب» العراقية .. الخ (٣) .

لكن الاضطهاد لا يتوقف .. ويتواصل متصاعدا حتى تاتى المذبحة الجماعية التى نظمها الطاغية صدقى فى ١١ يوليو ١٩٤٧ لكل الصحف والمجلات التقدمية والوطنية .

ويساق معظم محررى «الفجر الجديد» الى السجن ..



---

(١) الارجح أن صحة التوقيع هو ريمون ابراهيم دويك فهو الوحيد الذى كان يعمل فى دار القرن العشرين بهذا الاسم .

(٢) الفجر الجديد ، ٧ـ٥ـ١٩٤٦ .

(٣) الفجر الجديد ، ١١ـ١ـ١٩٤٦ ، و ٣٠ـ١ـ١٩٤٦ .

ولان عدد محرري « الفجر الجديد » كان في بداية الامر محدودا جدا فقد اضطروا الى ان يكتب الواحد منهم اكثر من مقال في العدد الواحد ، واضطرهم ذلك الى التوقيع في أحيان كثيرة بأسماء مستعارة ..

وكان لابد من البحث عن اصحاب هذه الاسماء حتى يمكن للدارس ان يعرف الكاتب الحقيقي لكل مقال ..

وبعد جهد .. امكن ان نحدد اصحاب هذه الاسماء المستعارة .. نوردها هنا حتى يسهل علينا فيما بعد المضي في نسبة المقالات لى كتابها وحتى يسهل على الدارسين متابعة أيه دراسة مستقبلة لاعداد « الفجر الجديد » ..

جهاد أحمد سعيد	أحمد رشدي صالح .
نهاد حسن زاهر	صادق سعد .
على الكاتب رأفت ..	على الراعي .
رأفت يوسف أ . يوسف	أبو سيف يوسف
ابراهيم الكاشف محمد امين	ريمون دويك
حسن زكي اسماعيل يحيى	يوسف درويش اسماعيل محمد

وكان يحرر من الاسكندرية ثلاثة هم لطفي عزوز ومحمد صبحي وشخص اسمه شعلان وكثيرا ما كان كل منهم يوقع باسم «اسكندراني» او « من الاسكندرية » ..

وبالتدريج تكتسب « الفجر الجديد » كتابا جددا بحيث لم تعد بحاجة الى الاكثار من استخدام هذه الاسماء المستعارة الا لاسباب سياسية .. ولقد كسبت « الفجر الجديد » بعد صدور أعداد قليلة منها اقلاما تقدمية وديمقراطية عديدة منها نور الشريف ، أنور شتا ، سعد مكاوي ، نعمان عاشور ، عبد القادر التلمساني ، لطفي عزوز ، محمد اسماعيل محمد ، أنور المشرى ، عبد القادر القط .. الخ .

كما انها فتحت صفحاتها امام كتاب من مختلف المجموعات الماركسية ..

فنلاحظ ان كتابا كثيرين من ايسكرا ومن الحركة المصرية للتحرر الوطنى قد شاركوا فى تحريرها أمثال محمد خليل قاسم ، كمال عبد الحليم ، انور عبد الملك ، لطيفة الزيات ، محمد الجندى ، محمود توفيق ، زكى هاشم سعيد خيال ، ابراهيم سعد الدين .. الخ .

كذلك فقد فتحت « الفجر الجديد » صفحاتها للعديد من الشعراء والكتاب التقدميين العرب عبد المعين الملوحى ، رئيف خورى ، مخلص عمرو ، عدنان البنى ، وصفى البنى .. الخ .

★ ★ ★

واستعراض كل ما قدمته « الفجر الجديد » مسألة صعبة بقدر ما هى بعيدة عن هدفنا ، فلقد تواجدت طوال ١٤ شهرا صدر خلالها اثنان وأربعون عددا لكننا سنحاول قدر طاقتنا ان نقدم نماذج اساسية للفكر والمواقف التى نسجت منها « الفجر الجديد » مقالاتها باعتبارها الاساس الفكرى الذى نهج عليه محرروها فيما بعد عند تأسيسهم للتنظيم الشيوعى « طليعة العمال » .

والخيوط عديدة .. فلنحاول الامساك بأكثرها اهمية ..

★ ★ ★

ولنبدأ بالفن الذى كان سلاحا هاما فى نشر الوعى الثورى ، والذى بدأ يلعب دورا هاما فى تشكيل الوجدان المصرى باتجاهات متقدمة منذ تاسيس جماعة الفن والحرية وصدور نشرتها المطبوعة بالرونيو « الفن والحريه » عام ١٩٣٩ ، ثم صدور مجلتها العلنية « التطور» .

لكن « الفجر الجديد » تأتى فى مرحلة النضج .. نضج الوعى والفن معا . فنلاحظ ان الاتجاهات السيريالية تختفى وتحل محلها محاولات جادة وذكية لفهم الاتجاهات والادوات الادبية والفنية على اساس المنهج الماركسى ..

والشعر الذى كان يبدو على صفحات « التطور » بدائيا فى مضمونه وشكله يثمر على صفحات « الفجر الجديد » قصائد رائعة كانت الهاما لجيوش الشباب المتدفق حماسا فى ذلك الحين ..

والنماذج عديدة لا يمكن حصرها ، وهكذا نضطر اضطرارا الى الاجتزاء ..

فمنذ العدد الاول يلمع عبد الرحمن الشرقاوى ، بقصيدة عنوانها « الفجر الجديد » .

« يا رفاق المجد قد عشنا الى الان حيارى
فهلموا .. وضح النهج .. الى المجد .. البدارا

انها الحرية الكبرى ·· جعلناها المنارا

····

والتموا فى رحلة المجد أقانيم العذارى
ودعوهن يغنين اناشيد السلام
يا عذارى ·· هذه جلوة مجد وغرام
فتعالين لكى نرقص للعهد السعيد
نذكر الموتى ·· ونشدو شدوه الفجر الجديد » (١) ·

والشعراء العرب يجدون هم أيضا مجالا على صفحات « الفجر الجديد» فعبد المعين الملوحى ينشر قصيدته الشهيرة « ثورة الشام » :

« سكر العالم بالنصر وغنى وسكرنا
وسعى للفجر يطوى الليل طيا وسعينا

····

نحن فى معركة الحرية الكبرى اشتركنا
فهزمنا وهزمنا وقتلنا وقتلنا
وعلى الظلم ، على النازية الحمقى انتصرنا

····

أفحتم ان نخاف السجن ان نورا رأينا
أفحتم ان نخاف القيد ان حقا نطقنا
أفحتم ان نخاف السم ان ماء شربنا
أفحتم ان نخاف السل ان ريحا نشقنا

····

قد شربنا الماء سما وشممنا الورد نتنا
ونشقنا الريح سلا وسمعنا السوط لحنا
ورأينا النور سجنا فكفانا ما حملنا » (٢)

ثم يقتحم الميدان رائدا الشعر الثورى الحديث ··· محمد خليل قاسم وكمال عبد الحليم · وفى قصيدة « الريف ·· دموع فلاح » يقول محمد خليل قاسم :

« أواه قد حملوا حصيدى للقصور العالية

ومضيت أرقبهم وروحى كالذبيحة دامية

---

(١) الفجر الجديد ، ١٦-٥-١٩٤٥ .
(٢) الفجر الجديد ، ١٦-٦-١٩٤٥ .

وذرفت دمعي كالاصم وقد عقلت لسانيه
وقفزت أمنعهم فعاقوني بريح عاتيه
بالوعد ، بالقانون طورا بالاماني الواهيه
بالمنطق المأفون ، كلا بالدموع الحانيه
بالعلم بالاكبال تهوى بالعقول الواعيه
ووهبتهم قوتي وسرت الى ظلام الهاويه » (١)

اما كمال عبد الحليم فينشر قصيدته الشهيرة « صراع ودموع » :

كل يوم يمر ليس من العمـــر اذا لم تفضـــه في كفـــاح
وحرام عليـك ان تبصر الشعب دمــــاء تجمدت في جـــراح
وحرام عليك ان تبصر القـــوم عرايـــا في عاصفات الريـــاح
يتشـــاكون بالدمـوع فتبكي لبكاهـــم وتكتفي بالنـــواح

....

أطلق الثورة التي تسكن الصدر وجفف دموعك الماضيـــات
انما نخسر القيود وما القيـــد جميلا علـــى أكف الأبـــاة
لن ينال الحقـــوق الا أبـــاه يتحدون معجـــزات الثقـــاة
هي حرب الحياة امـــا حيـــاة او ممات يكن معنى الحياة (٢)

وقصيدة اخرى لكمال عبد الحليم بعنوان « هذه الثورة » :

« كتل تحمل رايات الدماء القانية
لم تعد ترهب أنغام الرصاص الداوية
لم تجد في كفها الا سلاح التضحية
فمضت تسقط صرعى فوق ارض دامية
غير ان الراية الحمراء تبدو عالية » (٣)

ومحمود توفيق يكتب قصيدة عنوانها « غدا » :

« نضج الجرح وعاف العبد سوط السيد
في غد نحيا فيا شوقي الى ذاك الغد » (٤)

---

(١) الفجر الجديد ، ١٦ـ٨ـ١٩٤٥ .
(٢) الفجر الجديد ، ١٩ـ١ـ١٩٤٦ .
(٣) الفجر الجديد ، ٢٧ـ٢ـ١٩٤٦ .
(٤) الفجر الجديد ، ١٣ـ٣ـ١٩٤٦ .

ولم تكتف « الفجر الجديد » بأن تصبح منبرا للمدرســــة الثورية الجديدة للشعر فى مصر والبلدان العربية الاخرى ، لكنها حرصت عــلى ان نقدم لقرائها نماذج من الشعر الثورى الاجنبى ٠

ففى دراسة ممتعة يقدمها « على الكاتب » (على الراعى) عن الشاعر الزنجى الامريكى « لانجستون هيوز » يودر أمثلة رائعه من شعره منها قصيدة يتوجه فيها الى « لينين » قائلا :

« ايها الرفيق ٠٠ لينين روسيا
فى علا قبرك الرخامى
اعطنى يا رفيق لينين
مكانا الى جوارك
انا ايفان الفلاح
لقد حاربت معك يا رفيق لينين
وها قد انتهت أعمالى

....

افسح لى يا رفيق لينين
واترك لى مكانا بجوارك
انا شانج من معامل الصهر
أضربت فى شوارع شنغهاى
ولأجل الثورة
أحارب ، وأجوع وأموت » (١)

ودراسة اخرى « لعلى الكاتب » ايضا عن شاعر افريقيا « بانكل اوونور ــ رينز » يقدم فيها نماذج عديدة من أشعاره منها « الصديق الوحيد » :

« روسيا موطن العمال والاحرار
انى أنحنى أمامك أشد الانحناء
فانك تبشرين بقرب طلوع النهار
يوم تصبح الحرية ملكا لى
انى أنحنى أمامك ــ لا كعبد
فكلانا يمقت هذا ويزدريه
انما انا جزء من الجنس البشرى

---

(١) الفجر الجديد ، ١ــ٨ــ١٩٤٥ .

الذى أقسمت ان تذهبى بأحزانه » (١)

ودراسة ثالثة .. لنفس الكاتب عن « شاعر الثورة الاشـــتراكية فلاديمير ماياكوفسكى » ويحرص على ان يقدم من بين نماذج عـــديدة لماياكوفسكى قصيدة بعنوان « اخوانى الكتاب » :

« ماذا عندكم اليوم تكتبون عنه ؟
ان وكيل اى محام يجد الحياة
أشوق ألف مرة مما تجدون
ايها السادة الشعراء
ألم تملوا الاوراق
والقصور
والحب
وأزهار الليلاك ؟
ان كان مثلكم الخالقون
فانى أبصق على كل فن » (٢)

ولعله هو نفس الدرس .. الذى حاولت « الفجر الجديد » ان تلقنه للكتاب والادباء المصريين فى هذه الفترة .. ان يلتفتوا الى مشكلات شعبهم ويتركوا الحديث عن القصور وازهار الليلاك .. ولقد كانت هذه واحدة من اهم الواجبات التى شعرت « الفجر الجديد » انه يتعين عليها القيام بها ..

فافتتاحية العدد الاول عنوانها « مهمة الكاتب » فى مقـــدمتها برواز صغير يحاول « أحمد رشدى صالح » ان يقدم به « الفجر الجديد » فيقـول « كما تتولد أشباح الفجر ، مهمومه حيية باهتة .. كذلك « الفجر الجديد » الجديد » أقلام طريفة الوجود وان كانت فتية الحياة يشرعها اصحابها وقـد جد بهم السعى ولا يزال يجد الى الافق الموعود» .. ثم يأتى المقال «مهمةالكاتب فى ان يجعل من قلمه ذروة الآلام العامة والرجاء العام واللفتة الموجهة للنضال المشرد فى دروب الحياة . ونفثة المناضل المخلص لتتحرر الحياة .. ان يجعله تعبيرا عن ذاته غير المنفصلة عن ذات المجتمع . عن كفاحه غير المنعزل عـــن كفاح المجتمع عن الانسان فيه ، غير المقطوع عن الانسان اينما كان وكيفمـــا استوى فى الحياة » (٣) .

وفى نفس العـــدد الاول ينشر ا . ى . ابو ســيف مقـــالا عن

---

(١) الفجر الجديد ، ١ـ١١ـ١٩٤٥ .

(٢) الفجر الجديد ، العدد ١٣ (بدون تاريخ) .

(٣) الفجر الجديد ، ١٦ـ٥ـ١٩٤٥ .

« الفن والطبيعة والمجتمع » ★ يقول فيه « لا ينبغى ان نعارض المثال بالحقيقة لان المثال هو التعبير الاسمى عن الحقيقة » .

واذا جئنا الى العدد الثانى فاننا نجد « احمد رشدى صالح » يلح من جديد على دور الكاتب والفنان « اننا نحمل مشعلا قد يكون خافت الضوء ، ولكنه قبل بزوغ شمس الغد سيصبح سراجا وهاجا ... غدا ، عندما تفيق الحضارة من الجشع والانانية وعندما تكف عن الدمار ، سيكون لنا فن جديد، فن مجيد » .

وهو يؤكد ان « غاية « الفجر الجديد » ان يتيح للمفكرين والكتاب الاحرار فى مصر منبرا جديدا يواصلون من فوقه جهادهم ليصلوا بثقافتنا الى مستواها الأعلى . وليصلوا بينها وبين نضال الشعب المصرى المجيد فى سبيل حريته وطمأنينته الداخلية والخارجية وليصلوا بين ثقافتنا وثقافات الشعوب الاخرى .. وهم بهذا يوجهون ثقافتنا الحاضرة الى طريق عالمى ، لم يستطع متزعمو الفكر قبلهم ان ييسروه » (١)

ومقال آخر فى نفس العدد « بين الفن الصحيح والفن الزائف » لعلى الراعى وفيه يؤكد أن الفن « ..لايمكن ان يعيش فى الابراج العاجية او فى غيرها من حصون تقام ضد الحياة ..وهو ايضا لايمكن ان يكون متاعا او ميزة لفريق من الناس دون فريق بل هو متاع الانسانية كلها ، ومتاع كل فرد من أبنائها .. والفصل بينه وبين الحياة او تمكين بعض الناس منه دون بعض عملية لا انسانية منافية للحياة .. وهى بعد هذا لا يمكن ان تدوم »)٢) .

وفى نفس العدد مقال ثالث بقلم جهاد (احمد رشدى صالح) عن حافظ ابراهيم « حافظ ابراهيم فى شعره السياسى » .

وهكذا تمضى « الفجر الجديد » لتركز فى اعدادها الاولى على الدراسات الفنية وعلى تحديد مهام الاديب ودوره من وجهة نظر شعبية وتقدمية ، لكنها لا تلبث ان تزداد جرأة لتقدم دراسات ماركسية عن الفن .. بدأها « على الكاتب » (على الراعى) بمقال بالغ الاهمية بعنوان « الجدلية والفن الحديث» استعرض فيه مواقف عديد من المفكرين الماركسيين وخاصة ماركس وانجلز من عملية الابداع الفنى وينقل عن ماركس عبارته الشهيرة « ان الوعى لا يشكل الحياة ، ولكن الحياة تشكل الوعى .. وعلى هذا اذا اردنا ان نفهم الوعى او اى مظهر من مظاهره كالفن مثلا ، فقد وجب ان نبدأ بالافراد الاحياء الحقيقيين انفسهم ، كما يضطربون فى الحياة « ونعتبر » الوعى وعيهم هم فقط » .

(*) المقال موقع أ.ى. أبو سيف ، وقد اشار ابو سيف يوسف فى مناقشة معه فى مناقشة معه أنه صاحب المقال وانه مترجم وان كان قد فات على (الفجر الجديد) أن تشير الى ذلك عند نشرها للمقال .

(١) الفجر الجديد ، ١-٦-١٩٤٥ .

ثم تمضى الدراسة لتقدم رأى لينين فى تحديد معايير يمكن استخدامها لتقييم الفن « تطبق الماركسية مقياسا ذا وجهين عندما تقيم الفن ، فهى اولا تقيم العمل الفنى بالمقياس النسبى الذى يتأثر بالحقبة التى تم فيها العمل وبالطبقة التى يعبر عنها ، وتطبق ايضا مقياسا مطلقا على هذا العمل لترى ان كانت قيمته النسبية تحوى لبا من الحقيقة الموضوعية ام لا .. » .

ثم يختتم « على الكاتب » مقاله بعبارة وجهها لينين الى « كلارا زيتكين » يقول فيها « لا يهم مطلقا ما يعنيه الفن لنا نحن ، ولا ما يعنيه لبضع مئات او حتى آلاف من الناس فى أمة كأمتنا تعد بالملايين . الفن ينتمى الى الشعب ، وجذوره يجب ان تمتد الى قلب الجموع نفسها ، فهذى الجموع يجب ان تفهم الفن وان تحبه ، وعلى الفن ان يوحد بين عواطفها وافكارها وارادتها ، وان يرتفع بها الى مستوى اعلى .. وعليه ايضا ان يوقظ الفنانين بين هاته الجموع وأن يرعاهم ويقوم على تقدمهم » (١) .

وهكذا كانت « الفجر الجديد » مدرسة رائدة للفن النوزى الذى لا يجابه فقط جمود وتعالى وانعزالية فنان الاقطاع والرأسمالية وانما يجابه ايضا — وهذا هو الاساس — جموح عناصر « الفن والحرية » التى استخدمت رفضها لاساليب ومناهج الفن الرجعى سبيلا للسيريالية والفوضوية التى كانت تستمد جذورها ومشروعيتها من الاتجاهات التروتسكية التى كانت سائدة فى صفوفها ..

ولا تكتفى « الفجر الجديد » بتقديم نماذج من الفن التقدمى المحلى والعالمى ولا بتقديم الدراسات النظرية الماركسية حول الفن وانما هى تحاول ايضا ان تستخدم المنهج الماركسى فى دراسة تاريخ الفن فى مصر .. فنعمان عاشور يكتب دراسة ممتعة عن « القوى المنهارة والقوى النامية فى الادب المصرى» (٢) ثم يكتب دراسة مفصلة عن « معالم القصة فى الادب العربى» تنشر فى عددين متتاليين يتناول فيهما بالدراسة قصص توفيق الحكيم والعقاد وتطور كل منهما والفكر الذى يمثله والطبقة التى ينتمى اليها .. (٣)

وثمة دراسة هامة اخرى « عن الشعر العربى فى مصر » اعدها حسن زاهر (على الراعى) وهى دراسة ممتازة امتدت عبر اعداد ثلاثة تناولت بالدراسة تطور الشعر المصرى وأثر ثورة ١٩١٩ كثورة وطنية برجوازية على تطور الشعر واتجاهاته ، وتتناول بالتحليل النزعات الرومانتيكية فى الشعر وعلاقاتها بالتطور السياسى فى مصر .. وهو يلح فى دراسته هذه على ربط تطور اساليب التعبير الفنى بتطور الاساس الاقتصادى للمجتمع فهذا الاساس

---

(١) الفجر الجديد ١ — ٧ — ١٩٤٥
(٢) الفجر الجديد ١٦ — ٨ — ١٩٤٥ .
(٣) الفجر الجديد ، ٦—٢ ، ١٣—٢—١٩٤٦ .

« ينتج مظاهر اجتماعية معينة ، الادب واحد منها » (١) ٠

* * *

... « عندما قررنا الاستقلال عن المجموعة الاجنبية ، وسعينا للارتباط بالواقع المصرى تمهيدا لتأسيس تنظيم شيوعى كان همنا الاول هو دراسة الواقع المصرى وتفهمه كمحاولة أولية لتحديد الخط السياسى لهذا التنظيم .. وكان على « الفجر الجديد » ان تقوم بهذه المهمة » ٠

هكذا قال لى صادق سعد ، وهو يحكى ذكرياته عن هذه الفترة ..

والحقيقة ان « الفجر الجديد » قد بذلت جهدا ناجحا فى هذا الصدد فقد وجهت كتابها وفتحت صفحاتها امام دراسات جادة وهامة فى مختلف المجالات كانت تتلمس أن تقول كلمة الماركسية فى مختلف المشاكل التى تواجهها مصر ..

واذا القينا نظرة على العدد الاول فاننا نجد عدة مقالات تحاول كل منها ان تضع يدها على مشكلة هامة ..

« مصر والسياسة الصناعية » وفيه ينادى سعد مكاوى بضرورة تدخل الدولة فى رسم سياسة التصنيع « .. ولما كانت المسألة غير قاصرة على الصناعيين انفسهم او العمال وحدهم ، بل المسألة تمس الشعب كله من قريب اذ هى تتعلق بحياته ورفاهيته .. كل هذا يوجب على الدولة ان تنحى فكرة الاقتصاد الحر جانبا ، وتتولى هى رسم سياسة انتاجية اجتماعية معينة تفرضها على الافراد ٠ هذا مع بقاء الملكية الفردية لوسائل الانتاج محترمة مرعية » ٠ ثم يمضى مؤكدا « النتيجة التى نصل اليها اذن هى واجب الدولة الحتمى فى ان ترسم سياسة صناعية عامة على اساس مقدرتنا الانتاجية ، وغرضها مصلحة الشعب ومصلحة الشعب فقط .. ثم ان عليها واجبا آخر اكثر من الاول اهمية الا وهو فرض هذه السياسة على الجميع وتنفيذها بلا هوادة مهما كانت الاعتراضات » ٠

وفى نفس العدد دراسة اقتصادية بعنوان « فى التموين » وهى بغير توقيع ٠

ونعتقد ان كاتبها هو صادق سعد الذى كتب بعد فترة وجيزة كتيبا عن « مأساة التموين » يتضمن نفس الافكار الواردة بالمقال ... ويبدأ المقال « عندى ان اسباب مشكلة التموين تتلخص فى أربعة عناصر هى المضاربة بالاسعار ـ والاحتكار ـ وتأخر اقتصادنا الزراعى والصناعى ـ وبيروقراطية الاداة الحكومية اى انفصال هذه الاداة عن الجماهير الشعبية » ٠

وختام المقال « ومما لا شك فيه ان الحلول الحاسمة الناجعة لمشكلة التموين لن تأتى من القرارات « الفنية » لتلك اللجان « الفنية » بل ستأتى

---

(١) الفجر الجديد ، ١٧ـ٤ـ ، ٢٤ـ٤ ، ١ـ٥ـ١٩٤٦ ٠

بتوسيع الديمقراطية الاقتصادية والاجتماعية والسياسية فى بلادنا ستأتى باستيلاء الدولة على انتاج كبار المنتجين استيلاء كاملا وبتخفيف هذا الاستيلاء على متوسطى المنتجين ثم باعفاء صغارهم من الاستيلاء اعفاء كاملا حتى نحمى هؤلاء من الشركات الاحتكارية ... وستأتى حلول المشكلة من اشـــتراك الجماهير الشعبية المستهلكة فى لجان مراقبة التمـوين ، وبتوســيع الديمقراطية السياسية ، وبالغاء الاحكام العرفية والرقابة خصوصا ، حتى يتسنى لتلك الجماهير الشعبية المستهلكة ان تعبر عن مطالبها تعبيرا واضحا صريحا » (١) .

وتناقش « الفجر الجديد » ايضا قضايا التعليم وديمقراطيته باستفاضة. وبتوقيع « مدرس » تنشر مقالا عن التعليم الالزامى تناقش فيه اسباب فشل هذا النمط من التعليم وتقول « ان كل محاولة ترمى الى نجاح هذا التعليم فى مصر يجب ان تكون مقرونة باصلاح شامل يتضمن النواحى المتعددة للمجتمع المصرى واهمها رفع المستوى الاقتصادى ورفع مستوى المعيشة بين جماهير الشعب المختلفة اى اتخاذ الاساليب الصناعية فى الزراعة والاتجاه نحـــو الصناعة ، وتعديل الملكية الزراعية بحيث يعمل هذا التعديل على زيادة ملكية صغار الفلاحين وبث الروح التعاونية بينهم ... ان الاصلاح الذى يتفق مع الديمقراطية والتطور الصناعى يتطلب تحويل التعليم الاولى فى المدن الى تعليم ابتدائى مجانى مع تقديم المعاونات اللازمة للفقراء من التلاميذ » (٢) .

وفى العدد التالى مقال آخر بعنوان « مجانية التعليم الابتدائى حـــق اكتسبه الشعب المصرى » هو فى الاساس تلخيص لمقال نشره د . طه حسين فى جريدة « البلاغ» مدافعا عن مجانية التعليم وديمقراطيته (٣) .

وتواصل « الفجر الجديد » حملتها « التعليم والديمقراطية فى مصر » بقلم امين تكلا .. وهو مقال ممتاز يربط بين الديمقراطية والحقوق الاجتماعية مبينا انه لا ديمقراطية بغير الحد من الفوارق الطبقية .. « ومما سبق نرى ان الديمقراطية فى دورها الحالى تتجه نحو الحد من الفوارق الطبقية بحيث يكون التعليم فى مدرسة واحدة لابناء الشعب جميعا ... ان وجود نوعين من المدارس : مدارس لابناء عامة الشعب ومدارس خاصة لغيرهم من أبناء المثقفين والطبقات الوسطى والغنية امر يتنافى مع الديمقراطية ة ورجعة الى الوراء لا تقرها تطورات العصر ولا تستند الى اساس قومى » .

ويطالب المقال فى نهايته بتحويل التعليم الالزامى فى الريف الى تعليم

---

(١) المرجع السابق .

(٢) الفجر الجديد ، ١-٦-١٩٤٥ .

(٣) الفجر الجديد ، ١٦-٦-١٩٤٦ .

ابتدائى مجانى حتى يفتح أمام طلابه قنوات التعليم الاخرى ويطالب كذلك بمجانية التعليم الثانوى (١) ٠

ولم يكن هذه سوى محاولة لتقديم نموذج متكامل لاسلوب معالجـــة « الفجر الجديد » للقضايا الاجتماعية ٠ ولنحاول ان نقدم نموذجا آخر ٠٠ وهو موقف « الفجر الجديد » من قضايا الريف المصرى ٠٠

فقد حاولت « الفجر الجديد » ان تتابع النزعات الاصلاحية التى تكاثرت فى ذلك الحين وان تقول فيها رأيا متميزا ٠٠

وتعليقا على مشروع خطاب بك المقدم لمجلس الشيوخ يكتب احمد سعيد (صادق سعد) « ملاحظات على تحديد الملكية » وصادق سعد يسارع باعلان ان « البرجوازية » « ترى فى التفاوت فى الملكية ضررا مزدوجا لمصالحها المباشرة لان تركز الارض الزراعية تركزا احتكاريا يسبب غلاءها وارتفاع الايجار ومن ثم يسبب غلاء المنتجات الزراعية ، ونتيجة هذا الغلاء ان الرأسماليين يضطرون ان يدفعوا أجورا أعلى لعمالهم ٠٠٠ ومن جهة أخرى فتفاوت توزيـــع الملكية يسبب فقر الفلاحين ، اى عجز غالبية الامة عن استهلاك البضائع المصنوعة» ٠

والمشروع اذن « برجوازى » فى أساسه ، وهو ايضا « غير جدى » لكنه « رغم عدم جديته يمثل خطوة الى الامام ، لانه يبرهن للطبقات الشعبية المصرية ان الوضع الاحتكارى الحالى ليس وضعا منزلا من السماء ٠٠٠ بل على النقيض من ذلك فان فى استطاعة ممثلى الشعب ان يحددوا من حقوق الملكية المقدسـة تحديدا يتفق واحتياجات الشعب نفسه » (٢) ٠

وعندما يقدم مريت غالى مشروعا آخر فى كتيب بعنوان « الاصـــلاح الزراعى » يتصدى « أحمد سعيد » ايضا للرد عليه ٠٠ واصفا الكتيب بانه «يعبر تعبيرا صادقا عن بعض المثقفين من ابناء الطبقة الوسطى بيننا ازاء المأزق الظاهر الذى وصلنا اليه فى شئوننا العامة » وينتقد صادق ســعد الكتيب انتقادا مرا موضحا المأزق الذى وضع الكاتب نفسه فيه عندما تجاهل الجوهر الطبقى للمشكلة وذلك لانه « نظر الى الحالة الحاضرة لتوزيع الارض على انها توزيع سىء للملكية وليس احتكارا لوسيلة من وسائل الانتاج » ولانه صمم على « عدم التحيز لمذهب اجتماعى بذاته » ٠٠ وهكـذا « جاء الكتيب هزيلا نحيفا ينقصه حب الشعب العميق وقد دفعه عدم التحيز لمذهب اجتماعى بذاته الى عدم التحمز للديمقراطية نفسها فقد يبحث القارىء عن هذه الكلمة طوال الصفحات المئة للكتاب ، ولكن عبثا ودون جدوى » (٣) ٠

وحول مشكلة فلاحية اخرى هى مشكلة العمد تكتب « الفجر الجديد »

---

(١) الفجر الجديد ، ١٦–٧–١٩٤٥ ٠

(٢) المرجع السابق ٠

(٣) الفجر الجديد ، ١٦–٨–١٩٤٥ ٠

« نظام العمد لا يساير نهضتنا الوطنية ويعوق تقـــدمنا الديمقراطي» وهي دراسة جيدة كتبها أحمد رشدى صالح وقد أوضح فيها ان « الاسس التي يقوم عليها نظام العمد غير ديمقراطية فالاساس الاول فيه انه نظام طبقي ... الاساس الثاني هو اساس استبدادالاقلية ، والثالث انه نظام شبه اقطاعي..»

ثم يقدم الكاتب مشروعا متكاملا يطالب فيه « ١ ـ العمـــل على الغاء الاساس الطبقي الحالي بالغاء شرط الاحتياز ـ ٢ ـ العمل على الغاء استبداد الاقلية في القرية بالاكثرية ـ ٣ ـ انتخاب العمدة انتخابا مباشرا ـ ٤ ـ ان يقام الى جانب العمدة مجلس قرية منتخب » (١) .

وثمة دراسات جادة للمشكلات الاساسية في الاقتصاد المصرى منهـــا دراسة عن « البنوك في مصر » وفي هذه الدراسة يلاحظ « أحمد ســـعيد» (صادق سعد) الطابع الاحتكـــارى للنظـــام البنكي في مصر » ويلاحظ ايضا بالاضافة الى الصفة الاحتكارية صفة أخرى أسماها « الاتحادالشخصي» « .. وأعني بالاتحاد الشخصي وجود شخصيات قليله تدير مؤسسات صناعية وتجارية ومالية مختلفة في آن واحد فتفرض عليها جميعا خطة واحدة واتجاها واحدا . فهناك مثلا حافظ عفيفي باشا وهو عضو مجلس ادارة ٣٣ شركة منها بنك مصر ، وهناك ايضا عبد المقصود احمد بك وهو عضـــو مجلس ادارة ٢٧ شركة منها شركات بنك مصر والبنك الاهلي . وهكذا يرتبط بنك مصر بالبنك الاهلي ارتباطا يمكننا ان نسميه شخصيا لانه ينشط خلال الشـــخصيات الكبرى المتقاربة » .

وبعد هذه اللمحة الذكية ، لا يفوت الكاتب ان يذكر في ختام مقاله بان هذا التركز القوي «يوسع امام الدولة فرصة فرض اشرافها ـ اشراف الشعب المصرى ـ على تلك المجموعة الصغيرة من الاحتكارات المالية » (٢) .

وثمة دراسات اخرى عن الواقع المصرى ذات اهمية لا بأس بها مثـــل « الآلات البشرية والصناعة المصرية » بقلم « ا . ش ـ الاســـكندرية» و « التشريعات العمالية في مصر » بقلم حسن زكي (يوسف درويش) ، «مشكلة التغذيه في مصر » « لطفي عزوز » « النهضة الصناعية والضرائب الثقيلة » أحمد رشدى صالح ، « ملاحظات عابرة على التقرير الســـنوى لاتحـــاد الصناعات » م . ص وهو، في الغالب محمد صبحي من الاسكندرية وكلهـــا دراسات هامة توحي بجدية الجماعة في دراسة الواقـــع المصرى ، وان كان يتعين علينا ان نتوقف عند بعضها للاشارة الى ملاحظات سريعة ..

فصادق سعد يكتب مقالا بعنوان « يجب ان نقبل الرأس مال الاجنبي بشروط » (٣) .

ثم يعود فيصحح نفسه في عدد تال قائلا انه « قد اتضح من المناقشة

---

(١) الفجر الجديد ٦ ١ـ٨ـ١٩٤٥ .

(٢) الفجر الجديد ٦ ١٦ـ٦ـ١٩٤٥ .

(٣) الفجر الجديد ٦ ١ـ١١ـ١٩٤٥ .

التى جرت مع بعض الزملاء ان العنوان لم يكن يحمل المعنى المقصود ، وقــد انفق على ان العنوان الذى يؤدى الفكرة المقصودة هو : يجب ان نفرض شروطا على الرأسمال الاجنبى » (١) .

ويتعين علينا ان نشير كذلك الى ان صادق سعد قد قدم لقراء « الفجر الجديد» دراسة ممتازة بعنوان « تطور مصر الرأسمالى ١٩١٩ ــ ١٩٤٥ »(٢) لعلنا لا نغالى اذا قلنا انها تمثل وصول الماركسيين المصريين الى مرحلة متقدمة فى فهم التطور الاقتصادى والاجتماعى لبلادهم ..

وثمة مقال آخر بالغ الاهمية نشرته « الفجر الجديد » بدون توقيــــع وعنوانه « يجب ان نصلح الجيش على اساس وطنى ديمقراطى » وفيه يتقدم الكاتب ببرنامج من ست نقاط :

«١ ــ جعل الخدمة العسكرية اجبارية .

٢ ــ تخفيض مدة الخدمة .

٣ ــ رفع مستوى المعيشة للجنود وضباط الصف .

٤ ــ تسهيل الترقية من الجندية الى رتب الضباط مع تحسين احــوال صغار الضباط .

٥ ــ الغاء البعثة العسكرية البريطانية ، واذا اقتضت الضرورة فيجب الاستعانة ببعثة عسكرية تنتمى الى منظمة الامم المتحدة .

٦ ــ تطهير هيئة أركان الحرب وكبـــــار الضـــباط من العناصر الفاشية» (٣) .

... ومع تصاعد المد الثورى ، تتحول الدراسات الاكاديمية الى حملات اثارة ، وبدلا من العناوين الهادئة نجد عناوين مثل « شعب يموت وحكومة عاجزة» (٤) .

« ماذا تصنع بنا السينما ــ يصنع الاغنياء الافلام ليراها الفقراء» (٥).

« افتح الرادبو تجد الراسماليين » (٦) .. « الاستعمار الذى يقول : هنا القاهرة ، الاستعمار البريطانى + الرجعية ــ الشعب المصرى = محطة الاذاعة » (٧) .

★★★

وحول الديمقراطية السياسية وحرية الفكر وحرية الصحافة وضرورة

---

(١) الفجر الجديد ، ٦ــ١٢ــ١٩٤٥ .
(٢) الفجر الجديد ، العدد ١٣ ــ بدون تاريخ .
(٣) الفجر الجديد ، ٣٠ــ١ــ١٩٤٦ .
(٤) الفجر الجديد ، ١٣ــ٢ــ١٩٤٦ .
(٥) المرجع السابق .
(٦) الفجر الجديد ، ٢٧ــ٢ــ١٩٤٦ .
(٧) الفجر الجديد ، ١٢ــ٣ــ١٩٤٦ .

الغاءالاحكام العرفية .. كتبت « الفجر الجديد » عديدا من المقالات .. كذلك سلطت كثيرا من الضوء على نشاطات الاحزاب السياسية الاخرى .. وقد شددت الهجوم على جماعة مصر الفتاة والاخوان المسلمين بالذات .. ولسنا نعتقد ان في ذلك شيئا ملفتا للنظر فهو مسألة طبيعية ، لكن الامر الذى اهتممت بالتدقيق فيه هو موقف جماعة « الفجر الجديد » من حزب الوفد .

ذلك ان كثيرا من الكلام قد قيل حول علاقة ما .. بين هذه الجماعة وبعض ساسة الوفد او بعض اجنحته ، وقيل ان هدف هذه الجماعة قد تركز فى وقت ما ، ليس من اجل تأسيس تنظيم شيوعى وانما من اجل خلق تيار يسارى فى صفوف حزب الوفد ..

غير ان الاقاويل ليست غذاء صالحا لكتب التاريخ ، ولهذا كان من الضرورى البحث عن الحقيقة من خلال مقالات ودراسات قادة هذه المجموعة .. ونعتقد انه من المفيد القاء حزمة مكثفة من الضوء حول هذه المسألة ذلك انها تمس صميم التكوين الفكرى والنضالى لجماعة « الفجر الجديد » وهى تمثل حقيقة اساسية وضرورية لكل باحث فى تاريخ التنظيمات الشيوعية المصريه ..

ماذا قالت الفجر الجديد عن الوفد ؟ وماذا كان موقفها الحقيقى منه ؟

لنحاول البحث عن اجابة متكاملة لهذا السؤال ..

ثمة مقال بالغ الاهمية كاتبه هو « محمد امين » (ريمون دويك)

والعنوان « الديمقراطية المصرية بين انصارها واعدائها » .. ويتطرق الكاتب كثيرا لحزب الوفد وللدور الذى لعبه فى الحياة السياسية فى مصر .. « كان الوفد منذ نشأته القائد للكفاح الوطنى الديمقراطى . فالوفد هو الذى تزعم ــ تحت قيادة سعد زغلول ــ النهضة الوطنية الديمقراطية عام ١٩١٩ وهو الذى انطلق بعد ذلك يقود الحركة الوطنية ويدعم الديمقراطية فى الستة والعشرين سنة الاخيرة . وقد استهدف الوفد طوال هذا المدة لحملات الاستعمار الاجنبى تارة ، ولحملات اعداء الديمقراطية من الاجانب والمصريين تارة اخرى .. »

ثم هناك « جماعات وهيئات رجعية كان عمادها الشباب المضلل الغرير تحت قيادة العناصر الفاشية السافرة وغير السافرة ... ولم يكن هم هذه الجماعات والهيئات غير محاربة الوفد لحساب خصومه من الاجانب والرجعيين » .

ثم يبدأ الكاتب فى تمجيد مواقف الوفد الوطنية والديمقراطية .. « ويبدو عمل الوفد فى الكفاح الوطنى الديمقراطى ممثلا فى جانبين . أولهما الحرص على الدستور والنظام البرلمانى ومحاولة تدعيم قواعدهما ، وايضا فى سلسلة المشروعات الديمقراطية الاصلاحية التى حققها الوفد فى فترات حكمة لمصر . ولعل الاصلاحات التى قام بها فى فترة حكمة الاخير هى اهم الاعمال الديمقراطية التى حاول القيام بها فى الميدان الاقتصادى والاجتماعى منذ ايام نهضته الأولى » .

وبعد ان يعدد الكاتب هذه الاعمال فانه يجد ضرورة لعودة التركيز على

ديمقراطية الوفد » ولئن كانت هذه الاعمال جميعها يرجع حدوثها الى حد ما – لظفر الديمقراطية وتصاعد قواها واشتداد ساعدها فى فترة انجازها الا انه يتحتم الا يغيب عن ذهننا ان ديمقراطية الوفد هى صاحبة الدور الاول فى وجودها » .

وبرغم ما نلمحه من مبالغة فى تركيز الكاتب على « ديمقراطية الوفد » فاننا نلاحظ انه يعود ليوضح انه « اذا أمعنا النظر فى ديمقراطية الوفد بوجه عام نجد انها تقف عند حدود معينة ليست هى الحدود التى تتطلبها الديمقراطية فى الوقت الراهن . ويعزى ذلك الى سببين أولهما تحدد طبيعة ديمقراطية الوفد بطبيعة تكوين الحزب نفسه : فعلى الرغم من ان الوفد تؤيده غالبية الشعب الا ان قيادته لا تمثل تمثيلا حقيقيا صادقا بين الطبقات والطوائف ونخص بالذكر طبقة العمال والفلاحين الاجراء وطائفة طليعة الديمقراطيين من المثقفين المصريين . والسبب الثانى هو وجود عناصر بين صفوف الوفد يقل قدر اقتناعها بالديمقراطية عن قدر اقتناع الاغلبية وتنعكس قلة ديمقراطيتها من حين لآخر على بعض اعمال الوفد » .

.. ويؤكد الكاتب ايضا ان اثر هذه الحقيقة قد ظهر مؤخرا « فى موقف غالبية الطبقة العاملة وطليعة الديمقراطيين من المثقفين فهم على الرغم من تأييدهم – غير المعلق على شرط – للوفد فى كفاحه الديمقراطى ضد خصوم الديمقراطية ، وعلى الرغم من تقديرهم العظيم للاعمال الديمقراطية التى ينجزها الوفد ، وهو فى مضمار كفاحه الديمقراطى الا انهم يشعرون مع ذلك ان مصلحة وطنهم تتطلب ديمقراطية اكثر من التى يقدمها الوفد » (١) .

وعندما شكل الطاغية صدقى حكومته عام ١٩٤٦ ، وحاول ان يكسب الوفد الى صفة داعيا النحاس الى المشاركة فى المفاوضة ممتدحا وطنيته فوجىء الجميع بر دضعيف من الوفد يفتح باب المساومة .

ويعلق على دلك رأفت يوسف (أبو سيف يوسف) فى مقال بالغ الاهمية لانه يحدد موقف جماعة « الفجر الجديد » من الوفد .. « ومع ان الوفد كان يمثل الطبقة البرجوازية المتقدمة الا ان امكانيات هذه الطبقة قد أخذت تضعف بانعزالها شيئا فشيئا عن الشعب ، وبظهور طبقة شعبية اخرى هى الطبقة العمالية ..و كان ان تغلبت العناصر اليمينية على سياسة الوفد ووجهتها . وكانت النتيجة ان أصبح اميل من ذى قبل الى التفاهم مع المستعمر . ومنذ اقيلت الوزارة الوفدية الاخيرة وسياسة الوفد مطبوعة بطابع التردد ازاء المستعمر وازاء المشاكل الداخلية على السواء . فهو فى كفاحه للمستعمر يقف عند حد ارسال مذكرة ضعيفة للسفارة البريطانية ثم تعلن صحفه بعد هذا ان الوفد قد أدى واجبه كاملا غير منقوص . ثم يصدر بيانا اقوى يوجهه الى الامة المصرية وتعلن صحفة مرة اخرى ان الوفد قد أبرأ ذمته وأدى واجبه اما فى الداخل فهو لا يعرف كيف يدافع دفاعا سليما عن حقوق الشعب وحرياته الاساسية » .

---

(١) الفجر الجديد ، ١٦–٧–١٩٤٥ .

ويمضي ابو سيف يوسف لينتقد حتى من كانوا يسمونهم بالجنـــاح اليسارى فى الوفد فيقول « وقد اعترف الدكتور مندور بشذوذ سياسة الوفد وتنكبها عن الطريق السليم فوصفها بأنها حل نصفى ، ثم عاد فوصفها بأنها تضحية للوفد فى سبيل وحدة الامة ٠٠ ولكننا من ناحيتنا نرى انه حـــل انتهازى لانه ضحى بمصلحة الطبقات الشعبية فى سبيل مصلحة حزبية» (١) ٠

ولعل فى ذلك ما يكفى لاى باحث عن الحقيقة حول موقف جمـــاعة « الفجر الجديد » من الوفد ٠٠ وان كنا استكمالا للحقيقة ـ ذاتهـــا ـ يتعين علينا ان نشير الى ان هذه المجموعة قد بالغت بالفعل فى الامكانيات الثورية والديمقراطية لحزب الوفد او بالدقة لبعض جماعاته وأجنحته وقد القت كثيرا من ثقلها وجهودها فى نشاط تركز اساسا فى صفوف وفدية ٠٠ الى حـــد ان الكثيرين قد تصوروا فى البداية انها مجرد « نتوء » يسارى فى حـــزب الوفد ٠

★★★

ولقد اهتمت « الفجر الجديد » اهتماما كبيرا بالوحدة العربية ، وكانت تشعر على الدوام ان مجال حركتها ومحط اهتمـــاماتها ليس قاصرا على مصر وحدها ٠٠

ومنذ البداية أكدت « الفجر الجديد » ان تأسيس جامعة الدول العـــربية كان خطوة ايجابية ، بل انهـــــا كانت فى نظرهم احد منجزات الوفـــد «الديمقراطية» ٠٠ بل انها اعتبرت تأسيس الجامعة « حدث دولى له مغزاه وله آثاره ، فبهذه الخطوة تعبر الامم العربية عن ارادتها فى ان تتخذ مكانها الحق الى جانب سائر اعضاء الاسرة الدولية ٠ وبهذه الخطوة تتجمع الدول العربية وتتكتل فى تعاهد وثيق تصوغه وحدة شعوبها فى مصالحها الاساسية ومثلها العليا » ٠ ويمضى كاتب المقال زكى هاشم قائلا « والاثر البارز لجامعة الامم العربية هو انها ستجرد القضايا الوطنية للشعوب العربية من الصبغة التى غلبت عليها الى الآن ٠٠ صبغة التفكك والتجزؤ والانحلال » ٠

ويحدد زكى هاشم ان اول واجبات الجامعة العربية هو حل القضـــية الفلسطينية ٠٠ « وفلسطين هى التى ستسجل دون ريب اول انتصار للجامعة العربية بتحريرها من الصهيونية الاستعمارية التى ترمى الى استغلال شعبها العربى واستعباده ٠ وحينذاك سيخلد للعرب فى تاريخ التقدم الانســـانى فضل القضاء على ركن قوى من أركان الاستغلال الاستعمارى فى العالم » ٠ لكن الكاتب يطالب المهيمنين على الجامعة بأن « يشـــعروا الشـــعوب

---

(١) الفجر الجديد ، ١٣ ـ ٣ ١٩٤٦ ٠

العربية بأن سياسة الجامعه انما تجرى لصالح الجموع .. لصالح الشعوب لا لمنفعه فئات ضئيله منها لا يعنها الا الاستغلال والاثراء» (١) .

لكن الهجوم لا يلبث ان يبدا ضدمسلك الجامعه العربية تجاه قضايا متعددة .

ويكتب صادق سعد بعنوان « جامعة الدول العربية على ضوء موقفها من مسأله سوريا ولبنان » ينعى فيه على الجامعه انه « اتحاد دول .. اى اتحاد طبقات حاكمه وليست اتحاد شعوب » (٢) .

ونعود « الفجر الجديد » لتسال مرة اخرى « هل نسينا مسألة الشام؟ ونذكر الجامعه العربيه بان زمنا طويلا قد انقضى منذ اجتماعها الاخير وقد اعتبرت الجلسة مستمرة .. « ومع ذلك لم تصف مساله الشام تصفيه نهائية » (٣) .

وفى مقال بعنوان « مستقبل العلاقات الاقتصادية فى الجامعة العربية » يكتب احمد سعيد (صادق سعد) .. « ولكن الجامعه العربيه ــ جامعه الدول العربيه .. كما سميت بحق ــ تغاضت عن مطالب الشعوب العربيه الاقتصاديه واعملت تغلغل الرأسمال الاجنبى فى حياتها الاقتصاديه ولم تبال بان الاستعمار يخنق الان الطبقات الشعبيه العربيه ، لماذا ؟ لان هذه الجامعه جامعة دول وليست جامعه شعوب ، فهى تمثل الطبقات الحاكمة دون غيرها. ولان الحياة السياسيه للشعوب العربيه لا تزال متأخرة ، ونشكو ضغط الاستعمار الثقيل . وبهذا يتضح ان حل المسائل الاقتصاديه للشعوب العربية معقود بتحرر هذه الشعوب من الاستعمار تحررا لا يأتى عن طريق الزعماء والساسة الرسميين ، بل عن طريق الكفاح الشعبى نفسه » (٤) .

وفى باب « حركة العالم فى اسبوعين » وهو باب ثابت كانت تعرض فيه « الفجر الجديد » اهم الاحداث العالميه وكان دائما بغير توقيع لكن محرره كان فى اغلب الاحيان « انور عبد الملك » نجد هجوما شديدا على جامعة الدول العربيه واتهام صريح لها بأنها « آداة بريطانية » وادانة لتجاهلها لقضية فلسطين ولتباعدها عن مشكلة السودان تم تحد صريح « فالجامعة تسير فى طريقها الخاص بها ، اما شعوب الشرق الطامحة الى الحرية فلا تنتظر منها شيئا الا اذا اصبحت جامعة للشعوب العربية تمثل فيها شعوب الشرق العربى تمثيلا صحيحا فتعمل على توثيق العلاقات بينها والتضامن ضد الاستعمار»(٥).

وفى تعليق حاد بعنوان « الجامعة العربية فى دورتها الحاضرة » بقلم « على الكاتب » (على الراعى) نجد تركيزا شديدا على تراخى وتساهل الجامعة العربية تجاه القضية الفلسطينية ، ثم « ان المجلس بتكوينه الحالى يقف حائلا

---

(١) الفجر الجديد ، ١٦ـ٥ـ١٩٤٥ .
(٢) الفجر الجديد ، ١ـ٧ـ١٩٤٥ .
(٣) الفجر الجديد ، ١٦ـ٨ـ١٩٤٥ .
(٤) الفجر الجديد ، ١٦ـ٩ـ١٩٤٥ .
(٥) الفجر الجديد ، ١ـ١٠ـ١٩٤٥ .

بين الشعوب العربية وبين التحرر ، وتستعمل في ذلك اساليب وصنوف من الكبت والاضطهاد تقربها كثيرا من الفاشيه التى نراها فى الصهيونيه ولا نراها فى نفسها ٠٠ ان مجلس جامعه الدول العربيه غير جاد فى محـــاربه الاستعمار كله ومتراخ فى محاربه عميله وصــــنيعه الاســـتعمار الا وهى الصهيونيه ٠ هذه حقيقه بالغه تصدمنا صدما فى تصرفاته » (١) ٠

ونقلا عن جريدة « الاتحاد » الفلسطينيه تنشر « الفجر الجديد » مقالا عنوانه « الاحرار العرب لا يؤيدون سياسه عزام باشا ولا خطه الجامعه العربيه ازاء الاستعمار » (٢) ٠

ومن الهجوم على الجامعة العربية الى الهجوم على أمينها العام ، وتعليقا على موقف عبد الرحمن عزام باشا امام لجنه التحقيق البريطانيه الامريكيه فى مساله فلسطين يكتب « سعد لبيب » « الطريف حقا ان سعادة الامين العام نسى ان هناك شيئا اسمه الاستعمار البريطانى فى فلسطين ٠ وان هـــذا الاستعمار هو الذى مكن للصهيونيه فى فلسطين وانه هو الذى يســـــند الصهيونية دائما فى مواقفها ٠٠٠ ما كان أغناك يا سعادة الامين العام عن هذه التصريحات والبيانات الواضحة جدا ، وما كان اغنى الانجليز عن ان تكون هكذا واضحا صريحا ٠ اما الشرق ؟ ولكن مالك انت وللشرق !؟ ان شعوبه تعمل وستنتصر دون حاجة اليك » (٣) ٠

واذا كان جوهر الهجوم الذى شنته « الفجر الجديد » على جامعة الدول العربية هو انها جامعة دول ــ اى طبقات حاكمة ٠٠ وانه يتعين عليهـــا لكى تنجح ان تكون جامعة شعوب ٠٠ كان من حق « الفجر الجديد » علينا ان نذكر لها انها حاولت قدر طاقتها ان تقيم أوسع الروابط مع الشعوب العربية ومع طلائعها التقدمية ، وعلى صفحاتها كتب كثير من المفكرين التقدميين العرب ٠٠ ونوقشت مختلف القضايا العربية سوريا ولبنان ، السودان ، الاقليــــات القومية ، فلسطين ٠٠ مناقشة مستفيضة ومن وجهة نظر متقدمة ٠٠

★★★

واذا كانت قضية فلسطين واحدة من أهم قضايا الوطن العـــربى ٠٠ واذا كانت بعض الاوضاع الخاصة «بالفجر الجديد» والمتعلقة بمنشأ مؤسسيها تجعل للتعرف على موقف هذا المنبر من القضية الفلسطينية اهمية خاصة ، فاننا سنحاول ان نستعرض بايجاز بعضا من الجهد الدائب الذى بذلته «الفجر الجديد » دفاعا عن عروبة فلسطين وادانه للصهيونيه ٠٠

---

١ ــ الفجر الجديد ، ١٦ ــ ١٢ ــ ١٩٤٥ ٠
٢ ــ الفجر الجديد ، ٣٠ ــ ١ ــ ١٩٤٦ ٠
٣ ــ الفجر الجديد ، ١٣ ــ ٣ ــ ١٩٤٦ ٠

ولقد لاحظنا ان كثيرا من هجمات « الفجر الجديد » ضد الجامعة العربية كانت بسبب تهاونها او تفريطها فى الدفاع عن حقوق عرب فلسطين، لكن هذا لم يكن سوى بداية ، فان « الفجر الجديد » قد ركزت فى كثير من الاحيان مدفعيتها الثقيلة فى هجوم عنيف مركز ضد الصهيونية ..

وتحت عنوان « كفاح فلسطين الوطنى الديمقراطى » يكتب « وطنى » « الصهيونيه حركه استعمارية ليست فى الواقع سوى شكل قديم جديد لتصدير الرأسمال والاستيلاء على الاسواق واحتكار اكثر ما يمكن من منابع المواد الأولية لحساب الشركات الاستعمارية الضخمة » والصهيونيه تجد سندا قانونيا فى تصريح بلفور وغيره من الرسميين البريطانيين ، ويربطها هذا بالانتداب ، ويكون سببا من الاسباب التى تجعلها ضد الحركة الوطنية فى فلسطين . ولذا يقاومها العرب .. غير ان كفاحهم المجيد ضد الصهيونية ، لا يعنى كفاح اليهود اطلاقا « (١) .

وعلى صفحات « الفجر الجديد » يكتب « مخلص عمرو » احد القادة النقابيين الفلسطينيين مقالا يدعو فيه العمال العرب الى التوحد « لمحاربة الصهيونية بين صفوف العمال وفضحها كحركة استعمارية رأسمالية »(٢) وفى نفس العدد تشير «الفجر الجديد » فى بابها الثابت « حركة العالم فى اسبوعين » الى ان « الولايات المتحدة تعمل كل ما فى وسعها لتاييد الصهيونية . اى لتأييد دخول رأسماليين مستغلين الى فلسطين العربية » (٣) .

واذا كان هذا العدد يصدر فى ذكرى وعد بلفور فان « الفجر الجديد» تنشر نداء بتوقيع فلسطينى عنوانه « ليسقط الاستعمار والصهيونية » جاء فيه ان « الشعب العربى يعلم ان قضية حريته تفرض عليه مقاومة الصهيونية والاستعمار معا . فالصهيونية رأسمالية استعمارية وليست حركة عنصرية او دينية » .

ويمضى النداء « نناديكم أيها المصريون الوطنيون أن قفوا معنا صفا واحدا ، وناضلوا معنا الاستعمار وقاوموا الصهيونية» (٤) .

وتدين «الفجر الجديد» الصهيونية بأقوال أقطابها وصحافتها وتنقل عن جريدة «دافار» الصهيونية العبارةالتالية لتبرزها«اننا نعتبر بأنمصيرنا مرتبط بمصير الاستعمار البريطانى ونعترف بهذه الشركة» (٥) .

ويبدو أن خلافا ما قد برز فى صفوف بعض « احرار » فى مصر حول الموقف من الهجرةاليهودية الى فلسطين مع اتفاق الجميععلى ادانة الصهيونية

---

١ — الفجر الجديد ، ١٦ — ٦ — ١٩٤٥ .
٢ — الفجر الجديد ، ١ — ١١ — ١٩٤٥ .
٣ — المرجع السابق .
٤ — المرجع السابق .
٥ — الفجر الجديد ، ٣٠ — ١ — ١٩٤٦ .

ولهذا تنشر «الفجر الجديد» مقالا تنقله عن «الاتحاد» الفلسطينية بعنوان « يقاومون الهجرة الى فلسطين » وتقدمه الى قرائها بالمقدمه التالية « نشر المقال التالى بجريدة «الاتحاد» الغراء ، ولقد رأت لجنة التحرير أن تنقل فقرات منه لقراء «الفجر الجديد» دحضا لما قد يكون شائعا بين بعض الاحرار فى مصر والبلاد العربية من أن موقف الاحرار من الهجرة يجب ان يكون مختلفا عن موقفهم من الصهيونية ذاتها • ويجدر بنا ان نتذكر قرار الحزب الشيوعى (يقصد الحزب الشيوعى الفلسطينى)الاخير بمعارضة انشاء وطن قومى لليهود فى فلسطين ذلك القرار الذى ووفق عليه بالاجماع» (١) •

لكن حملة «الفجر الجديد» ضد الصهيونية لم تمنعها من استنكار الدعاوى والتحركات العنصرية ضد اليهود المصريين أو المقيمين بمصر ، وعندما قامت المظاهرات المتعصبة التى قادها الاخوان المسلمون وأعضاء مصر الفتاة ضد محلات ومساكن بعض اليهود كتب «جهاد» (أحمد رشدى صالح) «نؤمن بأن مكافحة الصهيونية عمل وطنى مجيد يجب أن نقوم به فى حزم وقوة • فالصهيونية حركة استعمارية رأسمالية يستخدمها الاستعماران الامريكى والبريطانى الآن لتثبيت دعائمهما فى البلاد العربية» لكن ثمة تيارات رجعية «التقت عند هدف مشترك فى تحويل حركتنا الوطنية عن مجراها الحالى ضد الاستعمار البريطانى والاستبدادالرجعى• الى حركة عنصرية •• ولقد كانت قيادات اضرابات ٢ نوفمبر فى يد هذه الفئات الرجعية ولذا فهى لم تفد الطبقات الشعبية شيئا — وأفادت الاستعمار كثيرا — وثبت أقدام الحكومة أكثر من ذى قبل » •

ويمضى «جهاد» قائلا : ولقد استفادت الصهيونية من توجيه حركتنا فى ٢ نوفمبر وجهة خاطئة • اذ حصلت على دليل قوى ضد الشعوب العربية ، أنها لاتحترم الاقلية اليهودية وانه لامنجى لليهود الا اذا تجمعوا فى بلد واحد» (٢) •

•• وقد فتحت «الفجر الجديد» صفحاتها لنشر النصوص الكاملة لبيانات « عصبة مكافحه الصهيونية فى العراق » منها بيان بمناسبة « يوم وعد بلفور» يقول «ونحن بصفتنا يهودا وعربا بنفس الوقت نعلن استنكارنا لوعد بلفور واحتجاجنا عليه ، وندعو كل مواطن الى النضال من أجل استقلال فلسطين استقلالا تاما ، وتأليف حكومة ديمقراطية عربية فيها ، ومنع الهجرة الصهيونية الى فلسطين ، وايقاف انتقال الاراضى الى الصهاينة » (٢) •

وبيان آخر من نفس العصبة «الى الرأى العام العربى والديمقراطيين جميعا » يحمل العناوين الفرعية التالية «يهود العراق ضد الصهيونية — الاستعمار البريطانى يؤيد الصهيونية — الارهاب الصهيونى ستار المؤامرة

---

٣ — الفجر الجديد ، ٢٠ — ٢ — ١٩٤٥ •
١ — الفجر الجديد ، ٦ — ١٢ — تاريخ — •
٢ — الفجر الجديد ، العدد ١٣ — بدون ١٩٤٦ •

الاستعمار ـ يجب عرض قضية فلسطين على مجلس الامن» ٠

كذلك تنشر « الفجر الجديد » عديدا من وثائق وبيانات « عصبة التحرر الوطنى الفلسطينية» (١) ٠

واذا كنا ننظر الى « الفجر الجديد » كمنبر سياسى وليس كمجرد مجلة فاننا نلفت النظر الى دراستين هامتين قدمتا باسم « الفجر الجديد » الى ندوة أعدتها « دار الابحاث العلمية » حول القضية الفلسطينية وقد نشرنا ضمن الدراسات المختلفة التى قدمت للندوة فى النشرة غير الدوريه التى كانت تصدرها « دار الابحاث العلمية » ★ والدراستان مقدمتان « عن أسرة تحرير الفجر الجديد » اولاهما بعنوان « فلسطين ومناوات الاستعمار» بقلم صادق سعد ، والثانية بعنوان « الحركه الوطنيه فى فلسطين » بقلم احمد رشدى صالح ٠

ويقول صادق سعد فى دراسته « ٠٠ فتشريد اليهود فى اوربا وبقايا الاضطهاد العنصرى التى تؤلمهم انما تعالج باستتباب الديمقراطيه فى أوروبا، وان يكن بد من ايواء اليهود المشردين فى بلاد غير آوربا نفسها ، فلم لانقبلهم انجلترا او الولايات المتحدة وأرضها واسعة شاسعة ، الا ان الاستعمارين البريطانى والامريكى لا يريدان فى الحقيقة ان يقوما بعمل انسانى ـ بمساعدة اليهود والمشردين ـ وانما يريدان ان يدخل مهاجرون فى فلسطين، أو على الاقل ان يهودا فلسطين والبلاد العربية بمهاجرين يهود حتى تثار مسأله الهجرة لا مسالة الحكم الديمقراطى المستقل فى فلسطين » ٠

اما رشدى صالح فيقول فى دراسته « ان الاستعمار ، والرأسماليين الصهيونيين والاقطاعيين العرب ، هم المسئولون عن المذابح المتكررة التى قامت بها بعض الجماهير العربية ضد اليهود ٠ وأما الزابح من هذه المذابح والكراهية الدينية ، فهو الاستعمار الذى نجح فى تحويل الانظار بعيداعنه ، وهو الرأسماليون الصهيونيون الذين نجحوا فى اجتذاب عطف وحماس جماهير اليهود وزجهم فى المعركة لتثبيت أقدام الاستغلال الصهيونى فى فلسطين ، وهم الاقطاعيون العرب الذين القوا بالجماهير العربية فى المعمعة، فى حين انهم كانوا يتفاهمون مع الاستعمار ، ويبيعون ارض فلسطين للسماسرة الصهيونيين » ٠

ولست أعتقد اننى بحاجة الى اية اضافة او اى تعليق ٠٠ فقد كان موقف « الفجر الجديد » من القضية الفلسطينية واضحا ٠٠ وكافيا ٠٠٠ لكنه

---

١ ـ الفجر الجديد ، ٢٣ ـ ١ ، ٦ ـ ٣ ـ ١٩٤٦ ٠

★ النسخة التى بين ايدينا منزوعة الغلاف ومن ثم فانها مجهولة التاريخ وتبتدىء بصفحة « ٣ » وبها دراسة بعنوان كلمة تاريخية عن مشكلة فلسطين ـ عبد الرحمن الناصر ـ عن دار الابحاث العلمية ، وتتضمن دراسات مختلفة يمثل اصحابها مختلف المنابر والتنظيمات الماركسية ومن بينها دراستان باسم « الفجر الجديد » واخرى باسم اسرة تحرير « ام درمان » ٠٠ الخ ٠

يتعين علينا ان نضع فى الاعتبار ان جزءا من هذا الوضوح والحماس يجب ان ينسب الى طبيعه منشئ «موسسى « الفجر الجديد » وحاجتهم — اكثر من غيرهم — الى ابداء هذا القدر من الوضوح » .

★★★

ورويدا رويدا بدأت الملامح الماركسية تتضح على صفحات « الفجر الجديد » فالمد الثورى العارم والحركه الجماهيريه الضخمه التى لم تشهد لها مصر مثيلا منذ ١٩١٩ وتفاقم الصراع الطبقى كل ذلك جعل من الضرورى ان يصبح الفكر الماركسى وجبه دائمه على مائده « الفجر الجديد » .

وابتداء من العدد الرابع بدأت المحاولات الحذرة لتلمس بعض جوانب الفكر الماركسى وكان صاحب هذه المحاوله « ابو سيف يوسف » فى مقـــاله « فلسفه ام اسطورة » والمقال مجرد استعراض فلسفى لافكار متعددة عـــن فلسفه الحركه .. ولم يرد فيه مطلقا كلمه الماركسيه ،لكنه كان محاوله جيده لطرح قضايا الديالكتيك بصورة مبسطه .. ويختتم ابو ســـــيف مقاله « فالمذهب الحركى يمكن ان يفهم فهما عمليا سليما ، وقد وجدت الفلسفه التى قدمته فى صورة قبلها العقل واقرها العلم وتعنى بها « الماديه الجدليه» التى استعانت بمنهجها الديالكتيكى على دراسه الطبيعه والانســــــان فى تطورهما وخرجت من ذلك بمذهب انسانى متناسق » (١) .

وفى نفس العدد نقد لكتاب الفه الدكتور مصطفى كمال فايد بعنوان « الثورات الثلاث » وكاتب النقد وهو اسماعيل محمد يبدأ بهجوم صــــاعق « كتاب له رأس دجاجة وجسم فيل ، ورأس الدجاجه فارغ لا خير فيه ، وجسم الفيل يصلح لان يعرض فى حدائق الحيوان ومـــدن الملاهى .. » والكتاب هجوم على ثورة أكتوبر الاشتراكية والنقد دفاع حار عنها (٢) .

.. ويبدو ان عبارة الماركسية قد ظلت لفترة لا ترد على صـــــفحات « الفجر الجديد » الا ردا لهجوم او تصديا لادعاءات الخصوم .

فأسعد حليم يرد على كتاب أصدره محمد صبيح عن روسيا « لغمـــه بالمغالطات وحشاه بحملته الرجعية المغرضة » ويقول أسعد حليم فى معـرض رده « وقع الاستاذ صبيح فى كتابه عن « روسيا » فى عدد كبير من الاخطـاء التاريخية والاحصائية ، نكتفى بأن نشير الى بعضها فان احصاءا شاملا لها يحتاج الى جهود مصلحة الاحصاء والتعداد » (١) .

---

١ — الفجــر الجــديد ، ١ — ٧ — ١٩٤٥ .
٢ — المرجع السابق .

لكن أسعد حليم اكتفى بنقد الاخطاء التاريخية والاحصائيه والجغرافية ٠٠ولم يتعرض للسياسة في قليل او كثير ٠٠

ونحتاج بعد ذلك الى تقليب صفحات عديدة من اعداد المجلة ٠٠ حتى نعثر على برواز صغير بعنوان مختارة « فلسفة ماركس المادية هي الوحيدة التي أوضحت للبروليتاريا طريق الخلاص من العبودية الروحية التي كانت الطبقات المضطهدة جميعا ترزح تحت اعبائها ، ونظرية ماركس الاقتصادية هي الوحيدة التي بينت موضع البروليتاريا الحقيقي من النظام العـــام للرأسمالية » (١) ٠

وهنا نلمح بداية جادة لمنعطف طريق حقيقي ٠٠ انها المرة الاولى التي يرد فيها ذكر الماركسية كنظرية قادرة على تحرير الانسان ٠٠ ويبدو ان الامر كان صعبا في بدايته وخاصة بالنسبة لاناس كان الحذر الشديد شعارهم الاساسي ومنهجهم في العمل ٠٠ فقد القيت هذه « المختارة » في زاوية من زوايا احـــدى الصفحات ٠٠ دون مقدمات ودون تعليق ٠٠

ولكن ابو سيف يواصل ــ فيما بعد ــ تقديم دراساته الفلسفية « الانسان والطبيعة في الفلسفةالجدلية» وهي دراسة جادة لكنها تظل في اطارهاالفلسفي الجاف ٠٠

وتحتاج لجهد كبير في تفهمها وخاصة بالنسبة لقارىء هذا الزمان ٠٠

وكما عودنا « اسماعيل محمد » فانه يكون أشد الكتاب جرأة في التعرض لمهاجمي الماركسية وتفنيد هجومهم ٠٠ وردا على كتاب العقاد « في بيتي » كتب اسماعيل محمد مقالا كان نقطة تحول خطيرة في تاريخ « الفجر الجديد » فمن خلال مواصلة انتقاد كتاب العقاد والرد عليه ٠٠ دخلت «الفجر الجديد» بصراحة معممة الدفاع الصريح والجاد عن الماركسية ٠

وفي برواز يقدم به « اسماعيل محمد » رده على العقاد يقول « ينتهز الاستاذ العقاد كل فرصة تعرض له ، بل انه يخلق الفرص ليهاجم الأراء الحـــرة ويكيل للاشتراكية والشيوعية الشتائم بنفس اللهجة ونفس المســـتوى الذين يهاجم بهما الوفد وغيره من العناصر الديمقراطية في مصر ٠٠٠ ولقد أســـف الاستاذ كثيرا في مهاجمته للاشتراكيين والشيوعيين وتفضل على الفيلسوف العالمي الكبير ماركس ، وعلى زميله فريدريك انجلز ولينين بالقاب واوصاف غير علمية تغلب عليها أساليب السوق التي اشتهر بهاالاستاذ العقاد مما يبعدهـــا كثيرا عن دائرة البحث العلمي » ٠

ويمضي «اسماعيل محمد» منفدا آراء العقاد ٠٠ وهذه نهاية المطاف التي كان حتما عليه ان يبلغها فهو قد هاجم الاشتراكيين والشيوعيين ما انفســح

---

١ ــ الفجــر الجــديد ، ١ ــ ٨ ــ ١٩٤٥ ٠

القرطاس أمامه . وما خلا الميدان من أقلام تسفه أباطيله ـ وهو قد عرض بالمذاهب العلمية الاجتماعية لينتهى الى هذا الحدس الرخيص والتخمين المهين لكرامة الانسان » .

ويختتم المقال هجومه بادانة أفكار العقاد الميتافيزيقية « فلست أريد ان أغالط العقاد فى معتقداته الميتافيزيقية ، وانى مستريح بالا لأن العقاد انصرف بعبقريته اخيرا ـ الى عالم لا قيود فيه ولا سدود وان عبقريته تضيق بالبحث العلمى المحدود ، وتزيح به فى غيوم من التيه وشتات من الايمان بالاشباح والكفر بالقيم الحقة فكفاه من التراث العلمى هذا التية ، وكفانى من هلهلة آرائه هذا القدر » (١) .

ولم تكن مقالة اسماعيل محمد هذه سوى بداية .. لهجوم عارم ، او بالدقة دفاع عارم عن الماركسية وتزخر صفحات « الفجر الجديد » بردود على العقاد ، وصاحب الرد الذى سنعرض له الان هو ابو سيف يوسف .. « ونحن نستطيع ان ندحض اتهام الماركسية بأنها عقيدة جامدة وتبشير ، بالنظر فى طبيعة هذه الفلسفة نفسها .. على اننا قد قلنا فيما تقدم ان الماركسية تتفق مع العلم فى أنها تنظر الى الحقيقة نظرة نسبية وترى ان الوصول اليها عمل تحققه الانسانية والاجيال المتعاقبة لا فرد واحد . ومعنى هذا ان الماركسية أسلوب لدراسة الاشياء وليست عقيدة تظهر فى فترة فاعليتها ثم تخبو عندما نحاول تطبيقها فى عصور مختلفة ... لقد بدأ اختبار الفلسفة المركسية وقد دل الاختبار على نجاحها البين الملموس ... ان الفلسفة الماركسية فلسفة حركة ، بل لعله من الافضل ان يقال انها الفلسفة الاولى والوحيدة للحركة العامة ، حركة العقل البشرى فى محاولته ان يوافق الحقيقة موافقة وثيقة ومدللا باستمرار على هذا التوافق بنجاحه العملى » (٢)

ويكون الرد على العقاد مناسبة للحديث فى كل شىء حتى عن « صور انسانية من كارل ماركس » وفى مقدمة لهذه الدراسة المترجمة عن كتاب « الماركسية والفرد » لاسقف كنتربرى تكتب « الفجر الجديد » « يتهم العقاد الماركسية بالباطل فى كل شىء .. ولقد زعم ان ماركس لم يحيا حياة انسان وحقا ان ماركس لم يكن يتصف بالصفات الاساسية التى تجعله انسانا فى نظر العقاد وأشباهه فهو لم يكن أنانيا ولا بوقا للرأسماليين والمستغلين ولا دعيا يفسد كل القيم ليعيش فى لين ويسر بينما الملايين من البشر مستعبدون ومضطهدون . لقد كانت حياة ماركس وحدة كاملة من العواطف والأراء .. وكانت حياته الشعورية فياضة زاخرة لان مادتها المجتمع الانسانى كله ، وكانت غنية دافقة لأن معينها العقل وكانت أرقى ما تكون الحياة الانسانية لانها جمعت الى فيض الشعور ، سيطرة الفكر وجهاد الحر الكامل لتتحرر الانسانية » (٣) .

---

١ ـ المرجع السابق .
٢ ـ الفجر الجديد ، ١ ـ ١٠ ـ ١٩٤٥ .
٣ ـ الفجر الجديد ، ١٦ ـ ٩ ـ ١٩٤٥ .

ويكون الرد على العقاد .. مناسبة ايضا لتقديم دراسة عن « دور الفرد فى التاريخ » وموقف الماركسية منه . وفى مقدمة لهذه الدراسة تكتب « الفجر الجديد » قائله « يعمد بعض أعداء الفلسفة الماركسية من الكتاب المأجورين الى محاولة نقدها وتفنيدها متظاهرين في الوقت نفسه انهم انما يدافعون عن العلم والعقل والكرامة الانسانية ــ ولما كانت الماركسية لا تعارض العلم ، بل وتحترم مناهج البحث العلمى .. ولما كانت فى صميمها فلسفة انسانية بكل معانى الكلمة فان هؤلاء الكتاب قد عمدوا عن قصد الى تشويه آراء ماركس بحيث تبدو على غير حقيقتها ، والى تخريج بعض أقواله تخريجا يتنافى مع مضمون الفلسفة الماركسية ومنطقها الداخلى » (١) .

ولم يقتصر الامر على مقالات عديدة اخرى لدحض هجمات العقاد وانما أعدت « الفجر الجديد » كتيبا ترد فيه على العقاد بعنوان « من حقائق الماركسية ..رد على العقاد » وتنشر « الفجر الجديد » اعلانا عن هذا الكتيب تقول فيه « أعدت لجنة التحرير بحثا وافيا فى الرد على الآراء المغرضة التى تذاع هذه الايام بقصد تشويه التيار المتقدم فى مصر وغيرها من البلاد العربية ــ هذه الآراء التى ينفرد العقاد وأمثاله بالصدارة فى اذاعتها بين الناس . وان لجنة التحرير يهمها ان يبلغ هذا البحث كل قارىء وصديق يؤمن بجهاد شعبنا ويرغب فى الاستهداء بالحقائق العلمية التى لا يستقيم كفاحنا التحريرى بغيرها » (٢) .

ثم يصبح الحديث عن الماركسية مسألة معتادة .. بعد ذلك ، بل انه يجتاح حواجز الحذر ليقدم ــ على سبيل المثال ــ مقالا لاحمد سعيد (صادق سعد) بعنوان « ثورة اكتوبر ... مرحلة تحول فى تاريخ البشرية » ومن البداية يقول صادق سعد « بثورة اكتوبر استولت البرولبتاريا ــ طبقة العمال وطليعة الكادحين ــ على الحكم السياسى فى روسيا . وكانت هذه هى المرة الاولى التى تتولى فيها الغالبية الشعبية الحكم السياسى ..

ففى المجتمع الاشتراكى الذى اسسته ثورة اكتوبر لا تستولى طبقة طفيلية على نتيجة جهود الكادحين بل ينتج الشعب لنفسه ، ويراقب الانتاج الاجتماعى ويشرف عليه ، حيث ان وسائل الانتاج ملكا له » .

ويمضى المقال « ... واذا كانت الشعوب توجه أنظارها نحو الاتحاد السوفييتى فليس ذلك لانها تنتظر منه ان «يدبر» لها الثورة بل ان هذه الشعوب جميعا تعلم علم اليقين ان الحرية لن تأتى لها من الخارج بل عليها ان تبنيها بأيديها وبكفاحها هى » (٣) .

وهناك ايضا عرض لكتابات ستالين عن « الثورة الاشتراكية » يقدمه

---

١ ــ الفجر الجديد ، ١ ــ ١١ ــ ١٩٤٥ .
٢ ــ الفجر الجديد ، ٦ ــ ١٢ ــ ١٩٤٥ .
٣ ــ الفجر الجديد ، العدد ١٣ ــ بدون تاريخ ــ .

نعمان عاشور وفى نفس العدد « صور من حياة لينين بمناسبة يوم ٧ نوفمبر» بقلم عبد العزيز فهمى ثم تتوالى الدراسات « بين الماركسية وعلم النفس » بقلم على الكاتب (على الراعى) حقوق الافراد وواجباتهم فى الاتحاد السوفييتى « بقلم ابو سيف » (١) • ثم رسالة من عامل ميكانيكى ببغداد بعنوان« اميل لودفيج والماركسية « (٢) ودراسات اخرى عديدة من أهمها دراسة من ثلاثة

فصول بعنوان « بماذا نفسر التغيرات الاجتماعية ؟ » بقلم اسماعيل يحيى (اسماعيل محمد) وهى تقديم جيد للفكرة الماركسية حول تطور المجتمعات والقوى الفاعلة فى عملية التطور هذه (٣) •

ثم تبدأ « الفجر الجديد » فى تقديم افكار ماركسية عن الاقتصاد السياسى فى باب بعنوان « قاموس الاقتصاد السياسى » وفيه تقدم تعريفا لعلاقات الانتاج ـ السلع ـ التبادل النوعى (٤) •

ثم هى تنقل عن جريدة « المصرى» عدد ١ـ٢ـ٤٦ فصلا هاما بعنوان « لينين والمسألة القومية » (٥) •

ثم تخطو « الفجر الجديد » خطوة اخرى هامة وهى تعزيز علاقاتها مع الاحزاب الشيوعية العربية فهى توالىنشر العديدمن المقالات نقلا عن «الاتحاد» و « الغد » الفلسطينيتين و « الطريق » اللبنانية •• بل وتوالى نشر أعلانات لهذه المجلات « تصل القاهرة المجلات التقدمية العربية التالية •• الطريق ـ لبنان ، الغد ـ فلسطين ، الاتحاد فلسطين ، الرابطة ـ العراق » (٦) •

وعندما تنفجر الحركة الثورية فى مصر فى مطلع عام ٤٦ ويتعرض التقدميون والشيوعيون المصريون للاضطهاد تحرص « الفجر الجديد » على ان تنقل لقراءها تضامن الشيوعيين العرب مع الشيوعيين والتقدميين المصريين •• « نشرت جريدة « الاتحاد » الفلسطينية الغراء فى عدد ٣٠ ديسمبر ١٩٤٥ مقالا للمناضل الحر الاستاذ فؤاد نصار يقول فيه « تجتاح مصر اليوم موجة من الارهاب الاسود •• لقد افزع النشاط التحررى العناصر الرجعية مهادنة الاستعمار فراحت تضرب يمينا وشمالا تنقذ نفسها من المصير المحترم » •

ومقال آخر من مجلة « الغد » الفلسطينية بعنوان « الاشتراكية جريمةفى مصر » ودفاع حار من جريدة « الشعب » العراقية ••• الخ (٧) ••• ثم

---

١ ـ الفجر الجديد ، ٦ ـ ١٢ ـ١٩٤٥ •
٢ ـ الفجر الجديد ، ٦ ـ ١٢ ـ١٩٤٥ •
٣ ـ الفجر الجديد ، ١٩ ـ ١ ـ ٢٢ ، ـ ١ ـ ٦ ، ـ ٢ ـ ١٩٤٦ •
٤ ـ الفجر الجديد ، ١١ ـ ١ ـ١٩٤٦ •
٥ ـ الفجر الجديد ، ٣٠ ـ ١ ـ١٩٤٦ •
٦ ـ المرجع السابق •
٧ ـ الفجر الجديد ، ١٩ ـ ١ ـ١٩٤٦ •

تنقل لقراءها كلمات من خالد بكداش « ان حوادث مصر الدامية هى اليوم على كل شفه ولسان ، بل هى فى أعماق كل قلب وكل نفس فى سوريا ولبنان وجميع الاقطار العربية ـ فكل عربى مهما كان مولده يشعر ان لمصر فى عنقه دينا عليه ان يفيه ، وأحسن أشكال هذا الوفاء هو رفع الصـــــوت عاليا بالتضامن مع الشعب المصرى فى نضاله لاجل الاستقلال والجلاء ..

ان الشعوب العربية التى تناضل فى كل قطر لاجل الاستقلال والجلاء تلتفت اليوم بأنظارها الى وادى النيل وقلوبها تزخر بعاطفة التضامن والاخاء نحو الشعب العربى الكبير الذىيرفع اليوم فى الشوارع والساحات لـــواء النضال الشعبى فى سبيل الحريه والحياة فلتحيا مصر مســـتقلة ديمقراطية حرة ـ عاش التضامن بين الشعوب العربية فى سبيل الجلاء والاستقلال ، فى سبيل الحرية والديمقراطية » (١) .

---

١ ـ الفجـر الجـديد ، ٢٧ ـ ٢ ـ ١٩٤٦ .

.. عندما استقل الثلاثى صادق سعد ـ يوسف درويش ـ ريمون دويك على الحلقة السرية الماركسية (لم يكن اسم) التى كانت تعمل خلف واجهة « مجموعة الدراسات » العلنية كان يستهدف كما أشرنا فى فصل سابق الى العمل فى شعبتين ، العمل وسط المثقفين وقد تولاه كما رأينا صادق سعد وريمون دويك وانضم اليهما أحمد رشدى صالح . والعمل بين العمال وقد تولاه يوسف درويش وذلك باعتباره محاميا عماليا .

واذا كانت الجماعة الاولى قد انغمست فى العمل وسط المتقفين وارتبط اسمها باسم مجلتها « الفجر الجديد » ..

فان يوسف درويش قد حاول قدر طاقته الانغماس فى العمل النقابى العمالى ويمكن القول انه قد حقق ـ الى حد كبير ـ نتائج هامة ..

***

والبداية مجموعة من الطلاب المتحمسين ينشطون فى حى السبتية لتأسيس فصل لمحو الأمية ، ويلتقى بهم يوسف درويش الذى يسكن بجوارهم فى حى بولاق ويلتقط المحامى الماركسى الشاب الذى يحاول جاهدا ان يجد لنفسه ركيزة يستند اليها فى سعيه نحو كسب كوادر عمالية .. يلتقط هذا الخيط ..

ويتحول منزله (رقم ٧ سكة جلال الملك أمام حوش فايد) الى مقر لجماعة جديدة « جماعة الثقافة الشعبية » وتؤسس هذه الجماعة مركزين لمحو الأمية الاول فى شارع وابور النور بالسبتية والثانى فى ميت عقبة(١) .

« ومن خلال فصول محو الأمية التقى يوسف درويش بمحمودالعسكرى . اما يوسف المدرك فقد كان يعمل عند بعض أقارب ريمون دويك وتعرف به ريمون ثم قدمه الى يوسف درويش » (٢) وكان هناك ايضا طه سعد عثمان

---

١ ـ من محضر نقاش أجرى مع يوسف درويش .
٢ ـ من محضر نقاش أجرى مع صادق سعد .

وكان هو ايضا شخصية نقابية هامة فقد ظل رئيسا للنقابة العامة لعمال النسيج الميكانيكي وملحقاته بالقاهرة وضواحيها من ١٩٣٨ الى ١٩٤٣ ثم أمينا لصندوق هذه النقابة من ٤٣ الى ١٩٤٤ ثم مراقبا عاما لنفس النقابة عام ١٩٤٥ (١) والمرجح ان العسكرى هو الذى قدم طه سعد عثمان الى يوسف درويش فقد كانا ينشطان معا فى نفس النقابة .

وبهذا الثالوث « المدرك ـ العسكرى ـ طه عثمان » يكون يوسف درويش قد وضع يده على احد المفاتيح الهامة للنشاط وسط قطاع عمالى اساسى ..

ويكون قد حقق خطوة هامة بالالتقاء مع كوادر عمالية صرفة ومصرية صرفة واضعا بذلك اساسا هاما لمستقبل المجموعة السرية التى ينتمى اليها .

ويمكننا الان ان نترك الحديث ليتولاه واحد من هذا الثالوث هو طه سعد عثمان :.

« كنت فى ذلك الوقت مع نفر من العمال والنقابيين نقرأ بعض الكتب والكتابات الاشتراكية ، وكان المثقفون الاشتراكيون الذين اتصلوا بنا منذ فترة دائبى النقاش معنا ، وخاصة بعد اسقاط فضالى عبد الجيد فى الانتخابات حول قضية السلطة والطبقة العاملة ، وانه لا وصول الى السلطة الا بتنظيم سياسى ، ومجلة تنطق باسمه وتقوم بعملية الربط بين اعضائه . وبعد نقاش استمر مدة طويلة ، اتفقنا على ان نكون تنظيما سياسيا علنيا للطبقة العاملة ، وأن تصدر مجلة تنطق باسمه » .

« وفى اجتماعات طويلة تم الاتفاق على ما يأتى :

١ ـ ضرورة عمل برنامج للتنظيم السياسى يحدد مطالب كافة الفئات الشعبية وطنيا واقتصاديا واجتماعيا ، على ان تناقش بنود ذلك البرنامج من اللجنة التأسيسية مجتمعة بعد ان كلف ثلاثة بوضع مشروع البرنامج وكذلك مشروع بيان يوزع مع البرنامج .

٢ ـ ان يكون اسم التنظيم هو « لجنة العمال للتحرير القومى ـ الهيئة السياسية للطبقة العاملة » باعتبار ان هذه اللجنة فى حقيقة الامر ، ان هى الا لجنة تحضيرية لحزب الطبقة العاملة المصرية السياسى ، وعلى ان يعلن اسم الحزب بعد ان تتمكن اللجنة عن طريق العمل السياسى والجماهيرى من استكمال مقومات الحزب فعلاً وبعد ان ترتبط فعلا بكتل العمال والفلاحين والمثقفين الثوريين والفئات الشعبية الاخرى التى لها مصلحة فى تحقيق البرنامج :.

٣ ـ اتفق على ان تستأجر اللجنة مجلة اسبوعية تنطق باسمها ، وكلف الزميل محمود محمد العسكرى لسابق خبرته فى هذا المجال باتمام ذلك .

٤ ـ اتفق على ان يكون اول يوم لالغاء الاحكام العرفية فى مصر هو يوم اعلان اللجنة » (٢) :.

وهكذا صدرت مجلة « الضمير » .. كمجلة عمالية تمثل منبرا علنيا

---

١ ـ طه سعد عثمان . مذكرات ووثائق من تاريخ الطبقة العاملة ـ مقال مجلة « الكاتب » يوليو ١٩٧١ :.

٢ ـ المرجع السابق ص ١٧٥ .

هو « لجنة العمال للتحرير القومي ـ الهيئة السياسية للطبقة العاملة » ..
وهو منبر تأسس باشراف مباشر من حلقة ماركسية (بغير اسم) تستهدف التحول من خلال نشاط جماهيرى واستقطاب أعداد من المثقفين والعمال المصريين الى تأسيس تنظيم شيوعى .

ولسنا نعتقد انه يمكننا هنا ان نتابع تطور الجهود التى بذلها يوسف درويش ومعه هذا الثالوث تأسيسا للجنة العمال للتحرير القومى ، او اعدادا لتأسيس منبر شيوعى فان ما نريده هو متابعة مجلة « الضمير » كواحدة من الصحف اليسارية المصرية .

* * *

وصاحب المجلة الاصلى هو الدكتور عبد الكريم احمد السكرى ، وهو معروف كواحد من الشخصيات التقدمية .. ومن هنا فان المسألة لم تكن مجرد استئجار رخصة جريدة بقدر ما كانت مشاركة سياسية تلتقى عند حدود مبادىء متفق عليها .

ويمكن التعرف على مواقف د . السكرى من مقالاته فى « الضمير » ذاتها فقد استمر فى الكتابة فيها حتى بعد أن اسلم ادارتها لمحمود العسكرى ..

وفى مقال بعنوان « العمال للانتاج القومى كالعمود للجسم الانسانى» كتب الدكتور السكرى يقول « قوام الانتاج فى محيط حلبة الاعمال المختلفة كالزراعة والصناعة والتشييد والبناء والتعمير والتجميل والطباعة وكل ما يحتاج اليه العالم الانسانى من مطالب الحياة هو العامل .. ومن هنا كان له ان يفخر بحق حين يرى نفسه الوسيلة الوحيدة للانتاج القومى . ولكن هل يدرك المجتمع كيف استطاع هذا العامل ان يخرج هذا الانتاج وهل يستطيع المجتمع ان يتصور كم بذل من جهد وتحمل من عناء وتعرض للمخاطر وواجه الصعاب وكم أثقل كاهلة واحترق . ونظن ان الزمن الان .. يدفع الطبقة العاملة الى ان تسعى وراء حقها المهضوم ومطالبها العادلة فى ان يكون لها نصيب من الحياة الرغدة يتناسب مع جهدها وتضحياتها . ولا تستطيع هيئة منصفة ان تقف امام جهاد العمال فى سبيل حقوقهم المشروعة العادلة » (١) .

وقد كتب د . السكرى سلسلة من المقالات بعنوان « ايها العامل .. دعنى أحدثك » قال فى واحد منها « انت عامل .. ومعنى ذلك انك مواطن منتج .. وعلى هذا الاساس الصحيح أرجو ان تحيى فى نفسك شعور الثقة بالنفس والاعتزاز بالكرامة ..

واذا كان حقك اليوم فى الحياة قيد البحث . واذا كان مجالك الحيوى ما زال ضيقا محدودا مما اصابك بهذا العسر المادى فان جهادك المشروع فى المطالبة بما تراه حقا لك .. يخفف ما تشعر به من الم فى نفسك ويسرى

---

١ ــ الضمير ، ٧ ــ ١١ ــ ١٩٤٥ .

عنك ولو على الاقل لانك مجتهد مجاهد فى سبيل مطالبك المشروعة ، وما ضاع حق وراء مطالب » (١) .

وحتى بعد ان قبض على الثالوث (المدرك ـ العسكرى ـ طه سعد) فى الفترة من يناير حتى مايو ١٩٤٦ صمم الدكتور السكرى على معاودة اصدار المجلة وانتقل بها الى مسقط رأسه بنى سويف وأصدرها من هناك وان كان قد حرص على ان يبرز فى رأس صفحتها الاولى انها « لسان حال لجنة العمال للتحرير القومى ـ الهيئة السياسية للطبقة العاملة » (٢) .

ويبقى اسم السكرى هو التوقيع الوحيد فى هذه الاعداد بما يوحى ان محرريها الاصليين لم يريدوا ذكر اسمائهم لاسباب متعلقة بالامن ، وان الدكتور السكرى هو الذى تصدى لتحمل المسئولية كاملة .

وكان لابد له ان يشارك زملاءة فى مصيرهم .. فقبض عليه وتنشر « الضمير » « قبض البوليس السياسى فى الاسبوع الماضى على اكثر من ثلاثين شخصا ـ فى جهات مختلفة .. من الزملاء ، ومنهم رئيس تحرير هذه المجلة الدكتور عبد الكريم السكرى ، واستمر حجزهم فى قسم الازبكية ليلة ٢٥ ، وليلة ٢٦ الماضى وقد تولت النيابة التحقيق فقررت الافراج عن ٢١ بالضمان الشخصى .. ومنهم الدكتور السكرى » (٣) .

ويخرج السكرى من السجن ليكتب فى «الضمير » « ايها العامل دعنى أحدثك عن ليلتين على الاسفلت » فيحدث العامل قائلا « انت عامل .. والعمال قضية هى قضية الكادحين والمرهقين وهذه القضية ليست وليدة أحداث هذا العام بل ولا أحداث هذا القرن . فقضية العمال مشكلةاجتماعية خطيرة تناولها بالدرس والبحث والتصوير منذ اكثر من الفى عام اى منذ ان تحدث الفلاسفة الاقدمون أمثال سقراط وافلاطون وارسطو عن الطبقات وتوزيع الاعمال على الطبقات ونصيب كل طبقة من الاشتراك والمساهمة فى الانتاج .. » .

ثم يروى الدكتور السكرى فى نفس المقال قصة القبض عليه « ... وكان من الطبيعى ان يجمع العمال شملهم وأن يتكتلوا فى نقاباتهم المشروعة وأن يعتمدوا على جهود المخلصين منهم فى مطالبة اولى الامر بالحد من هذه السيطرة (سيطرة اصحاب المصانع) ، وبينما نحن فى نقابة من هذه النقابات نطلب أصول عدد الضمير لاصداره فى موعده اول يوليو اذ فوجئنا بحصار عسكرى من البوليس السياسى وزج بنا فى حجز بقسم الازبكية » .

وهكذا يتضح لنا ان نفس المجموعة (المدرك ـ العسكرى ـ طه سعد

---

١ ـ الضمير ، ٢٤ ـ ٦ ـ ١٩٤٦ .
٢ ـ المرجع السابق .
٣ ـ الضمير ، ٨ ـ ٧ ـ ١٩٤٦ .

عثمان » كانت تعد أصول المجلة ثم يتسلمها الدكتور السكرى ليعود بهـا الى بنى سويف حيث تطبع هناك فى مطبعة العميرى ..

والقبض على الدكتور السكرى تم فى مكان تسليم الاصول .. وهو مقر احد النقابات بدائرة قسم الازبكية .. ونعتقد انه كان مقر « لجنة العمال للتحرير القومى » وعنوانها ١ شارع الباب الشرقى بالازبكية ..

***

ومجلة « الضمير » مجلة قديمة اصدرها الدكتور السكرى قبل سبع سنوات من انفاقه مع محمود العسكرى على اصدارها كلسان حال « للجنه العمال للتحرير القومى » ويبدو ان الدكتور السكرى كان قد تخلى عن المجلة قبل ذلك لعدد من طلاب الجامعة ليصدروها بأسمهم .

يقول طه سعد عثمان فى مذكراته « كان العـدد الاول من مجلة « الضمير » قد طبع فى مطبعـة المكتب الدولى للطبع والنشر بالجيزة وهى المطبعة التى كانت تطبع فيها عندما كان يصدرها بعض طلبة الجامعة »(١).

وقد صدر من «الضمير »قبل ان يتولى ادارتها محمود العسكرى حوالى ٢٧٢ عددا نقول حوالى لاننا لا نعرف بالضبط موعد صدور اول عدد تحت اشراف العسكرى ..

ومذكرات طه سعد عثمان تمدنا بالتواريخ التالية ..

● ٢٩ سبتمبر ١٩٤٥ موعـد انعقاد المؤتمر العالمى للنقـابات بباريس .

● حوالى ١٩ سبتمبر ١٩٤٥ عقد اجتماع فى منزل يوسف درويش استمر ثلاثة ايام وفيه .. « أقر ما اتخذه الزميل محمود محمد العسكرى من استئجار مجلة « الضمير » الاسبوعية من صاحبها ورئيس تحريرها الدكتور عبد الكريم احمد السكرى ، وتقرر ان يصدر العدد الاول منها بعد سفر المدرك الى باريس مباشرة وفيه افتتاحية منه » .

● ٨ أكتوبر ١٩٤٥ تاريخ صدور برنامج لجنة العمـال للتحرير القومى ..

● وتشير المذكرات ايضا الى انه فى اثناء طبع العدد التانى مـن مجلة « الضمير » تم طبع برنامج لجنة العمال للتحرير القومى وبيانها فى نفس المطبعة .

● وتقول المذكرات ايضا وفى « الساعة الخامسة من مساء الخميس ٥ أكتوبر ١٩٤٥ غادر الزميل محمود العسكرى مطبعة المكتب الدولى المطبع والنشر حاملا معه العدد الثانى لمجلة « الضمير » (٢) .

---

١ ــ الكاتب ، يوليو ١٩٧١ . ص ١٨٦.

٢ ــ الكاتب ، يوليو ١٩٧١ .

● وفي حديث صحفي أجرته مجلة « الضمير » مع محمد يوسف المدرك بعد عودته من باريس قال « تعلمون انى وصلت باريس فى مساء ٢٧ سبتمبر » (١) .

ويشير طه سعد عثمان فى مذكراته الى ان المدرك قد غادر الى باريس بالطائرة ..

وتحت أيدينا عدد من « الضمير » نعتقد انه العدد الرابع من المجموعة التي صدرت باشراف العسكرى وتاريخه « الاربعاء ١٧ اكتوبر ١٩٤٥ » ولا مجال للشك فى اى خطأ فى تاريخ العدد فالاعداد بعده مسلسلة بتاريخ صحيح فالعدد التالى تاريخه الاربعاء ٢٤ أكتوبر ١٩٤٥ .. وهكذا .

والاربعاء السابق هو ١٠ اكتوبر وهو ما نعتقد انه تاريخ صدور العدد الثالث والاربعاء الذى يسبقه تاريخه ٣ اكتوبر وهو ما نعتقد انه موعد صدور العدد الثانى ولا بأس من ان يكون قد تم طبعه مساء الخميس فهذه مسألة طبيعية فى اطار مجلة « كالضمير » ..

نصحح اذن التواريخ التي أوردها طه سعد عثمان بفارق يوم واحد .. وهو فارق محتمل .. فالعدد الثانى تسلمه محمود العسكرى من المطبعة مساء الخميس ٤ أكتوبر وليس ٥ اكتوبر ..

وبهذا يكون موعد صدور اول عدد من « الضمير » كمجلة يسارية باشراف مجموعة تستهدف بناء حركة عمالية يقودها تنظيم ماركسى هو الاربعاء ٢٦ سبتمبر . وهو ما تؤكده مجلة « الضمير » ذاتها عندما قالت فى عددها الصادر فى ٢٤ يونيو ١٩٤٦ قائلة « يعرف قرار « ا لضمير » انها ظهرت فى ثوبها الجديد في الاسبوع الاخير من سبتمبر ١٩٤٥ معبرة عن آمال وأهداف الطبقة العاملة المصرية » .

ويكاد ذلك يتفق مع ما أشار اليه طه سعد عثمان فى مذكراته عندما قال « وتقرر ان يصدر العدد الاول منها بعد سفر المدرك الى باريس مباشرة» ولا بأس ان يكون العدد قد تأخر يوما .. انتظارا لسفر المدرك وحتى لا يعوق صدوره سماح السلطات له بالسفر .

***

والمجموعة التى بين أيدينا لنجرى عليها الدراسة يمكن القول بأنها ناقصة لكنها نادرة ..

فالغريب في الامر ان فهارس الدوريات فى دار الكتب والوثائق المصرية لا تتضمن مجموعة أعداد « الضمير » .. ولسنا نتصور اى مبرر معقول لذلك .

---

١ — الضمير ، ٧ — ١١ — ١٩٤٥ .

لكننا أمكننا العثور على مجموعة تضم ثمانية أعـــداد من مجلة « الضمير » ★ .

تبتدىء بالعدد ٢٧٤ الصادر فى الاربعاء ١٧ اكتوبر ١٩٤٥ وهـــو العدد الذى قلنا اننا نعتقد انه العدد الرابع وتنتهى بالعدد الاخير الصادر فى ٨ يوليو ١٩٤٦ . ومن المتيقن انه العدد الاخير لانه فى ١١ يوليو ١٩٤٦ الغى ترخيص هذه المجلة ضمن حملة صدقى الارهابية الشهيرة .

ونلاحظ ان العدد ٢٧٤ قد طبع فى مطبعة المكتب الثقـــافى الدولى بالجيزة ، لكن الاعداد اللاحقة كانت تطبع تقريبا كل عدد فى مطبعة مختلفة وربما كان ذلك بسبب ضعف الامكانيات المادية ، حيث اعتاد اصحاب المطابع تأجيل بعض تكاليف الطبع لما بعد اصدار العدد ، ويحل موعد السداد بطبيعه الحال قبل طبع العدد التالى ومن هنا يكون اللجوء الى مطبعة اخرى تخلصا من دين يتعين سداده فورا ، وربما كان السبب مطـــاردة البوليس للمطـــابع وتحذيرها من طبع أمثال هذه المجلات ، المهم ان العدد ٢٧٥ مطبوع فى مطبعة دار اللواء ، و ٢٧٦ فى مطبعة الواجب وهكذا ..

وعندما قبض فى اول يناير ١٩٤٦ على المدرك والعسكرى وطه سعد عثمان ثم أفرج عنهم فى مايو من نفس العام نلاحظ ان المجلة تعاود الصدور ولكنها تصدر هذه المرة من بنى سويف وكانت تطبع فى مطبعة العميرى ، التى تعرض اصحابها هم ايضا للقبض عليهم كما تشير مجلة « الضمير » «هاجم البوليس فى بنى سويف تحت رئاسة رجال المباحث منزل رئيس تحرير هذه المجلة فى الساعة الثانية بعد منتصف ليل الثلاثاء ٢٥ الماضى واجرى تفتيشا دقيقا ولم يعثر على شىء . كما أجرى تفتيش منازل اصحاب مطبعة العميرى ببنى سويف فى نفس الوقت ، وبالرغم من انه لم يعثر فى المنازل على شىء مطلقا فقد سيق اصحابها الى بندر البوليس حيث ظلوا حتى مطلع الشمس » (١) .

كذلك نلاحظ ان العدد ٢٧٥ الصادر فى ٢٤ آكتوبر ١٩٤٥ وبرغم ان تاريخه لا يتضمن اى ايماء بتأخر صدوره يتضمن فى صفحته السابعة اعتذارا يقول « تأسف مجلة « الضمير » عن تاخير ظهور هذا العدد فى موعده وذلك لاسباب خارجة اطلاقا عن ارادتها . وتأمل الا توضع فى سبيلها عقبات كالتى وضعت هذا الاسبوع » .

كذلك نلاحظ ان العدد التالى ورقمه ٢٧٦ قد صدر متأخرا اسبوعـا كاملا ففى حين ان موعد صدوره كان الاربعاء ٣١ اكتوبر ١٩٤٥ فانه قـــد صدر فى الاربعاء التالى اى فى ٧ نوفمبر دون اية اشارة الى تأخر صدوره ..

اما العدد ٢٧٧ الصادر فى ١٤ نوفمبر ١٩٤٥ فيتضمن خطأ مطبعيا فى رقم العدد .. اذ يبقى ٢٧٦ .. وهو خطأ واضح .

★ يتعين عـــلى ان اوفى الكاتب والمناضل الفلسطينى عبد القادر يس حقه من الشكر . فقد اتاح لى فرصة الحصول على هذه المجموعة .

١ ــ الضمير ، ٨ ــ ٧ ــ ١٩٤٦ .

والمجموعة التي بين أيدينا ينقصها العدد ٢٨٠ وموعد صـــدوره ١٢ ديسمبر ١٩٤٥ وثمة دلائل تؤكد صدور هذا العدد فى موعده اهمها مايشير اليه طه سعد عثمان فى مذكراته من ان محمود امين قد كتب « اول مقال نشر له فى مجلة « الضمير » بعنوان سلطان الضمير اجدى على المجتمع من سلطان القانون ونشرت بالعدد ٢٨٠ الصادر فى ١٢ ديسمبر سنة ١٩٤٥ » (١) ٠

وعندما قبض على محررى المجلة فى الفترة من ٢ يناير ١٩٤٦ وحتى ٣٠ مايو ١٩٤٦ (٢) توقفت عن الصدور لفترة طويلة ولم تعاود الصدور الا فى ٢٤ يونيو ٠٠

وقد صدر من المجلة بهذه الكيفية ثلاثة اعداد اولها اشير اليه على انه « العدد التاسع من السنة الثامنة يوم الاثنين ٢٤ رجب ــ ٢٤ يونيو » ٠

ونلاحظ ان الترقيم القديم المسلسل قد اختفى ، وان الاسم الوحيد الذى ظهر فى هذه المجلة كان اسم الدكتور عبد الكريم السكرى ٠٠

وفى رأس الصفحة الاولى اختفى اسم محمود السكرى كمدير للادارة ٠٠ وان كان قد أبرز فى نفس المكان ان الضمير هى « لسان حال لجنـــة العمال للتحرير القومى ــ الهيئة السياسية للطبقة العاملة ــ القـــاهرة ــ شارع الباب الشرقى ــ الازبكية » وفى الصفحة الاخيرة من نفس العدد اشارة الى ان جميع المراسلات والمقالات ترسل باسم محمود العسكرى ، مكتب الطبقة العاملة للبحث والنشر ــ ١ ــ شارع الباب الشرقى » ٠

ونلاحظ انه لم يشر الى محمود العسكرى كمدير للاداره ــ كـــذلك لم يذكر اسم طه سعد عثمان كسكرتير للتحرير ٠ واستمر الامـــر كذلك حتى العدد الاخير ٠

وهكذا فان مجلة « الضمير » كمنبر يسارى قد صـــدرت فى الاسبوع الاخير من سبتمبر ١٩٤٥ واستمرت حتى ١٩ ديسمبر ١٩٤٥ (وفقا للمجموعة التى بين أيدينا) صدر خلالها ثمانية أعداد ٠ ٠ ومن المؤكد أن المجلة قـــد توقفت عقب القبض على محرريها فى ٢ يناير ١٩٤٦ واستمرت متوقفة حتى عاودت الصدور يوم ٢٤ يونيو ١٩٤٦ لتصدر كل اثنـــين بدلا من كـــل أربعاء ٠

والذى يقوى لدينا الاعتقاد بأن المجلة قد توقفت فى ١٩ ديسمبر وأن مجموع ما صدر منها فى هذه المرحلة هو ثمانية أعداد فقط ٠ ان المجلـــة عندما عاودت الصدور وألغت الترقيم المسلسل أشارت الى ترقيم جديد هـــو «العدد التاسع من السنة الثامنة » ٠

وعلى أية حال فلم يصدر من المجلة بعد ذلك الا ثلاثة أعداد آخرها هو العدد «الحادى عشر من السنة الثامنة بتاريخ الاثنين ٨ يوليو ١٩٤٦» ٠

ولدينا فى المجموعة التى تحت أيدينا عددان من الاعداد الثلاثة هما

---

١ ــ الكاتب ، يناير ١٩٧٢ ٠ ص ١٣٩٠

٢ ــ الكاتب ، فبراير ١٩٧٢ ٠ ص ٣٩ ٠

العدد التاسع والعدد الحادى عشر •

وهكذا فان دراستنا لمجلة « الضمير» كلسان حال للجنة العمال للتحرير القومى — الهيئة السياسية للطبقة العاملة سوف تتناول كل الاعداد التى صدرت منها بهذه الصفة باستثناء عددين مفقودين من المجموعة هما: العدد ٢٨٠ والصادر فى ١٢ ديسمبر ١٩٤٥ والعدد العاشر من السنة الثامنة ويفترض ان تاريخه أول يوليو ١٩٤٦ • وباستثناء الاعداد الثلاثة الاولى •

★ ★ ★

ثمة ملاحظة أخرى وهى أن الاعداد الثلاثة الاخيرة التى طبعت بمطبعة العميرى ببنى سويف كانت تختلف من حيث الشكل والتبويب والاكلشيهات عن الاعداد السابقة • • كذلك فانها اكثر بدائية فتاريخ العدد التاسع يذكر اليوم والشهردون ذكر السنة •• كذلك كانت صفحات العدد الاخير غير مرقمة •

وثمة تغير آخر لم يطرأ الا فى آخر عدد •• وهو اضافة شعار فى رأس الصفحة الاولى يقول «الحق لايقهر • والحرية لاتقهر » •وثمة اضافة أخرى هى بدء المجلة فى نشر شعارات حماسية •• ففى الصفحة السادسة (وهى غير مرقمة) برواز يقول «الضمير مجلة الجهاد الشريف لتدعيم وسائل العدالة الاجتماعية والتحرير القومى • مجلة النضال المشروع المنظم لتأييد حقوق الطبقة العاملة وحب العمل» •

•• ثم ألغى ترخيص لمجلة •• وتوقفت عن الصدور •

★ ★ ★

وقد كان القبض على محررى «الضمير» فى يناير ١٩٤٦ مثارا لموجة استياء وسط صفوف العمال •• وتشير وثائق عديدة الى ذلك •

ففى الخطاب الدورى رقم ٣ لمؤتمر نقابات عمال القطر المصرى تدعو اللجنة التحضيرية النقابات الى الاحتفال بعيد أول مايو وتدعوهم أيضا الى ان يتذكروا « ان زملاءكم محمد يوسف المدرك ومحمود محمد العسكرى •• وطه عثمان مودعون منذ أكثر من ثلاثة أشهر تحت كلمة الحبس الاحتياطى لانهم دافعوا عن قضية الحركة النقابية والعمالية ••» (١)

كذلك لجأت اللجنة التحضيرية الى تنظيم حملة عالمية وطالبت الاتحاد العالمى للنقابات بالتدخل للمطالبة بالافراج عن العمال الثلاثة المعتقلين •

---

١ — نص خطاب مؤرخ ٢٨ ابريل ١٩٤٦ — ورد بمذكرات طه سعد عثمان — مجلة الكاتب — فبراير ١٩٧٢ • ص ٤١ •

وبالفعل أرسل مصطفى العريس ممثل عمال الشرقين الادنى والاوسط في اللجنة التنفيذية لاتحاد النقابات العالمى برقيــة الى اسماعيل صــدقى رئيس الوزراء يقول فيها :

« منذ أكثر من ثلاثة اشهر ألقت السلطات المصرية القبض عــلى بعض المناضلين النقابيين منهم محمد يوسف المدرك ومحمود محمد العسكرى وطه سعد عثمان بسبب نشاطهم النقابى ودفاعهم عن مصالح العمال والشغيله المصريين ــ وبالرغم من عدم وجود أى مسئولية عليهم تستدعى توقيفهــم أو محاكمتهم فانهم مازالوا فى السجن يسامون أنواع العذاب والشقاء ٠٠ احتج أشد الاحتجاج على المعاملة السيئة التى يعــامل بهــا الموقوفين فى السجن ٠٠ وأطلب الافراج عنهم واعادة الحرية اليهم ليعودوا الى ميــدان النضال الى جانب الشعب المصرى العزيز في سبيل حرية مصر وكرامتهــا ٠ وفى سبيل استقلالها وجلاء الجيوش الاجنبية عنها » (١) ٠

كذلك أرسل ابراهيم بكرى باســم عمال سوريا برقيــة احتجــاج ممــاثلة ٠

وأضرب المعتقلون عن الطعام فى ٥ مايو ١٩٤٦ ٠ وأثار اضرابهــم موجة اســتياء في صفوف العمال ٠٠ وانتهى الامر بالافــرج عنهم فى ٣٠ مايو ١٩٤٦ ٠

والذى يهمنا فى ذلك كله ان هذه القضيه كانت متعلقة بمجلة«الضمير» ٠٠ فقد أسميت «قضية مجلة الضمير» وقد حكم فيها ببراءة المدرك والعسكرى وحبس طه سعد عثمان ثلاثة أشهر مع الشغل وتغريم الدكتور عبد الكريم السكرى عشرين جنيها (٢) وكانت التهمة كتابة مقالات فى مجلة «الضمير» تحض على كراهية النظام القائم وطبقة الرأسماليين ٠

ولم تكن هذه هى عملية الارهاب الوحيدة التى تعــرض لهــا محررو مجلة « الضمير » ٠

فقد شاهدنا كيف أعيد القبض عليهم فى ٢٥ يوليو ١٩٤٦ ومعهم هذه المرة الدكتور السكرى ٠ كذلك قبض فى نفس الوقت على أصــحاب مطبعة العميرى ببنى سويف التى كانت تطبع المجلة ٠

ويشير العدد الاخير من «الضمير» الى مطاردة أخرى «استدعى حضرة الاستاذ محمد أمين حماد وكيل نيابة الصحافة والنشر الدكتــور السكرى وحقق معه فى نشرة (قرار مؤتمر العمال) ، وبعد التحقيق كلف أن يدفع كفالة قدرها عشرة جنيهات دفعها وأخلى سبيله » (٣) ٠

وفى ذلك الحين كان محمود العسكرى وطه سعد عثمان مــودعين فى السجن هما وعدد آخر من النقابيين منهم حسين كاظم ومراد القليوبى وغيرهما

---

١ ــ المرجع السابق ، ص ٥١ ٠

٢ ــ الكاتب ، يوليو ١٩٧٢ ٠ ص ١٤٥ ٠

٣ ــ الضمير ، ٨ ــ ٧ ــ ١٩٤٦ ٠

وتشير (الضمير) الى أنهم قد قدموا معارضة فى حبسهم فى ٢٩ يونيو وتقرر رفض المعارضة واستمرار حبسهم أربعة عشر يوما (١) ٠

★ ★ ★

كذلك نود أن نشير الى ان مجلة «الضمير» كانت تعتمد الى حد كبير فى توزيعها على العمال والنقابات ٠

وقد اكد ذلك كثيرون من معاصريها الذين اتيحت لى فرصة الحديث اليهم ٠٠ ويؤكده ايضا ان معظم اعداد المجلة تتضمن الرجاء التالى فى برواز فى الصفحة الاولى «ترجو ادارة المجلة من جميع الزملاء الذين وصلت اليهم الاعداد السابقة سواء اكانتلهم للتوزيع او لنقاباتهم ان يبادروا بارسال ثمنها للادارة مع الشكر » ٠

★ ★ ★

واخيرا نود أن نشير الى ملاحظتين هامتين :

الاولى ان « الضمير » بالرغم من انها تأسست مثلها مثل « الفجر الجديد» نتيجة لجهود مجموعة ماركسية (مكونة من ثلاثة أشخاص: صادق سعد ـ ريمون دويك ـ يوسف درويش وانضم اليهم رابع هو أحمدرشدى صالح) الا أن المساهمين فيها ظلوا بعيدين تماما عن أية معلومات متعلقة بالنشاط السرى أو عن النظرية الماركسية ٠ فان أسلوب الامن الصارم والحلقى الشديد الحلقية قد أغلق الحلقة الرباعية على نفسها تماما ، وظلت رغم صلاتها عن طريق «الضمير» و «لجنة العمال للتحرير القومى» ،تخشى تماما الاشارة من قريب اوبعيد الى امكانياتتوسيع الحلقة الرباعيةوتحويلها الى تنظيم ٠

ولم يصبح متاحا أمام المدرك وطه سعد عثمان والعسكرى أن يعرفوا شيئا عن التنظيم السرى الماركسى وأن ينضموا اليه الا بعد ضربة صدقى فى ١١ يوليو ١٩٤٦ التى أغلقت كل المنافذ العلنية والقانونية ، ولعلهذه الهزة كانت ضرورية لايقاظ المجموعة الرباعية واجبارها على الانفتاح على رجالها ومفاتحتهم وضمهم الى الحلقة للتحول الى تنظيم ٠

ويؤكد ذلك كل من صادق سعد ويوسف درويش فى مناقشاتأجريتها معهما ويؤكده طه سعد عثمان فى مذكراته التى نشرت فى مجلة «الكاتب» ٠٠ والتى قال فيها « ولعله من المستغرب (رغم انه حقيقة) ـ اننى حتى خروجى من السجن فى آخر مايو ١٩٤٦ لم تكن لى صلة تنظيمية » (٢) ٠

---

١ ــ المرجع السابق ٠
٢ ــ الكاتب ، ابريل ١٩٧٢ ٠ ص١٤٦ ٠

وكان لابد لهذا الموقف المتسم بالحرص والامان المبالغ فيهمـــا والذى يصل الى حد الحلقية (اربعة اشخاص ظلوا كما هم أربعة أشخاص دون أية زيادة ولعدة سنوات اتســـمت بالتفجر الثورى والمد الوطنى والديمقراطى والماركسى العارم) كان لابد لهذا الموقف من أن ينعكس بالضرورة على اسلوب تناول «الضمير» للمشكلات والقضايا فهى برغم كونها صحيفة يسارية ــ مافى ذلك شك ــ الا انها كانت تكتفى بمسحة ديمقراطية ونقابيـــة ذات طابع يسارى ٠٠ فى هذه الحدود فقط دون أى تطرق لقضايا تتعلق بالصراع الطبقى او بالعمل الماركسى ٠

والملاحظة الثانية هى انه فى وقت ســـابق على صدور « الضمير » ٠٠ وعلى تأسيس « لجنة العمال للتحرير القومى » كانت الحركة المصرية للتحرر الوطنى وايسكرا تمارسان كلاهما نشاطا واسعا وسط الطبقة العاملة سواء فى منطقة شبرا الخيمة (حيث تركز نفوذ « لجنة العمال للتحرير القومى » ــ ومجلة « الضمير » اساسا) او فى التجمعات العمالية الاخرى ٠٠

وتأسس مؤتمر عمال الشركات والمؤسسات الاهلية الذى أصدر نشره غير دورية باسم « المؤتمر » والذى اوفد هو ايضا مندوبين الى مؤتمر الاتحاد العالمى للنقابات بباريس تم سارع اعضاؤه بالعمل على تأسيس مؤتمر نقابات عمال القطر المصرى ٠

ومن هنا فان متابعة آراء ومواقف مجلة « الضمير » تعنى متابعة احادية الجانب ولجماعة محددة بذاتها ، هى بالضرورة جزء صغير من نشاط كـان عارما ومحتدما فى ذلك الحين ٠

وفى هذا الصدد فاننا يجب ان نضع كثيرا من تقييمات طه سعد عثمان التى أوردها فى مذكراته ، وكذلك نشاط مجلة « الضمير » واتجاهاتهـــا وآرائها فى الاطار الموضوعى الصحيح وهو انها كانت مجرد تقييمات وآراء واتجاهات لحلقة صغيرة٠٠ مجرد موجة واحدة من تيار جارف محتدم ٠

***

والآن ٠٠ نستطيع ان نبدأ فى تقليب صفحات مجلة «الضمير» محاولين تتبع مواقفها وآرائها واتجاهاتها العامة ٠٠

ويمكن القول بأن مجلة « الضمير » لقد ركزت جهودها حول نقاط اربع اساسية :

- نشر الوعى السياسى بين العمال ٠ وحثهم على ضرورة تكوين منبر عمالى مستقل وعلنى يمثلهم ٠٠
- الدفاع عن الحريات النقابية والحريات الديمقراطية عامة ٠٠
- التوعية بضرورة التضامن العمالى العالمى ٠
- التوعية بضرورة التضامن العربى ٠٠ والاهتمـــــام بالمشـــــكلة الفلسطينية بشكل خاص ٠

وسوف نحاول ان نستعرض مواقفها تجاه هذه القضايا الاربعة ٠٠

ولعل النقطة الاولى كانت حجر الزاوية فى سياسة « الضمير » ذلك ان المنطلق الاساسى لتأسيس لجنة العمال للتحرير القومى ، التى لم تكن « الضمير » سوى لسان حال لها هو كما قال طه سعد عثمان «فقدان الطبقة العاملة المصرية ثقتها في التنظيمات السياسية القائمة وفى امكانية ان تعبر تلك التنظيمات عن مصالح العمال » . ويمضى طه عثمان قائلا « ان المد الثورى الوطنى كان يحتم وقتئذ تكوين تنظيم سياسى للطبقة العاملة المصرية لتخليص الطبقات الشعبية الاخرى من سيطرة الاحزاب » (١) .

وعلى نفس النغمة تعزف « الضمير » فى مقال بعنوان « الى الامام .. طبقة العمال فى ميدان السياسة » واذا كانت مجلة « الضمير » قد استخدمت أسلوبا يتسم بالمبالغة والتهويل بادئة المقال « قد ظهر فى افق السياسة المصرية برنامج « لجنة العمال للتحرير القومى » ، ذلك البرنامج الرائع الفذ الذى لم يترك صغيرة ولا كبيرة فى هذا البلد الا أحصاها وهذبها وأصلح من شأنها بما يتفق ومصالح الشعب الحقيقية ، ذلك البرنامج الذى اهتزت له قلوب الشعب المصرى الكادح فرحا وابتهاجا وتأييدا وارتعدت منه فرائص المستعمرين المستغلين خوفا وهلعا ، وكيف لا يخافون ولا يهلعون وقد وثبت العمال من رقدتها ، وتيقظت من غفلتها وخرجت عن صمتها وأزاحت النقاب عن وجهها ونظرت بعينى رأسها الثاقبة فعرفت ما لها وما عليها كطبقة لها كيانها وقوتها الهائلة فى ترجيح كفة العدالة الاجتماعية العالمية » . اذا كانت « الضمير » قد استخدمت هذا التهويل الساذج فان كاتب المقال وهو العامل « شاكر شلبى » قد حاول ان يصنع برنامجا اجتماعيا مبسطا معلنا « اننا لا نريد فقرا ولا جهلا ، ولا نريد عطلا ولا مرضا . ولا نريد استعمارا ولا استغلالا ، ولا نريد فرقة ولا تناحرا ولا نريد ظلما ولا عسفا ، ولا نريد جورا ولا استذلالا ، ولكننا نريد علما وعملا ، نريد حرية واستقلالا ، نريد اخاء واتحادا ، نريد نزاهة وعدلا ، نريد خبزا وكساء نريد جيشا قويا عدة وعتادا ، نريد امنا وسلامة واطمئنانا » (٢) .

والعمال هم كتيبة طليعية في المعركة الوطنية .. هكذا يؤكد محمود العسكرى فى مقال بعنوان « وطنية العمال» « العمال وطنيون قبل كل شيء لانهم يفهمون معنى الوطنية الحقيقية ولذلك تجدهم دائما فى طليعة الحركات التحريرية ، يبذلون جهودا جبارة فى سبيل حرية بلادهم واستقلالها من نير الاستعمار الاجنبى » .

ويمضى محمود العسكرى قائلا « ان العمال أصدق من غيرهم فى وطنيتهم ، لان الخطر المباشر والغير مباشر من ناحية الاستعمار واقع عليهم وحدهم ، فالاستعمار هو الذى يجوعهم، والاستعمارهو الذى يسد فىوجوههم ابواب العلم والعرفان .. ان العمال اكثر من غيرهم استعدادا للتضحية لانهم يفهمون تماما ان الاستعماروضعهم فى سجنالوطن وجردهم من جميع الحريات

---

١ — الكاتب ، يوليو ١٩٧١ .

٢ — الضمير ، ١٧ — ١٠ — ١٩٤٥ .

الانسانية وحرس عليهم جلاديهم لكي يضعفوا شوكة النضال في الطبقة العاملة طليعة الشعب الكادح » .

لكن هذه الفكرة تقود صاحبها الى خطأ سياسي فادح لست أدرى ان كان قد فات على عامل مستجد ـ في ذلك الحين ـ في ميدان السياسة كمحمود العسكرى ، كيف فات على سياسي مخضرم مثل يوسف درويش وقد كان المسؤول الاول والاخير عن المجلة ـ فالمقال يمضي قائلا ..

« ان الطبقة العاملة دائما في طليعة الحركات التحريرية ، بل عليها وحدها تقع مسئولية تحرير ارض الوطن من المستعمر المستبد . ولذلك تجدها في ثورة ۱۹۱۹ كانت وحدها وبمؤازرة الطلبة الاحرار في طليعة النضال الوطني .. »

ولست أعتقد انه كان صحيحا .. لا في عام ۱۹۱۹ ولا في عام ١٩٤٥ ان الطبقة العاملة كان يقع عليها وحدها مسئولية تحرير الوطن .

وانصافا للرجل فاننا نلاحظ ان يختتم مقاله داعيا اصحاب الاعمال الوطنيين « ان يضعوا أيديهم في يد العمال ليحاربوا عدو الوطن .. الاستعمار » (۱) .

واذا كان العمال هم العدو رقم ١ للاستعمار فان « الاستعمار ـ عدو العمال رقم ۱ » هكذا يكتب « اسكندراني » وهو توقيع مستعار نعتقد ان صاحبه « لطفى عزوز » لانه كان هو وأخيه المحور الاساسى لنشاط هذه المجموعة في الاسكندرية وكانا يكتبان ايضا وفي نفس الوقت في « الفجر الجديد » احيانا باسم حقيقي وأحيانا بتوقيع « اسكندراني » ايضا ..

يقول « اسكندراني » ان الاستعمار يسرق الشعب المصرى مرتين :الاولى عند شرائه القطن وغيره من المحصولات بثمن بخس ، والثانية عندما يبيع للمصريين منتجاته بسعر مرتفع ، والاستعمار يرتكب السرقة مرة ثالثة ايضا يتآمر مع الرأسماليين وأصحاب الاطيان المصريين ضد الشعب المصرى ، ولهذا أصبح لا مفر للشعب المصرى من مكافحة الاستعمار البريطاني والاستغلال الرأسمالي والطبقي معا اذا أراد أن ينهض ويتحرر من الويلات التي يعانيها ».

وخاتمة المقال تقول « ان قضية العمال تتلخص في كفاحهم ضد الاستعمار والاستغلال وويلاتهم ، اى كفاحهم من اجل الحياة الحقة ، بل هى قضية الشعب المصرى كله مركزة في برنامج لجنة العمال للتحرير القومى » (۲) .

ولعلنا نعود مرة أخرى لنلمح بصيصا من المبالغة في هذه الجملة الاخيرة ..

وحول نفس القضية يكتب محمد يوسف المدرك مقالا في ذكرى ۱۳ نوفمبر بعنوان « ۱۳ نوفمبر .. يوم الشعب .. ذكرى الثورة .. عيد الجهاد » يقول فيه « لم يلبث الانجليز ان فطنوا لوجود طبقة المستغلين فحالفوهم على الشعب ووالوهم على حساب العمال والفلاحين ليتقاسموا المغانم فيبقى الاستعمار ليحمى المستغلين ويبطش بالعاملين من وراء استعمارهم ،

١ ـ الضمير ، ٧ ـ ١١ ـ ١٩٤٥ .

٢ ـ الضمير ، ٢٤ ـ ١٠ ـ ١٩٤٥ .

ويسمح لهم بكل شيء في مقابل ان ينال كل شيء وهكذا يضيع على العمال كل شيء » .

ثم يختتم المدرك قائلا « فهيا ايها الزملاء .. أيدوا برنامج لجنة العمال للتحرير القومي لنحقق لمصر استقلالها الكامل » (١) .

وثمة مقال آخر يركز على ضرورة ان ينشط العمال من اجل مصالحهم الطبقية وأن يخلصوا أنفسهم وطبقتهم من براثن الاحزاب والطبقات الاستغلالية ..

والمقال بتوقيع محمد السيد يوسف الذى يدعو الشعب فى عنف وصراحه الى الانفضاض حتى عن الوفد دون أن يذكر ذلك صراحة « أيها الشعب انتبه وفق من غفلتك ، وتطلع لمن وكلتهم على قضيتك ، اظهر بعضهم بعضا بأشنع صورة يأباها الضمير الانساني . ظهروا لنا بمظهر نهاشين سياسيين . شاكرين اليوم . ذمامين في الغد . كفى ! ان الشعب اليوم غيره في سنة ١٨٨٢ . كفى ! كفى ان الشعب اليوم رشيد نفسه وقد سحب توكيله ممن فضلوا الشهوات على المصلحة العامة » (٢) .

وتنشر « الضمير » رسالة وجهها يوسف المدرك باعتباره سكرتيرا عاما للجنة العمال للتحرير القومى الى أعضاء مجلس الامن الدولى وتقول الرسالة « أن شعب مصر الذى حارب الاستعمار وقام بثورة ١٩١٩ يطلب من الامم المتحدة وهو واثق بعزمها على توطيد السلام بتأكيد استقلال الشعوب ، أن تضع حدا للاستهتار بكرامته والانتقاص من سيادته ... ان شعب مصر يرى ان معاهدة ١٩٣٦ متناقضة تمام التناقض مع ميثاق الأمم المتحدة ، بل انها مهدمة لمبادئه .. ان ميثاق الأمم المتحدة ، يجبر انجلترا على جلاء جيوشها حالا عن مصر » (٣) .

والهام فى هذه الرسالة هو ان « لجنة العمال للتحرير القومى » قد بدأت بذلك ممارسة دورها كتنظيم سياسى علنى بالفعل .. مشاركة كل الاحزاب السياسية الاخرى التى بادرت فى ذلك الحين بالتوجه الى مجلس الامن الدولى بعرائض وبيانات ورسائل .

وعلى اية حال فان المدرك يلخص وجهة نظر المجموعة كلها تجاه الدور الذى كان يتعين على العمال كطبقة ان يلعبوه فى ميدان السياسة قائلا « لقد تقدم الوعى فى عمال مصر باطراد حتى بلغوا درجة تؤهلهم لقيادة الشعب الكادح ، وهم يسيرون قدما نحو تحقيق أهدافهم بخطوات ثابتة اكسبتهم تقديرا فى الخارج والداخل واصبح من المسلم به أن عمال مصر لا يقلون فى الفهم والادراك عن عمال العالم الناضجين ، ولو انكر هذا ذوو الاغراض الهدامة من الرجعيين » (٤) .

وعندما القى القبض على محررى « الضمير » .. وتوقفت المجلة عن

---

١ — الضمير ، ١٤ — ١١ — ١٩٤٥ .
٢— الضمير ، ١٤ — ١١ — ١٩٤٥ .
٣ — المرجع السابق .
٤ — الضمير ، ٥ — ١٢ — ١٩٤٥ .

الصدور ثم عادت من جديد بعد فترة من الافراج عنهم نشرت افتتاحية أكثر عنفا وصراحة بعنوان « عدنا الى ميـدان النضـال الحر الشريف » لنناهض الاستعمار أيا كان نوعه وفي أي بقعة من بقاع العالم ، لنحقق آمال الوطن ، لتحيا الانسانية في أمن وسلام وسعادة » .

وفي هذه الافتتاحية تفتح « الضمير » النيران بعنف .. فالاستعمار « هو الذى يؤثر بطريق مباشر وغير مباشر على نظامنا الديمقراطى فى الداخل فيقف حجر عثرة فى سبيل نمو الاحزاب والهيئات والجماعات الديمقراطية والشعبية ويؤيد دائما دكتاتورية الرأسمالية لكى لا يصل الشعب الى حـكم نفسه بنفسه لمصـلحته ، بل يعمل الاستعمار دائمـا على تأييد العناصر السياسية التى تربطه بها مصلحة » .

« واليوم وقد عادت وظهرت « الضمير » الى ميدان النضـال حاملة مشعل النور الى الطبقة العاملة والشعب المصرى ، رافعة علم الجهاد المشروع مناهضة الاستعمار والاستغلال أيا كان نوعه وبأية صورة يظهر حتى تتحرر الانسانية من الظلم والاستعباد ، ومن الجوع والحرمان لاتعرف لينا ولامهادنة لان أقـلام محـرريها تكتب للحق والعـدل ومن أجل العـدل والحق ظهـرت » (١) .

ويحسم الامر بشـكل واضح فى افتتاحية بعنوان « الشعب يرسم أهدافه وينظم صفوفه » وقعها « خيرى محمود » وهو اسم مستعار ليوسف درويش ★ نلاحظ فيها تركيزا شديدا على الدور السياسى للعمال كطبقةذات مصالح متميزة .. « لما أجـريت الانتخابات النيابية فى السنة الماضية كان العمال هم وحدهم الذين شرحوا اهداف الشعب وبدأوا فى تنظيم الصـفوف لهذا الغرض . فتقدم مرشحو العمال فى الاسكندرية وشبرا الخيمة مستندين على الكتل العمـالية ولجانها الانتخابية ومستندين على برنامج اعدته تلك اللجان يربط قضية الاستقلال بقضية التحرر من الجوع والحرمان . فطالبوا بالجلاء وباستقلال وادى النيل الكامل وطالبوه برفع مستوى العمال والفلاحين وصغار المنتجين وصغار الموظفين » .

ويركز خيرى محمود (يوسف درويش) على اهمية المنبر السـياسى المستقل للطبقة العاملة « ان العمال لم يقبلوا تدخل السلطات والمتسيسين فى نشاطهم النقابى فحاربوا كل محاولة لوضعهم تحت لواء هيئة من الهيئات السياسية التى لا تكون منهم وتحت مراقبتهم المتواصلة .. فالطبقة العاملة ترفض أن يقودها غيرها فى معركة التحرير القومى ولا تثق الا فى نفسـها لقيادة تلك المعركة . وهى اذ تتقدم لتحمل تلك المسئولية تعرف قدرتهـا وطاقتها ، تعرف انها هى وحدها التى يمكن بصراحتها وشجاعتها أن تنقذ أهل الريف من البؤس والمـرض والفاقة . وتعرف كيف تربـط العمال بالطبقة والمثقفين الاحرار » (٢) .

ويلخص الكاتب الوضع فى ايجاز دقيق التعبير « حركتان تتقابلان ،

---

١ — الضمير ، ٢٤ — ٦ — ١٩٤٦ .

★ أكـد لى يوسـف درويش ذلـك فى مناقشة أجريتها معه فى ١ — ١١ — ١٩٧٣ .

حركة العمال غير واثقة الا فى قيادتهـــا ·· وحـــركة الطلبة غير واثقة فى القيادة القديمة » (١) ·

فاذا انتقلنا الى القضية الاخرى التى التزمت « الضمير » بالدفاع عنها · وهى الحقـــوق والحريات الديمقراطية للعمال وللشـــعب عموما ، نجد أن « الضمير » قد كتبت عديدا من المقالات ·· وتحت عنوان « الغاء الاحـــكام العرفية المؤقتة ، لوضع احكام عرفيه دائمة » كتب طه سعد عثمان يقول «أخيرا تمخضت الحكومة فأعلنت ، الغاء الاحكام العرفية من اليوم الســـابع من شهر أكتوبر ١٩٤٥ ، ويا ليت الحكومة لم تعلن ! ويا ليت الاحكام العرفية ما ألغيت على هذا النحو الشاذ المؤلم ! فقد الغت الحكومة أوامر عسكرية مؤقتة وضعت فى ظروف استثنائية واستبدلتها بقوانين دائمة ، فأصبحنا فى عرف الحقيقة فى أحكام عرفية مستمرة » ·

وختام المقال عنيف « أيها الشعب ·· لقـد سلبت حريتك ، وأصبحت فى أحكام عرفية دائمة وعليك وحدك أن تستخلص تلك الحرية التى ضحيت من أجلها بقوتك وبدماء أبنائك البررة الشهداء ! ان هذا لبدء عهد جديد قد القى على الشـــعب تبعيـــات جديدة توجب عليه أن يتحمل عبء التحرير من الاستعمار والتخلص من الاستغلال والحصول على الحرية الكاملة التى تكفل للانسان المعيشة الهانئة ، فهلم ايها الشعب ولا تهن : فلابد ان يأتى اليوم الذى تصبح فيه مصدر السلطات » (٢) ·

ولقد سعت « الضمير » الى ترسيخ مفهوم جديد للديمقراطية ·· فان تمثيل العمال تمثيلا صحيحا فى مختلف الهيئات هو السبيل لذلك ·· وتحت عنوان « الآن يرتفع الصوت وتتجلى معـــانى الديمقراطية الصحيحة » تنشر « الضمير » المنشور رقم ١ للاتحاد النقابى بدميـــاط والذى يعلن فيه ترشيح مرشحين عماليين فى انتخابات المجلس البلدى (٣) ·

لكن « الضمير » تبالغ فى امكانيات الحريات السياسية فى ظل المجتمع البرجوازى ، وتركز بصورة غير صحيحة على ما يمكن أن يحققه دخول عامل أو عمال فى البرلمان البرجوازى ·

وفى مقال بعنوان « السياسة حق للشعب ، لا وقف على أفراد » كتب طه سعد عثمان « ولأول مرة نزل العمال ومعلمو الالزامى الى الانتخابات فى الدورة الماضية ، ورغم ان اعداء الديمقراطية استطاعوا بمالهم وســـلطانهم واحتيالهم ان يحولوا دون دخول واحد من مرشـــحى الشـــعب جميعهم الى البرلمان · فان ذلك كان كســـبا ديمقراطيا عظيما اذ علم الشـــعب أن فى استطاعته دخول البرلمان للاشراف على شئون الامة وتوجيه سياستها بعد أن أذاع المغرضون ومستغلوا الشعب ان الاغنياء وحدهم المستحقون للنيـــابة

---

١ ــ الضمير ، ٢٤ ــ ١٠ ــ ١٩٤٥ ·
٢ ــ الضمير ، ١٧ ــ ١٠ ــ ١٩٤٥ ·
٣ ــ الضمير ، ٢٤ ــ ١٠ ــ ١٩٤٥ ·

عن الامة »(١) .

وتحث « الضمير » العمال على قيد اسمائهم فى جدول الناخبين قائلة : « ان المنتخب الذى يصوت لنائب هو الذى يعطى لهذا النائب الحق فى أن يكون وزيرا أو رقيبا على الوزير الذى يسير أمور البلاد .. لكى تكون شيئا فى هذه الامة سارع بقيد اسمك فى جدول الانتخاب » (٢) .

والحديث عن الديمقراطية يرتبط أيضا بالمشكلات الاجتماعية ، فهو يرتبط بالتعليم « تهدف سياسة التعليم فى مصر اليوم الى البعد كل البعد عن الديمقراطية الحقيقية فهى ترمى وتعمل قبل كل شيء الى أبعاد ومنع الطبقات الشعبية من أن تنهل من مغارف العلم والعرفان .. هى تريد وتعمل دائما على فصل برنامج التعليم ليجلس أولاد السادة فى مكان لا يجلس فيه عبيدهم . أبناء العمال وأبناء الفلاحين » .

ويختتم محمد ابراهيم مقاله عن « سياسة التعليم والطبقات الشعبية » قائلا « ان الشعب محروم من التعليم . ويرفض كل سياسة يضعها مستغلوه وقاهروه الغرض منها ابقاءه فى مجاهل الظلم والهوان ، هو يريد سياسة ديمقراطية تعليمية يضعها بنفسه تكون أقرب اليه .. هذا هو ما يطلبه الشعب ويلح فى المطالبة به » (٣) .

والديمقراطية ترتبط أيضا بالاصلاح الزراعى ، فتنقل « الضمير » عن مجلة « الغد » الفلسطينية مقالا بعنوان « الاصلاح الزراعى وديمقراطية الحياة الاجتماعية » ويأتى فى ختام هذا المقال « .. وهذا الاصلاح الزراعى فى بعض البلاد الاوربية هو احد نتائج الحرب العالمية الثانية ، التى بها سحقت الشعوب المحبة للحرية الفاشيست المستعبدين . وهو شرط ضرورى لنمو وتوطيد الديمقراطية فى هذه البلدان وهو عامل رئيسى لضمان حرية الشعوب والسلام بين الشعوب » (٤) .

اما فى مجال التوعية بضرورة الوحدة العمالية سواء على النطاق المحلى أو العالمى فيمكن القول بأنها كانت مهمة دائمة ومستمرة تلمحها فى كل عدد من أعداد المجلة .

الحاح مستمر على ضرورة الوحدة .. التوحد فى نقابات وتوحد النقابات فى اتحاد عام .. وتركيز دائم على أهمية هذه الخطوة باعتبارها سلاحا عماليا ماضيا .. وكان ذلك شيئا طبيعيا ومتوقعا من مجلة عمالية .. لكن الجديد فى « الضمير » كان تركيزها على أهمية الوحدة العمالية العالمية .. ومن هنا كان الاهتمام ــ المبالغ فيه أحيانا ــ برحلة المدرك الى باريس لحضور مؤتمر النقابات العالمى وعودته .

فالرحيل والعودة وحفلات استقباله عند عودته والوفود التى ذهبت لاستقباله بالاسكندرية استغرقت كثيرا من صفحات معظم أعداد « الضمير » .

---

١ ــ الضمير ، ٢٨ ــ ١١ ــ ١٩٤٥ .
٢ ــ الضمير ، ٥ ــ ١٢ ــ ١٩٤٥ .
٣ ــ الضمير ، ٢٤ ــ ١٠ ــ ١٩٤٥ .
٤ ــ الضمير ، ١٩ ــ ١٢ ــ ١٩٤٥ .

وكان الاهتمام بالانتماء الى الحركة العالمية مهما الى درجة أن محمود العسكرى كتب مقالا بعنوان « ألفوا الاتحاد العام لنقابات العمال لنسير جنبا الى جنب مع عمال العالم » وفى هذا المقال قال العسكرى ان مؤتمر اتحاد النقابات العالمى « هو أكبر مؤتمر شعبى عقد فى العالم يجمع ممثلى شعوب العالم القوية والضعيفة ، الحرة والمستعمرة ، على قدم المساواة فأوجدوا فى مؤتمرهم هذا حلفا قويا متينا بين شعوب العالم الكادحة البائسة الذين على يديهم وحدهم سيتقرر مصير العالم ، وعلى يديهم وحدهم سترفرف راية السلام فى أنحاء المعمورة » .

وفى ختام مقاله يحث النقابيين المصريين على تأسيس الاتحاد العام قائلا « ألفوا الاتحاد العام يا قادة النقابات المخلصين .. ابعدوا الدخلاء ، وسدوا الثغرة لكى لا يتسللوا منها .. وحدوا النضال الاقتصادى والسياسى لكى نتحرر من الاستعمار والاستغلال ، من الحرمان والجوع » (١) .

وفى مقال بعنوان « توحيد الصفوف » يكتب محمد يوسف المدرك مهاجما العناصر المناهضة لوحدة العمال .. والرجعيين والانتهازيين الذين يحاولون تسلق هذه الوحدة ثم يصيح فى ختام مقاله « أفسحوا الطريق .. فقد أصبحت الطبقة العاملة المصرية جزءا من الطبقة العاملة العالمية ، والطبقة العاملة العالمية ترى من حقها ان تسير العالم الذى انقذته من براثن الفاشية . وهى بالذات ستصون العالم وجميع البلاد من آثار الرجعية المتعفنة والفاشية الكامنة فى أى مظهر ومهما تلونت حتى ولو تلونت بالاصلاحية مدعية انها (اشتراكية) (٢) .

وبالمناسبة فقد كانت المرة الاولى والوحيدة التى ورد فيها ذكر الاشتراكية فى مجلة « الضمير » .

ويمكن القول ان « الضمير » قد لعبت دورا طليعيا هاما فى ابراز وحدة الطليعة العمالية العربية والاهتمام بابراز مظاهر التضامن بين العمال والنقابيين العرب .. وكثيرا ما فتحت صفحاتها لنقابيين عرب مثل ملخص عمرو وبولس فرج وهما من قادة النقابات الفلسطينية (٣) ومصطفى العريس من قادة العمال اللبنانيين .. كذلك فقد فتحت « الضمير » صفحاتها لنشر العديد من بيانات ونداءات عصبة التحرر الوطنى فى فلسطين (٤) .

ولعل « الضمير » كانت أول منبر عمالى يسارى طالب بتأسيس اتحاد للعمال العرب ففى وصفها لحفل الاستقبال الذى أقامه عمال الاسكندرية للوفود العربية فى مؤتمر باريس اكدت « الضمير » ان العمال الذين

---

١ — الضمير ، ٢٤ — ١٠ — ١٩٤٥ .
٢ — الضمير ، ١٩ — ١٢ — ١٩٤٥ .
٣ — الضمير ، ٢٤ — ١٠ — ١٩٤٥ .
٤ — الضمير ، ٢٤ — ١٠ — ١٩٤٥ ، ٢٨ — ١١ — ١٩٤٥ .

حضروا الاحتفال قد طالبوا « بوجوب تأليف اتحاد عام لعمـــال الشرق العـــربى » (١) ٠

وفى وصفها لحفل نقابات عمال القاهرة لاستقبال الزميل المدرك عادت الى ابراز ان « الخطباء يطلبون تأليف الاتحاد المصرى للنقابات والاتحـــاد العربى للعمال العرب » (٢) ٠

لكن أبرز ما اهتمت به « الضمير » هو القضية الفلسطينية وقد استهل هذا الاهتمام خيرى محمود (يوسف درويش) فى مقال بعنوان « لن تمروا » جاء فيه :

« لن تمروا ٠٠ هى الكلمة التى صاح بها الجمهوريون الاسبانيون عام ١٩١٦ ٠٠ يوم أن هجمت عليهم الفاشية العالمية بدباباتها واسلحتها وأموالها النازية والفاشية ٠٠ وهى الكلمة التى تصيح بها اليوم شـــعوب البـــلاد العربية فى وجه الصهيونية » ٠

ويمضى المقال قائـــلا « ان الفاشية والصهيونية من طينة واحدة ٠٠ الاستعمار والاستغلال الجشع .. فالفاشية أداة الرأسمالية المتعفنة لجأت للتدخل والارهاب لتستمر فى استغلال الشعب الكادح ، والصـــهيونية أداة الاستعمارية العالمية لجأت للشعوب العـــربية ٠ ان الصهيونية تجد تربة صالحة لانتشار مبادئها بين اليهود فى البلاد التى ساد فيها حكم الارهاب٠٠ فهى والفاشية مرتبطين ارتباطا وثيقا لا يحله الا النضـــال ضـــد أسباب الاضطهاد والتعسف والدفاع عن الحريات الديمقراطية » ٠

« ان الصهيونية لا تحل بالمرة مشكلة ستة عشر مليونا من اليهود ، بل ان المشكلة اليهودية ليست سوى جزء لا يتجزأ من نضـــال الشعوب كافة على اختلاف أديانها فى سبيل حريتها وديمقراطيتها » .

ويمضى المقال قائلا « ان الشعوب العربية وعلى رأسها شعب فلسطين عازمة باتحادها وتنظيم صـــفوفها واستنادها عـــلى الشـــعوب الديمقراطية الاخرى أن توقف خطر الصهيونية الداهم .

بل ان المقال يلوم جامعة الدول العربية على تهاونها فى مجابهة الخطر الصهيونى قائلا « واذا كانت جامعة الدول العربية لم تتخذ الموقف الحازم القاطع الذى كان يتطلب منها فى هذا الامر فان الشعوب العربية ممثلة فى وفود العمال العرب فى مؤتمر نقابات العمال العالمى بباريس أمكنها باتفاقها أن تشعر عمال العالم بخطر الصهيونية على الانسانية .. وأمكنها أن تمنـــع دخول مندوب العمال الصهيونيين فى لجنة الاتحاد التنفيذية » (٣) ٠

ولم يكن هذا المقال سوى مجرد بداية ، فان معظم أعداد « الضـــمير » زاخرة بالهجوم على الصهيونية والدفاع عن حقـــوق الشـــعب العـــربى الفلســـطينى ٠

وفى حديث مع ممثلى النقابات الفلسطينيين فى مؤتمر باريس ملخص عمرو وبولس فرح أكد المندوبان « أن أبرز شىء ظهر فى هذا المؤتمـــر هو

---

١ ـــ الضمير ، ١٧ ـــ ١١ ـــ ١٩٤٥ ٠

٢ ـــ المرجع السابق ٠

٣ ـــ الضمير ، ١٧ ـــ ١٠ ـــ ١٩٤٥ ٠

ما أحرزته البلاد العربية والانسانية جمعاء ، بانتصار العمال العرب على الصهيونية » (١) ٠

وفى مقال كتبه محمود العسكرى بعنوان « لا عنصرية بين العمال » نجد هجوما شديدا على الصهيونية باعتبارها « الخطر المباشر الذى يهدد الشعب الكادح فى شقيقتنا فلسطين ٠ بل وتهدد حياة الشعوب الكادحة فى الشرق الاوسط بصفة خاصة وشعوب العالم بصفة عامة ، بل وتهدد قضيه السلام العالمى ٠٠ لان الصهيونية هى الرأسمالية اليهوديه الاستعمارية المتعفنه ، التى تضلل الشعب الاسرائيلى الكادح من عمال صناعيين وزراعيين لتستغلهم استغلالا بشعا فى جوهرة مزركشا فى مظهره ٠٠ تضع لهم السم فى العسل باثارة النعرة العنصرية المضطهدة ، لتستغلهم هذا الاستغلال القذر ، وتعمى أبصارهم عن الحقيقة لمصلحة حفنة من الراسماليين الصهيونيين المستبدين » (٢) ٠

وعديد من المقالات الاخرى ، بالاضافة الى عديد من بيانات عصبة التحرير الوطنى فى فلسطين والى حشد العديد من الاخبار عن النضال العربى ضد الصهيونية ٠٠ ففى صفحه اخبارية واحدة من أحد اعداد « الضمير » يمكننا ان نحصى ثمانية أخبار تشير الى نضالات مصريه وعربيه ضد الحركة الصهيونية مثل « قرر زعماء سوريا ولبنان القضاء على الحركه الصهيونية السرية » و٠٠ « أصدرت لجنة مكافحة الصهيونية فى اتحاد الشباب العربى نشرة كشفت بها عن الاساليب التى يأتيها اليهود لجعل فلسطين وطنا لهم ومزاحمة العرب فيها والحلول التى يجب اتباعها لمحاربه هذه الاساليب حفظا لحقوق العرب فى وطنهم الشرعى » (٣) ٠

فاذا أضفنا الى ان هذا العدد ذاته يتضمن الحديث الذى أجرى مع ممثلى عمال فلسطين ملخص عمرو وبولس فرح وأيضا نص « بيان عصبه التحرير الوطنى الى الشعب العربى الفلسطينى » امكننا أن ندرك الى أى مدى كانت « الضمير » تولى هذه القضية اهتمامها ٠

والحقيقة ان اليسار المصرى عامة كان مبادرا بالكفاح ضد الخطر الصهيونى مبادرة مكنت يوسف درويش من ان يستحث — فى مقال سبقت الاشارة اليه — جامعة الدول العربية كى تبذل جهدا حقيقيا فى مكافحة الخطر الصهيونى ٠

* * *

وواصلت « الضمير » مسيرتها ٠٠ ومع تصاعد حملة الارهاب أصبحت المصادرة — والحبس والتغريم نغمة مألوفة فى التعامل معها — ثم توقفت مع غيرها من الصحف التى ألغى الطاغية صدقى تراخيصها فى ١١ يوليو ١٩٤٦ ٠

---

١ — الضمير ، ٢٤ — ١٠ — ١٩٤٥ ٠
٢ — الضمير ، ١٤ — ١١ — ١٩٤٥ ٠
٣ — الضمير ، ١٤ — ١١ — ١٩٤٥ ٠

كانت حملة الارهاب العنيف التى شنها الطاغية صدقى فى ١١ يوليو ١٩٤٦ قد فشلت برغم انها كانت أعنف حملة شنتها الرجعية المصرية الحاكمة ضد القوى الوطنية واليسارية ٠٠ فقد أغلقت كل النوادى التقدمية وأغلقت كل الصـــحف المعارضة ، الوفد المصرى ـ البعث ـ الطليعة ـ أم درمان ـ الضمير ـ الفجر الجديد ـ الجبهة ـ اليراع ٠٠ وغلف ذلك كله فى حمــلة دعائية عن القبض على أكبر قضية شيوعية ٠

لكن مصر ما لبثت ان استعادت أنفاسها سريعا ، وعادت تشن هجومها المضاد ٠٠ وأفرج القضاء عن المتهمين ٠

وخرجت « صوت الامة » لســـان حال الوفد المصرى بموضوع استغرق كل صفحتها الاولى كان عنوانه « خفايا قضية الشيوعية الكبرى ٠٠ قصص لم يسبق لها مثيل فى التاريخ » اتهمت فيه صـــدقى بالتلفيق والتضليل والاجرام فى معاملة المقبوض عليهم ٠٠ بل انها اتهمت حملته بأنها « حمــله صليبية هتلرية » ٠٠ « ولم يفت صدقى باشا أيضا ان يطبق عمليا ما تعلمه عن استاذه هتلر فكما كان هتلر يحارب خصـــومه الوطنيين الديمقراطيين تحت ستار محاربة الشيوعية والشيوعيين فقد فعل كذلك صـدقى باشـا بتجريده « حمــلة صليبية » عـلى الكثيرين من الذين يعـــاديهم لوطنيتهم وديمقراطيتهم فأتهمتهم بالتآمر على قلب نظـــام الهيأة الاجتماعية ، وتغيير المبادىء الدستورية الاساسية بالعنف ٠ وجند رجال الحكومة وكبار المسئولين فيها للقيام بالحملة الصليبية الهتلرية » (١) ٠

٠٠ كانت مصر تستعيد أنفاسها سريعا وتحركت الطبقة العاملة فى اضرابات واسعة ، اضرب عمال شركة نسيج الفيوم بشبرا الخيمة واعتصموا بالمصنع واصطدم بهم البوليس واقتحم المصنع وطردهم عنوة ٠٠ وأضرب عمال شركة باتا ٠٠ وأضرب عمـــال شركة سباهى للنسيج ٠٠ وتصاعدت حركة الاضرابات العمالية « تصاعدا غير مسبوق » (٢) ٠

---

١ ـ صوت الامة ٠ ١٢ ـ ١ ـ ١٩٤٧٠

٢ ـ طارق البشرى ـ مقال ـ مصر والثورة الاجتماعية ١٩٤٧ ـ ١٩٤٨ ـ مجلة الكاتب ـ يناير سنة ١٩٦٨ ٠

وكأن اهم هذه الاضرابات اضراب عمال شركة المحلة الكبرى (٢٦٫٠٠٠ عامل) واصطدمت جموع العمال المضربين بالبوليس وقوات الجيش التى احتلت المدينة (١) ٠

٠٠٠ كانت مصر تستعيد أنفاسها ، وتشن هجومها المضاد بأعنف وأشد مما تصور الرجعيون ، وفى هذا الخضم من الاحداث ، بل وتتويجا لها قرر تنظيم « الشرارة » (ايسكرا) ان يصدر « الجماهير » سلاحا فى المعركة ، وتحديا لحملة ارهاب التسيوعيين ، وبديلا عن الاندية والمنابر العلنية ومختلف أوجه النشاط العلنى التى صادرها صدقى ٠٠

★★★

وقد تطلبت العلاقة بين « الجماهير » كمجلة علنية اسبوعية تصدر بشكل مباشر عن قيادة تنظيم « ايسكرا » وبين التنظيم نفسه نوعا من الترتيب الخاص ، حرصت قيادة « ايسكرا» على رسم خطوطه بشكل يكفل سيطرة كاملة من جانب التنظيم على المجلة وسياستها ويكفل فى نفس الوقت امن التنظيم ، بحيث لا تصبح « الجماهير » مصيدة لاعضائه ٠٠

وقد تكونت قيادة سياسة للجماهير مكونة من خمسة كوادر ابسكرا شهدى عطية الشافعى ـ عبد المعبود الجبيلى ـ سيدنى سلامون ـ محمد سيد احمد ـ ايلى ميزان ٠

وكان شهدى مسئولا سياسيا للمجلة ٠ وفى نفس الوقت استدعى عدد من كوادر « ايسكرا» للمشاركة فى التحرير والتوزيع والاعمال الادارية الاخرى ٠٠

فتولى « نقولا ورد » سكرتارية التحرير ٠ بينما تولت مختلف مكاتب التنظيم الاشراف من خلال ممثلين لها على تحرير صفحات كل فى اختصاصه ٠٠

فدائرة الطلبة كانت تشرف على تحرير صفحة الطلبة والموضوعات الخاصة بالطلاب وتقوم بتحريرها منخلال ثلاثة مندوبين أساسيين (عبدالمنعم الغزالى ـ جمال شلبى ـ سعد زهران) وكذلك دائرة العمال ودائرة النساء ٠

كذلك كانت خلايا التنظيم تقوم بتوزيع الجزء الاكبر من اعداد المجلة بينما يطرح جانب قليل من النسخ لدى بائعى الصحف ٠٠ وهكذا فان « ايسكرا » قد اقامت شبكة اتصال خاصة تقوم بتوصيل « الجماهير » الى القاعدة ومنها الى القارىء ٠

وكان يشرف على عملية التوزيع فى القاهرة ابراهيم المناسترلى وفى بحرى عبد المنعم الغزالى ٠

وتغطية لابواب المجلة المختلفة تكونت مكاتب خاصة ، فقد تكون مثلا مكتب للشئون الخارجية يتولى دراسة قضايا السياسة الخارجية والاشراف

---

١ ـ المصرى ـ الفترة من ٤ الى ٢٤ ـ ٩ ١٩٤٧ ٠

على تحرير المواد الخاصة بها فى المجلة وضم هذا المكتب : محمد سيد أحمد ـ أنور عبد الملك ـ روبير ستون ـ ابراهيم المناسترلى ـ نقولا ورد » ٠

وهكذا تكونت داخل «الجماهير » كمنبرعلنى شبكة من الاجهزة التنظيمية ذات الاختصاصات المختلفة ٠٠ وكان لا بد من ايجاد شكل للربط بينها ومنع اى تداخل فى اختصاصاتها ، وكذلكمنع اية علاقات غيرتنظيمية غير سليمة ٠٠ وهكذا تكونت لجنة خاصة للتنسيق بين عمل هذه المجموعات المختلفة ومنع التداخل بينها ومنع العلافات والاتصالات الجانبية وقد أسميت « لجنة تنظيم اللجان » وكان مسئولها سيدنى سلامون ٠

★★★

ومن ابريل حتى مايو ظلت « الجماهير » مجلة لايسكرا ، وفى يونيو ـ يوليو ٤٧ تمت الوحدة بين الحركة المصرية للتحرر الوطنى (ح ٠ م) وبين تنظيم الشرارة (ايسكرا) وتأسست منظمة «الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى» (حدتو) وأصبحت « الجماهير » منبرا سياسيا لهذا التنظيم الجديد ٠

وبطبيعة الحال تغير المكتب السياسى المسئول عن المجلة بأن أبعد عنه اثنان احدهما محمد سيد احمد وأضيف اليه اثنان من ح ٠ م هما كمال شعبان وعبده دهب ٠

ويروى عبده دهب قصة انضمامه «للجماهير» فيقول « الجماهير كانت أصلا مجلة ايسكرا قبل ان نتحد معهم ، وعندما اتحدنا فى الحركة الديمقراطية كان الاتفاق ان يكون المسئول السياسى والتنظيمى فى جميع المستويات من ح ٠ م ومسئول الدعاية ومسئول العمل الجماهيرى من ايسكرا ٠

ونتيجة للوحدة صار ضمى الى « الجماهير » كمسئول سياسى لكن شهدى عطية المسئول السياسى للمجلة ايام ايسكرا لم يقبل هذا الوضع ٠ وبعد صراع اتفق على ان تشرف ل ٠ م مباشرة على المجلة » (١) ٠

وثمة رواية اخرى مكملة لهذه الواقعة وهى انه فى أعقاب هذا الخلاف واسناد الاشراف السياسى الى اللجنة المركزية ٠٠ تولى كمال شعبان المسئولية التنظيمية فى المجلة وتولى عبده دهب مسئولية التوزيع ★

وسرعان ما تغير شكل المجلة وأسلوب تحريرها ، وكان أهم تغيير هو حرص « الجماهير » على ابراز نفسها كمنبر علنى لتنظيم شيوعى هو حدتو ٠

ولم يمر ذلك التغيير بسهولة ، فقد كان تعبيرا عن صراع مرير داخل القيادة الموحدة ٠

---

١ ـ راجع النص الكامل لمحضر النقاش مع عبده دهب فى ـ د ٠ رفعت السعيد ٠ اليسار المصرى ١٩٢٥ ـ ١٩٤٠ ، المرجع السابق ص ٢٩٧ ٠

★ ابراهيم المناسترلى ٠

مجموعة « ح · م » ترى انه يتعين فرص علنية العمل السياسى الحزبى من خلال تأكيد مشروعيته رويدا رويدا ، وفرض هذه المشروعية خطوة خطوة ·

بينما مجموعة « ايسكرا » ترى ان تستمر «الجماهير» منبر سياسى عام وان يظل النشاط الديمقراطى مستقلا تماما ومتباعدا عن العمل الحزبى واذا كان لا بد من اقامة خيوط بين العمل الحزبى السرى والعمل الديمقراطى العلنى فانه يتعين ان تكون خيوطا غير مرئية وأن تتم العلاقة فى سرية مطلقة ··

وانتصر تيار « ح · م » · وبعد ان كانت « الجماهير » كمنبر لايسكرا لا يظهر فيها اى اسم علنى ســـوى اسم محمود النبوى رئيس التحرير اما بقية الاسماء فكلها مستعارة لاحظنا ان العدد ١٦ الصادر فى ٢١ يوليـــو ١٩٤٧ يتضمن نص بيان صادر باسم « الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى » وقد قالت « الجماهير » نبريرا لنشرها لبيان صادر عن تنظيم شيوعى سرى « جاءنا البيان التالى نقتطف منه ما يلى » وفى العدد التالى يظهر اول توقيـــع علنى للمسئول السياسى عن المجلة « شهدى عطية الشـــافعى » حيث كتب افتتاحية العدد بعنوان «اننا لا نريد اى استعمار انجليزيا كان ام امريكيا »(١)·

ثم يوالى « شهدى » توقيع افتتاحية عددين تاليين العدد ١٨ وعنوان افتتاحيته « الشعب يئن من الغلاء واقلية تتمتع بالنايلون والباكار » (٢) وافتتاحية العدد ١٩ « ايها الشعب عبر عن سخطك على الاستعمار » (٣) ·

ونلاحظ ان نفس العدد يتضمن بيانا صادرا عن الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى بعنوان « يا عمال الشحن بمينائى بور سعيد والسويس كافحوا فى سبيل اندونيسيا » ·

وبعد ذلك اخذ «محمود النبوى» يوقع الافتتاحية من جديد حتى وقعت تغييرات اساسية فى « الجماهير » نتجت عن مشاكل تنظيمية داخل حدتو ، وذلك عندما تزعم «شهدى» وهو المسئول السياسى للمجلة ما أسمى «بالتكتل التورى» وانضم اليه انور عبد الملك وسعد زهران وحسين الغمرى وآخرون وتطلب الامر شل يد «التكتل» عن المنبر العلنى ·· وهكذا كانت آخر افتتاحية كتبها شهدى بعنوان « كوليرا سياسية » (٤) وقد وقعها بالاسم الذى اعتـــاد التوقيع به فى الاعداد الاولى للجماهير وهو « حمدى » وتولى المسئولية السياسية عن « الجماهير » من بعده شخص آخر سنرمز له بالاحرف « ع · آ » (فقد أعرب عن رغبته فى ألا يذكر اسمه) ·

على اية حال فقد وقع هذا المسئول الجديد ما كتبه من افتتاحيات باسم

---

١ — الجماهير ، ٢٨ — ٧ — ١٩٤٧ ·
٢ — الجماهير ، ٤ — ٨ — ١٩٤٧ ·
٣ — الجماهير ، ١١ — ٨ — ١٩٤٧ ·
٤ — الجماهير ، ٢٨ — ٩ — ١٩٤٧ ·

« محمد عباس » وهو على وجه اليقين اسم مستعار ، وذلك حتى لا يظن بعض الباحثين ان كاتب هذه الافتتاحيات هو محمد عباس سيد أحمد الذى كان فى البداية احد مسئولى الجماهير ، ثم ترك العمل فيها بعد الوحدة مع « ح ٠ م » لكن المهم هو ان « ع ٠ ٩ » هذا لم يكن جديدا عن الجماهير بل انه شارك فيها منذ بدايتها مسئولا لمكتب العمال بها ٠ ★ ٠

★★★

وفى العدد الاول اعلنت « الجماهير » ٠٠ ان عنوان مقرها هو ١٦ شارع الملكة فريدة لكنها فى العدد الثانى مباشرة تعلن ان عنوان مقرها ٣٣ شارع الملكة نازلى وهى شقة قدمها احد اعضاء التنظيم ٠٠ واستمرت « الجماهير » بهذا المقر حتى لاحظنا فى العدد ١٢ بروازا يقول، «مطلوب شقة للايجار فى حدود خمسة جنيهات » (١) ٠

وابتداء من العـــدد ١٥ استقرت « الجماهير » فى مقـــرها الجديد ٢٢ شارع الجامع الاسماعيلى ٠ لكن الجديد والملفت للنظر هنـــا هو ان « الجماهير » بدأت تتخذ لنفسها مقارا ومكاتب فى الاقاليم ٠

فبعد الوحدة مع ح ٠ م قدمت منطقة ح ٠ م فى الاسكندرية مقرا ثابتـــا « للجماهير » ، يعلن عنه فى العدد ١٨ « مكتب الجماهير بالاسكندرية ٠ افتتحت مجلة « الجماهير » مكتبها بالاسكندرية داعية اهالى الاسكندرية الى ارســـال شكاواهم ومقترحاتهم اليه » ٠

ثم ما لبثت « الجماهير » ان اعلنت عن افتتاح مقر جـــديد لها فى مدينة بور سعيد وذلك فى العدد ٢٢ « الى اهالى بور سعيد ــ ارسلوا طلباتكم ومقالاتكم الى وكيل مكتب « الجماهير » الاستاذ حسن محمد الغضبان ــ ادارة « الجماهير» ببور سعيد » (٢) ٠

وفى عدد تال تذكر « الجماهير » قراءها فى بور سعيد بأن « مكتب ادارة مجلة « الجماهير » ــ الاستاذ محمد حسن الغضبان بشارعى الحميدى والزقازيق قسم ثان تليفون ٢٢٢٦ » (٣) ٠

★ يمكن القول بأن معظم المعلومات السابقة مستقاة من مناقشات متعددة مع محمـــد سيد احمد ــ ابراهيم المناســـترلى ــ عبده‌دهب ــ عبـــد المنعم الغزالى ، وقد توافقت رواياتهم للاحداث وكملت بعضها البعض ،وقد اسقطت من هـــذه الروايات ما لم تجمع عليه الروايات المختلفة ٠

١ ــ الجماهير ، ٢٣ ــ ٦ ــ ١٩٤٧ ٠
٢ ــ الجماهير ، ٦ ــ ٩ ــ ١٩٤٧ ٠
٣ ــ الجماهر ، ١٤ ــ ٩ ــ ١٩٤٧ ٠

وفى مدن أخرى ايضاً ٠٠ « الجماهير في بسيون ـ تباع مجلة الجماهير بمحل الاستاذ جندى فهمى التاجر بجوار محطة بسيون » (١) ٠

وفى محاولة لمزيد من الالتصاق بالعمال تعلن « الجماهير » عن تكوين مكتب قانونى ، يقدم استشارات قانونية مجانية للعمال ٠٠ لا تلبث « الجماهير » ان تمد نشاط هذا المكتب ليخدم مختلف الفئات مجانا ٠

وتنشر « جاءنا من الريف خطابات تتهمنا بالتحيز للعمال وحدهم واننا قد قصرنا المكتب القانونى عليهم دون بقية الطوائف ٠ وها نحن نعلن ان مكتبنا القانونى مستعد ان يقدم خدماته لزملائنا من جميع الطوائف والاستشارات كل يوم بين الساعة الخامسة والسابعة مساء ما عدا يوم الجمعة » (٢) ٠

وفى عدد آخر ٠٠ « مكتب الجماهير » القانونى فى خدمة الشعب ٠ الى العامل فى مصنعه ٠ الى الفلاح فى حقله ٠ الى الطالب فى مدرسته ٠ الى جميع المواطنين الذين فى حاجة الى مساعدة قانونية ان مكتب الجماهير القانونى فى خدمتكم ٠٠ » (٣) ٠

ولم يكن ذلك كله الا تعبيرا عن تحول سياسى طرا على موقف « الجماهير » وهو تعبير عن نجاح تيار ح ٠ م فى فرض فكرته حول ضرورة التحول « بالجماهير » الى وجه علنى للتنظيم السرى فى محاولة لفرض علنية او بالدقة مشروعية العمل الحزبى ذاته ٠٠ وقد تجلى هذا التحول فى عديد من المظاهر ابتداء من نشر بيانات حدتو ٠٠ الى افتتاح مقار « للجماهير » فى عدد من المدن تحولت نتيجة لاسلوب ح ٠ م فى العمل الى مقار للتنظيم نفسه ٠٠ ثم تجلى ايضا فى بدء ظهور الاسماء الحقيقية للكتاب ٠

وبعد ان كانت « الجماهير » لا تحمل اسما علنيا واحدا هو محمود النبوى رئيس التحرير بينما توقع باقى المقالات بأسماء مستعارة فاننا نلاحظ ان كثيرا من الاسماء بدأت تبرز وخصوصا اسما كوادر ح ٠ م ٠

واذا اخذنا احد الاعداد كمثال نجد ان العدد ٢٥ يتضمن عديدا من الاسماء العلنية فنجد المقالات التالية « النوبيون يشردهم الاستعمار ـ فيكافحون لتحسين احوالهم ـ زكى مراد » « شاعر مداح يهاجم الشعب ـ ابو الحسن الغنيمى » « مأساة خلقية ـ حسن محمد الغضبان » وذلك بالاضافة الى عدد من الاخبار والمقالات ، والشكاوى العمالية بتوقيع ابراهيم نصير ـ محمود النجار ـ محمود الصاوى ـ محمد محرات وكلها اسماء حقيقية لكوادر نقابية (٤) ٠

وهكذا نلمح تحولا حقيقيا فى مسلك « الجماهير » قد يختلف البعض فى تقييمه وفى تقييم نتائجه ، لكننا نثبته هنا كواقعة تاريخية ٠٠ وهى ان

---

١ ـ الجماهير ، ٦ ـ ٩ ـ ١٩٤٧ ٠
٢ ـ الجماهير ، ٢٨ ـ ٩ ـ ١٩٤٧ ٠
٣ ـ الجماهير ، ٥ ـ ١٠ ـ ١٩٤٧ ٠
٤ ـ الجماهير ، ٢٨ ـ ٩ ـ ١٩٤٧ ٠

وحدة « ح ٠ م » مع « ايسكرا » قد أدت الى فرض مزيد من العلنية على منهج « الجماهير » ٠٠ كذلك فانها قد حولت « الجماهير » لتصبح بالفعل منبرا يعلن عن نفسه كلسان حال لتنظيم شيوعي هو « حدتو» ٠

بل ان « الجماهير » قد بدأت تتصرف فى بعض الاحيان وكأنها منبر حزبي بالفعل ٠٠ ولعل خير مثال على ذلك هو محاولتها المشاركة فى الحملة الدعائية التى نظمت للقضية المصيرية في نيويورك والتى شارك فيها ممثلون لاحزاب عديدة ٠٠

وقد حاولت « الجماهير » ايفاد رئيس تحريرها محمود النبوى ٠٠ لكنه منع من السفر بعد ان سمح له بالصعود الى المركب ٠٠ وتنشر « الجماهير » الخبر بعنوان « الحكومة تحول بين « الجماهير » وعرضها القضية فى النطاق الدولى فتمنع بالقوة رئيس التحرير من السفر الى الخارج » ٠

وتشير هى هذا الخبر الى ان البوليس قد منع النبوى من السفر بالقوة بالرغم من استيفائه كل الاوراق والوثائق اللازمة وأن البوليس ابلغه « ان أوامر وزارة الداخلية وادارة الامن العام بأن يمنعه من السفر بالقوة » ٠

وقدم محمود النبوى شكوى الى النيابة ورفع دعوى مستعجلة ضد وزارة الداخلية وأبرق بشكواه الى نقابة المحامين ونقابه الصحفيين ولجنة حقوق الانسان العالمية ورابطة المحامين فى العالم والى الاتحاد العالمى للصحفيين » (١) ٠

لكن « الجماهير » لم تيأس وقررت ان توفد مندوبا مدعوما بحملة جماهيرية فنشرت « مانشيت » ٠٠ « الجماهير تقرر ايفاد مندوب الى مجلس الامن » وعنوان الخبر « الجماهير تخرج للكفاح فى النطاق الدولى » ثم تقول « ظهر العدد الاول من « الجماهير » وعلى صفحته الاولى كتبنا ليست مجرد اسم يوضع فى صدر صحيفة انما هى اعمق من هذا بكثير ، وهى صوت الملايين من العمال والفلاحين والطلبة والمثقفين الوطنيين تناضل استعمارا بغيضا وتنشد استقلالا كريما ٠٠ وصدر بعد العدد الأول خمسة عشر عددا تنبىء كلها بصدق كفاحنا وصلابة نضالنا ٠٠٠ واننا وان قصرنا دعايتنا وكفاحنا الوطنى على النطاق الداخلى حتى الان الا ان الظروف التاريخية التى تمر بها قضية الوادى تحتم كذلك القيام بواجبنا نحو التحرر الوطنى لسكان وادى النيل فى النطاق الدولى ، اننا نذهب الى مجلس الامن لنقوم بواجبنا المقدس نحو القضية واضعين نصب أعيننا أنمصالح الوطن وأهدافه فوق كل اعتبار ٠٠ لذلك قررت أسرة « الجماهير » رغم ما تعانيه من عسر مالى ايفاد الزميل محمد عبد المعبود الجبيلى مندوبا عنها الى نيويورك للقيام بالدعاية للقضية الوطنية اثناء عرضها على مجلس الامن ، وليسمع العالم صوت « الجماهير » مدويا عاليا ، مطالبا بالجلاء العاجل الناجز الشامل عن وادى النيل دون قيد او شرط ، دون معاهدة او تحالف ، ٠٠ ونحن اذ

---

١ ــ الجماهير ، ٧ ــ ٧ ــ ١٩٤٧ ٠

نقرر هذا نتجه الى الشعب المصرى فاتحين اكتتابا شعبيا عاما نسد به جزءا من تكاليف هذه المهمة الوطنية » (١) ٠

وفى نفس العدد تنشر « الجماهير » نص خطاب وجهه محمد عبد المعبود الجبيلى الى « حضرة صاحب الدولة رئيس مجلس الوزراء ووزير الداخلية » جاء فيه « لقد شرفتنى مجلة « الجماهير » الوطنية المناضلة ضد الاستعمار بانتدابى للقيام بالدعاية للقضية الوطنية فى النطاق الدولى اثناء عرض القضية على مجلس الامن ٠ لذا فاننى أطلب من دولتكم بوصفكم رئيسا للوزراء ان تسهلوا لى اجراءات السفر الرسمية وأن تتدخلوا لدى وزارة المالية لتسهيل حصولى على الدولارات اللازمة نظير نقود مصرية حتى استطيع اداء واجبى الوطنى فى هذه المرحلة الحاسمة من تاريخ كفاحنا الوطنى ٠ ونظرا لان ادارة الامن العام قد أرسلت كشفا بأسماء عدد كبير من المعارضين الوطنيين الى بوليس الموانىء والمطارات ليمنعهم من السفر الى الخارج ٠٠ ونظرا لانه بلغنى ان اسمى من بين هؤلاء الممنوعين من السفر فاننى أطلب من دولتكم بصفتكم وزيرا للداخلية التدخل لوقف هذا العدوان على القانون والدستور ٠ فحرمانى من السفر الى امريكا فى الظروف الحاضرة فضلا عن انه اعتداء على الحريات التى يكفلها لى الدستور ، فانه اعتداء على حقى وواجبى المقدس فى الدعاية لقضية بلادى والدفاع عنها أمام الرأى العام العالمى » ٠

لكن الامر لم يكن بهذه السهولة ، فاذا كانت « الجماهير » قد نجحت فى احراج الوزارة ووضعها فى مركز يشل يدها عن منع مندوبها من السفر ٠٠ فان هناك السفارة الامريكية التى رفضت منح مندوب « الجماهير » تأشيرة دخول الى الولايات المتحدة ٠٠ وتشن « الجماهير » حملة عنيفة على السفارة الامريكية قائلة « لم يكن الزميل عبد المعبود ليريد السفر الى امريكا حبا فيها وانما لان مجلس الامن ـ لسوء الحظ ـ موجودفى امريكا، والسفارة الامريكية ليس من حقها مطلقا أن تمنع وطنيا مصريا من الدعاية للقضية الوطنية بالصورة التى تخدم مصر ٠ ان حرمان السفارة لمواطن مصرى فى الوقت الذى تمنح فيه الآخرين أمثال أحمد حسين ومصطفى مؤمن لدليل قاطع على أن أمريكا تريد أن تكون الدعاية للقضية المصرية بالطريقة التى لا تفضح تابعها الاستعمار البريطانى ٠٠ نحن نقول لامريكا اليوم ، انظرى ما مصير هتلر ـ وهكذا سيكون مصير كل من يفرض على الشعوب استبداده وتحكمه وسيادته ويحاول التدخل فى حرياتها » (٢) ٠

وما يعنينا هنا هو ان محاولة « الجماهير » ايفاد مندوب لها الى مجلس الامن قد خرجت بها ـ امام الجميع ـ عن ان تكون مجرد مجلة يسارية ، وأظهرتها كلسان حال لمنبر سياسى منظم يريد ان يقول كلمته امام الرأى العام العالمى خلال عرض القضية أمام مجلس الامن مثلما حاولت بقية الاحزاب

---

١ ـ الجماهير ، ٢١ ـ ٧ ـ ١٩٤٧ ٠
٢ ـ الجماهير ، ٤ ـ ٨ ـ ١٩٤٧ ٠

السياسية الاخرى ان تفعل ٠

★ ★ ★

وقبل ان تصدر « الجماهير » نظمت ايسكرا حملة اكتتاب ناجحة فى صفوف اعضاء التنظيم واصدقائه ويقال انه قد تم جمع مبلغ اربعة آلاف جنيه ★ وهو مبلغ كبير بغير شك ٠ وظلت « الجماهير » تداوم على جمع تبرعات من اصدقائها وقرائها ٠٠ وكانت فى دعوتها هذه تسلك منهجا سياسيا وتمويليا معا بمعنى انها كانت تحقق هدفين الاول سياسى يتحقق من خلال حشد اكبر تأييد شعبى للجماهير ٠٠ والثانى ويتمثل فى جمع اموال كانت ضرورية بالفعل لاصدار الاعداد التالية ٠

وتزخر صفحات « الجماهير » بقوائم عديدة للمتبرعين أهم ما يلفت النظر فيها هو الاشكال التنظيمية الواسعة ذات الطابع الجبهوى تكونت حول « الجماهير » مثل « لجنة انصار الجماهير بالظاهر » وقد جمعت تبرعات قيمتها جنيها واحدا (١) ٠

« لفيف من عمال المحلة » و « طلبة كلية العلوم بالاسكندرية » (٢) و « من اهالى قرية ميت يعيش » (٣) ٠

ولم يكن تكوين هذه الاشكال التنظيمية الواسعة « لمساندة » «الجماهير» عملا تلقائيا ، بل كان نتيجة دعوة وجهت على صفحات « الجماهير » تحت عنوان « نداء ٠٠ للملايين ايها العمال والفلاحون والطلبة والمثقفون ٠٠ » جاء فيه « انتم الذين بعثتم «الجماهير » من صفوفكم ونضالكم فى سبيل الخبز والحرية والاستقلال ٠ وللجماهير أعداء واعداء ، الاستعمار بأمواله وجنده والرجعية بصفحاتها المأجورة ،وهى تتحالف اليوم على مجلتكم ، وتضع العراقيل فى طريق نضالها ٠٠ نضالكم ٠٠ ونحن نهيب بكم ان تتبرعوا بقروشكم للجماهير ، فكل قرش تدفعونه هو مسمار تدقونه فى نعش الاستعمار والطغيان والاستبداد ٠ فلتنشئوا أسرا « للجماهير » اينما وجدت الجماهير فى المصنع والقرية والمعهد والمدرسة ولتقم الاسرة بحملة التبرعات ٠ ان « الجماهير » تناديكم وهى واثقة من تلبية النداء ٠ والنصر للجماهير » (٤) ٠

ورغم حملة التبرعات الناجحة فان « الجماهير » توجه نداء الى « الزملاء قراء هذه المجلة ــ لقد أيدتمونا ، ولكن مجلتكم غدت موضع اضطهاد وهى تتحمل أعباء مالية فوق طاقتها ــ لا يجب ان تدعوا المال ليكون عقبة فى سبيل اخراج

★ عبد المنعم الغزالى ٠

١ ــ الجماهير ع ١٩ ــ ٥ ــ ١٩٤٧ ٠

٢ ــ الجماهير ع ٩ ــ ٦ ــ ١٩٤٧ ٠

٣ ــ الجماهير ع ٢٣ ــ ٨ ــ ١٩٤٧ ٠

٤ ــ الجماهير ع ١٤ ــ ٧ ــ ١٩٤٧ ٠

هذه المجلة فهى مجلتكم وليس لها من مورد غير اشتراكاتكم وتبرعاتكم ٠٠ ان كل قرش تتبرعون هو عون للجماهير للدفاع عن حقوقكم عن حرياتكم العامة، للكفاح ضــد الاستعمار » (١) ٠

وتتوالى قوائم التبرعات من جديد لكن يبدو انها لم تكن كافية وتوجــه « الجماهير » من جديد نداء حارا يكتبه محمود النبوى بعنوان « لن يستطيعوا اخماد صوت « الجماهير » فهو يرتفع مدويا » جاء فيه « لقد ارتفع صوت مجلتكم عاليا منذ اللحظة الاولى يناصب الاستعمار العداء ولا مورد مالى لها الا اشتراكاتكم وتبرعاتكم ٠ وهاهو البوليس السياسى يحاربها ، وها هم الاخوان المسلمون يعاكسونها ٠٠ وها هم اصحاب كثير من الاعلانات يقاضونها ٠ فهل تختفى مجلتكم تحت العبء المالى ؟ او هل تقلل من صفحاتها ٠٠ كلا ٠٠ كلا٠٠ ان كل صفحة تنقص من « الجماهير » كسب للمستعمرين والمستغلين ، ان اختفاء «الجماهير» ضربة للحركة الوطنية وطعنة للديمقراطية واضرار شديد بالحركة العمالية ٠٠ اننا واثقون بكم ٠٠ معتمدون عليكم مطمئنـــــون الى تاييدكم ٠ ان بقاء « الجماهير » سلاحا ماضيا يدافع عن مصالحكم قــــــد أصبح معركة ٠٠ فليكن شعاركم فى كفاحكم من اجل « الجماهير » ٠

اشتروا « الجماهير » ٠٠

اقرأوا « الجماهير » ٠٠

اشتركوا فى « الجماهير » ٠٠

تبرعوا « للجماهير » ٠

« فالجماهير » مجلتنا نحن العمال والفلاحين والطلبة والموظفين »(٢) ٠

وتنهال التبرعات من جديد ٠٠ لكن الازمة المالية تبقى ملازمة دومــــا « للجماهير »

★ ★ ★

واذا كانت قوائم التبرعات المتتالية تعبر عن شعبية المجلة وارتباطهـــا بقرائها فان أرقام التوزيع تقدم لنا ايضا صورة واضحة تشــــير الى ان « الجماهير » كانت بغير شك أوسع صحف اليسار انتشارا وانها حققـــت أرقاما فى التوزيع تفوق بمقاييس ذلك العصر كل التوقعات ٠

يقول عبده دهب : كانت «الجماهير» توزع ١٢٫٠٠٠ نسخة أسبوعيا» ٠٠

ويقول الغزالى كانت توزع عشرة آلاف نسخة ٠٠

لكننا نستطيع ان نحصل على أرقام اكثر دقة ٠

---

١ ــ الجماهير ، ٢١ ــ ٤ ــ ١٩٤٧ ٠

٢ ــ الجماهير ، ٢٣ ٨ ــ ١٩٤٧ ٠

« لقد طبعنا من العدد الاول ۲۰۰۰ نسخة وزعت جميعا ، ثم زاد الطبع بحيث تراوح بين ٥٠٠٠ و ٧٠٠٠ ، وقبـــــل الوحدة مع ح ٠ م كنا نطبع ١٠٫٠٠٠ ارتفعت بعد الوحدة عن ذلك » ٠ ★

وهكذا تتقارب التقديرات لترتفع الى ما هـــو اكثر من عشرة آلاف نسخة وهو بمقاييس ذلك العصر توزيع ضخم بالنسبة لمجلة اسبوعية ٠٠

ونود ان نشير هنا الى ان « الجماهير » كانت تعتمد فى توزيعهـــا أساسا على شبكة من الموزعين الحزبيين الذين لم يكتفـــوا بتطوعهم بعملية التوزيع كواجب سياسى يقتضى مداومة الاحتكاك بالشعب وانما كانوا ــ وفقا لتقليد ثابت ــ يسددون ثمن الاعداد مقدما فيحلون بذلك كثيرا من المشاكل المالية والادارية للمجلة ٠

ان أرقام توزيع « الجماهير » يجب ان تؤخذ ليس فقط كدليل لنجاح مجلة ٠٠ وانما ــ وفى الاساس ــ كدليل على جماهيرية منظمة ٠

★ ★ ★

وكانت «الجماهير» تصدر اسبوعية كل يوم اثنين وظلت منتظمةفى الصدور حتى العدد ١٨ الذى صدر فى يوم الاثنين ٤ أغسطس ١٩٤٧ ٠ ثم

يصدر العدد ١٩ فى ١٩ أغسطس دون أشارة الى اليوم ٠ أما العـــدد ٢٠ فيصدر بعد اثنى عشر يوما اى يوم ٢٣ أغسطس ١٩٤٧ وهو يوم سبت ٠

ويستمر صدور « الجماهير » يوم السبت لمدة ثلاثة اعداد فقط هى الاعداد ٢٠ ، ٢١ ، ٢٢ ٠

وهذا العدد الاخير صدر يوم السبت ٦ سبتمبر ١٩٤٧ لكن العـــدد الذى يليه اى العدد ٢٣ يصدر يوم الاحد ١٤ سبتمبر وتستمر « الجماهير » بعد ذلك فى الصدور كل يوم أحد ٠

ويفسر الذين ناقشتهم من الذين عملوا فى « الجماهير » ذلك تفسيرا فنيا بحتا وهو ان « الجماهير » كانت تبحث عن يوم من ايام الاسبوع ليس فيه منافسة شديدة من مجلات اسبوعية أخرى تصدر فى نفس اليوم ٠

★ ★ ★

ولنا ملاحظة ايضا على العدد الاول من « الجماهير » فقد صدر خاليا من تاريخ صدوره وثمن العدد وعنوان ادارة المجلة ٠

ولقد تصورت فى بادىء الامر انه مجـــرد خطأ فنى ينم عن قلة خبرة

★ ابراهيم المناسترلى ٠

اصحاب المجلة بالعمل الصحفى .

لكن البعض ★ أكد لى ان الامر كان متعمــــدا . وانه حتى مرحلة طبع العدد الاول لم يكن قد تقرر بعد ما اذا كان سيوزع لدى بائعى الصحف ام يكتفى بوزيعه بواسطة الاعضاء ومن ثم فان ذكر الثمن لم يكن ضروريا وكذلك التاريخ . أما العنوان فقد تصور البعض الا يذكر لاعتبارات متعلقة بالامن .

لكن القيادة الحزبية تدخلت في آخر لحظة وحسمت الامر مقــررة ان « الجماهير » مجلة علنية ويجب أن تصدر كأى مجلة علنية أخرى وأن يكون لها ثمن محدد تباع به عن طريق الاعضاء وعن طريق المتعهــــدين والموزعين العاديين وأن يكون لها مقر معلن عنه .

وهكذا جمعت نسخ العدد الاول وتنفيذا لقرار القيادة تم ختمها بخاتمين الاول فى الصفحة الاولى يحدد ان الثمن عشرة مليمات ، والثانى فى صفحة ١١ يحدد ان عنوان مقر المجلة هو ١٦ شارع الملكة فريدة ويلاحظ ان هـــذا العنوان قد تغير فى العدد الثانى مباشرة ليصبح ٣٣ شارع الملكة نازلى .

اما تاريخ صدور العدد الاول فقد لاحظت انه لقد كتب فى اكثر مــن نسخة أمكننى الاطلاع عليها بالقلم الحبر ٧ ابريل ١٩٤٧ » .

ولقد اهتممت اهتماما خاصا بالاشارة الى هذه الملابسات ليس فقط لانها جزء من الحدث التاريخى ، وانما لانها ذات دلالة سياسية فهى تعبر عن تردد قيادة « ايســـكرا » تجاه اســــلوب وطريقة عمل « الجريدة » كمنبر علنى .

★ ★ ★

وكانت « الجماهير » كعادة الصحافة اليسارية المصرية تستخدم أسلوب البراويز والشعارات الاثارية التى تنتشر فى مختلف الصفحات .

وابتداء من العدد السابع بدأت فى تخصيص مساحة أسفل الصــــفحة الاخيرة لشعار « ان كل قرش تدفعونه فى الجماهير مسمار تدقونه فى نعش الاستعمار » (١) .

وفى نفس المكان فى العدد التالى « مجلة الجماهير » مجلــة التحـــرير الوطنى . مجلة الكفاح ضد الاستعمار وأذنابه » (٢) . وفى الاعداد من ٩ الى ١٦ يثبت الشعار التالى فى نفس المكان « الجماهير مجلة الملايين .. تعبر عن آلامهم وآمالهم » .

بل ان الابواب الثابتة فى « الجماهير » كانت تتخذ لنفسها عناوين ذات طابع اثارى .. فباب العلوم عنوانه « ليســت مهمة المفكر تفســـير العالم

★ ابراهيم الماسترلى .

١ ــ الجماهير ، ١٢ ــ ٥ ــ ١٩٤٧ .

٢ ــ الجماهير ، ١٩ ــ ٥ ــ ١٩٤٧ .

فحسب ·· وانما مهمته هى تغييره الى عالم افضل » (١) ·

والباب المخصص لشكاوى الجماهير بعنوان « الجماهير تشكو ·· الجماهير تفضح » وشعاره « تكلموا فان السكوت معناه الموت » (٢) ·

أما صفحة العمال فان عنوانها « نحن نبنى ·· وهم يهدمون » ·

وكان الكاريكاتير سلاحا هاما من أسلحة مجلة « الجماهير » ولعله من حق « الجماهير » علينا ان نسجل لها انها كانت اول صحيفة يسارية تستخدم الكاريكاتير هذا الاستخدام الواسع ، وبمضون سياسى يسارى ··

لقد كانت « الجماهير » باكورة للكاريكاتير اليسارى ·· ذلك الاتجاه الذى ازدهر فيما بعد خالقا مدرسة متكاملة من فن الكاريكاتير اليسارى ··

وكان رسام الكاريكاتير فى « الجماهير » هو الرسام طوغان وكان فى ذلك الحين طالبا فى مدرسة التجارة المتوسطة حيث كان يعمل شهدى الشافعى مدرسا ·

وعن طريق شهدى عرف الطالب الفنان طريقة الى «الجماهير» ··

وقد داوم طوغان على تقديم كل ما تحتاجه « الجماهير » من لوحة كاريكاتير ثابتة فى صدر الصفحة الاولى وموضوعات كاريكاتيرية متكاملة فى الصفحة الاخيرة والصفحات الداخلية بالاضافة الى رسم صور الشخصيات فى عديد من الموضوعات ·· داوم على ذلك بانتظام تام وبانتاج تثير غزارته الدهشة طوال ثمانية عشر عددا ··

وابتداء من العدد التاسع عشر الصادر فى ١١ أغسطس ١٩٤٧ تختفى رسوم طوغان نهائيا ·· وتمتنع « الجماهير » عن تقديم الكاريكاتير على صفحاتها وتحل محل لوحة الصفحة الاولى ·· صورة فوتوغرافية ··

* * *

واذا كان من حق « الجماهير » علينا ان نبرز دورها فى استخدام الكاريكاتر السياسى كعمل رائد فى صحافة اليسار ، فانه يتعين علينا ايضا ان نشير الى انها كانت رائدة ايضا فى مجال التحقيق الصحفى «الريبورتاج»

« والريبورتاج » يظهر لاول مرة ــ بالنسبة للصحف اليسارية ــ فى « الجماهير » ·

وهو يظهر فيها عملاقا متمرسا يستحق الاعجاب بالفعل سواء من ناحية الشكل ·· والفن الصحفى او المضمون الطبقى ·

فالريبورتاج السياسى كان وسيلة أساسية ، وربما كان الوسيلة الأولى التى استخدمتها « الجماهير » للتعبير عن موقفها الطبقى المتميز من كثير من المشاكل السياسية والاقتصادية والاجتماعية ··

---

١ ــ الجماهير ٣٠ ــ ٦ ــ ١٩٤٧ ·
٢ ــ الجماهير ٢٣ ــ ٦ ــ ١٩٤٧ ·

والنماذج كثيرة بغير حصر ، وكلها تستحق التأمل ، وتستحق الاعجاب شكلا ومضمونا .

وقد اعتادت « الجماهير » ان تخصص للريبورتاج صفحتي الوسط « الدوبل باج » اي صفحتي ٦ ، ٧ .

وابتداء من العدد الاول نجد ريبورتاجا بعنوان « استغلال ونضال في شبرا الخيمة » وهو ليس مجرد عمل صحفي اثارى وانما هو بالدقة دراسة تاريخية سياسية اقتصادية تبدأ من البداية .. « فى عام ١٩٣٤ وفى طرف القاهرة الشمالى كان فلاحو شبرا الخيمة يتطلعون فى دهشة الى أول مصنع للنسيج » .. وتمضى القصة قصة الاستغلال الرأسمالى للعمال .. الاضرابات .. العمل النقابى .. خيانة الاخوان المسلمين .. احتفالات اول مايو .. أحداث عام ١٩٤٦ .. اللجنة الوطنية للطلبة والعمال .. الهجوم الرجعى العنيف على كوادر شبرا الخيمة .. وفى الختام .. «حقا لقداحس عمال شبرا الخيمة بمرارة الفشل ولكنهم يعرفون ان الصراع فشل ونجاح ، واننا نتعلم من الفشل كما نجنى ثمرات الانتصار . هذه قصة لم تتم .. لان قصة العمال قصة كفاح دائب لا ينقطع » (١) .

وفى العدد التالى ريبورتاج عن تجمع عمالى آخر «سلسلة من الخيانات والمناورات والمؤامرات .. هذه هى قصة ترام القاهرة » .. والقصة تبدأ ايضا من البدية عام ١٨٩٥ عندما سار اول ترام فى شوارع القاهرة .. ويستمر الريبورتاج ليحكى كفاح العمال المستمر والمتصل .. والختام يقول « ان مشكلة الترام وعمال الترام ليست مشكلة قائمة بذاتها ، وليست هى الفريدة فى بابها . انما هى مشكلة الشعب المصرى .. شعب يضطهده الاستعمار والشركات الاحتكارية وأذناب الاستعمار وكبار المساهمين فى هذه الشركات من اجانب ومصريين . والمعركة دائرة بين الشعب وظالميه ولن تنته المعركة ضد الظلم حتى يزول » (٢) .

وتمضى الريبورتاجات الى مجال آخر «مساكن صحية .. مدارس لابنائنا .. أعمال لعاطلينا .. ضمانا لحياتنا .. هذا ما يريده سكان عشش الساقية وتلال زينهم » .

وتستخدم الكلمة والكاميرا معا بنجاح تام لابراز التناقض الصارخ بين حى ارستقراطى هو « جاردن سيتى » وحى آخر شعبى يعيش فى بؤس ولا يفصلهما غير شارع واحد .

ولا تفوت اصحاب هذا الريبورتاج اللمحة الذكية فهم يختتمونه بوصف للحى الارستقراطى جاردن سيتى .. « واستوقف انظارنا من بين القصور الشاهقة هناك ، قصر لامع ، تفوح منه رائحة الشواء ، وتغمر أجوائه أزهار

---

١ ـ الجماهير ، ٧ ـ ٤ ـ ١٩٤٧ .
٢ ـ الجماهير ، ١٤ ـ ٤ ـ ١٩٤٧ .

وورود واصطفت حوله السيارات ٠٠ واذا بأمين يصـــيح بى ٠٠ دى سراية البرنس عباس حليم ٠٠ زعيم العمال » (١) ٠

وريبورتاج عن عيد اول مايو (٢) ، وآخر من الاسكندرية « شركة غزل سويسرية تستبد بالعمال ٠ احدى عشر ساعة عمل ونقابة صفراء والعمال ماضون فى كفاحهم » (٣) ٠٠ ثم ريبورتاج تلعب فيه الكاميرا دورا هاما عن الفلاحين « ٨٠ بالمئة من الشعب المصرى فلاحون لا يعرفون غير الفقر والمرض والجهل » وفى هذا الريبورتاج تقدم « الجماهير » برنامجا فلاحيا « اننـا نطالب بتوزيع الملكية الزراعية الكبيرة ٠٠ وزيادة الاراضى المنزرعة وادخال آلات حديثة بحيث تكون تحت تصرف صغار الفلاحين المتحدين فى جمعيات تعاونية » ٠ ثم نداء « يا فلاحى مصر ٠٠ اننا نريدكم قوة تكافح الفقر الذى تقاسونه ٠٠ تكافح من اجل نقابات لكم ٠ من اجل وحدة بينكم وبين العمال لتخلصوا مصر من الاستعمار وأذنابه » (٤) ٠

والامثلة عديدة بغير حصر «عمال وفلاحون بالحوامدية ٠٠ واحتكاريون بعمارة الايموبيليا » وفى هذا الريبورتاج تطالب الجماهير بحلف « مـــن العمال وأجراء الفلاحين وصغار المزارعين » وتؤكد ان استغلال « هـــــذه الشركة للشعب لن يوقفه الا نضال فى سبيل وضع مثل هذه الشركة فى يد حكومة تديرها لصالح الشعب ٠٠ الشعب صاحب الحق الطبيعى والذى يصنع كل شىء » (٥) ٠

ثم ريبورتاج عن « قناة السويس ٠٠ شعب يبنى وعمال يكدون ٠٠ واستعمار يتآمر » ٠

ولعل من حق « الجماهير » علينا ان تذكر لها انها طالبت « بتأهيل » اى « تأميم » شركة قناة السويس « فلتؤهل قناة السويس ولتصبح حقـــا للشعب الذى بناها ويعمل فيها ، فلن نقبل ان تظل اداة فى يد الاستعمار يستخدمها لعداء الشعب المصرى واستغلاله ، كما يستخدمها ضد الســـلام الدولى » (٦) ٠

ولا بد ان القارىء قد لاحظ من الهوامش اننى لا أنتقى وانما أمضى مع الاعداد مسلسلة من العدد ١ ولا بد ان ذلك وحده يكفى دليلا على ان بقيـــة الاعداد وهى كثيرة تزخر بريبورتاجات اخرى ٠٠ عديدة ، وتســـتحق الاعجاب ٠

وتبقى بعد ذلك كلمة عن كتاب هذه الريبورتاجات ، وفى البـــداية لاحظت ان التوقيع على معظمها واحد هو « حســـين حامد » وبدأت البحث عنه ، لكننى لاحظت انه يصعب على أى صحفى أن يتابع كل اسبوع كتابه

---

١ ــ الجماهير ، ٢١ ــ ٤ ــ ١٩٤٧ ٠
٢ ــ الجماهير ، ٢٨ ــ ٤ ــ ١٩٤٧ ٠
٣ ــ الجماهير ، ٥ ــ ٥ ــ ١٩٤٧ ٠
٤ ــ الجماهير ، ١٩ ــ ٥ ــ ١٩٤٧ ٠
٦ ــ الجماهير ، ٢٦ ــ ٥ ــ ١٩٤٧ ٠
١ ــ الجماهير ، ٥ ــ ٥ ــ ١٩٤٧ ٠

ريبورتاج يمثل هذا المستوى العالى من الدراسة والتعمق فى فهم أبعـــاد المشاكل مع التنوع الشديد فى المشاكل المعرضة ..

وقيل لى ايضا ان هذه الريبورتاجات كان تعد بواســـطة المكاتب المتخصصة .. فمكتب العمال يعد الريبورتاجات بالعمال .. والفــلاحين كذلك .. الخ كذلك كان هناك مكتب خاص للريبورتاجات بالجماهير يجمع المواد التى ترد من المكاتب المتخصصة ثم يقوم ببحث ميدانى .. ثم يصاغ الريبورتاج .. كل ذلك فى عمل جماعى ينبثق فى الاساس من جماعيـة العمل الحزبى والهيئات الحزبية .

غير ان الكثيرين قد آكدوا لى ان « نقولا ورد » مســـئول مكتب الريبورتاجات كان صاحب الجهد الاكبر فى اعدادها للنشر ..

« حسين حامد » .. اذن .. ليس شخصا بعينه ، لكنه رمز للكوادر الحزبية التى انغمست فى مشـاكل الفلاحين والعمال والمثقفين .. وفى كل مجال من مجالات الحياة .. تتعايش .. وتتعلم .. وتقود .. ومن خلال ذلك كله تستخلص مشكلات الشعب .. وتصـــوغها ريبورتاجات دافقـة الحيوية .. زاخرة بكل معانى الصراع الطبقى ومعالمه .

***

ومن الابواب الثابتة فى « الجماهير » « صفحة المرأة » وكما قلنـا فان التوقيعات كلها مستعارة « فاطمة محمد » « سعاد » « احسان » « اليس فهمى » وان كان تحـرير الصـــفحة موكل الى مكتب منبثق عن « دائـرة النساء » فى التنظيم .

وكانت صفحة المرأة فى الجماهير حريصـــة دوما على ابراز موقف مستقل تجاه قضية المرأة وتحريرها وحقوقها ..

وابتداء من العدد ١٥ خصصت صفحة كاملة بعنوان « المرأة نصف المجتمع » تناولت عددا من الموضـــوعات الهـــامة « حياة الاسرة المصرية أساسها الملل » وفيه تناقش مشاكل الزواج كحالة اجتمـــاعية منبثقـة من طبيعة المجتمع الرأسمالى . « ان مستوى المعيشـة المنخفضـــة فى مصر وظروف المجتمع الذى نعيش فيه ، وصعوبة الحصول على الرزق تجعل مـــن الزواج عملية بيع وشراء ، ومن الزوجة سلعة . فالزوج يتزوج ليصل الى مركز اجتماعى أو كسب مادى ما كان ليصل اليهما الا عن طـــريق هذه الزوجة أو تلك . فان فشل فى هذا الزواج تزوج ليجد خـادمة رخيصـــة مريحة ترضى مطالبه الجسدية واليومية فى آن واحد . والمرأة تتزوج لتجد موردا مضمونا للحياة لا يهمها من شريكها الا جيبه لان الرجل لا يعيبـــه سوى جيبه كما يقولون .. وزواج كهذا لا يتوفر فيه عادة التفاهم العقلى والروحى ... والمجتمع هو المسئول .. المجتمع الذى لا يوفر للرجل حياة مادية لائقة تغنيه عن تسقط الكسب عن طـــريق الزواج ، المجتمع الـذى

يقفل ميادين العمل أمام المرأة فيجعلها تعتمد على الرجل اعتماداً اقتصادياً كلياً . المجتمع الذى يجعل من كل علاقة بشرية علاقة مادية تقوم على الكسب ، ومن كل انسان سلعة تباع وتشترى » .

وفى نفس الصفحة موضوع عنوانه « نساء العالم يكافحن من أجل السلام .. نداء من الام الروسية الى الام الامريكية » (١) .

وفى عدد آخر مقال بعنوان « الاخوان والمرأة .. لن تنجح الحركة الوطنية دون نوال المرأة حقوقها السياسية » فيه هجوم على مسلك الاخوان المسلمين تجاه قضية المرأة .. « والاخوان المسلمون يرجون من وراء ابقاء المرأة جاهلة عاجزة مستعبدة الى خلق جيل جديد من العبيد يرضى بالاستعمار والاستغلال » وموضوع عن كفاح عاملات الجوت ومدى الاستغلال الذى يتعرضن له وموضوع آخر عن المرأة العاملة وما تتعرض له من ارهاق مادى وبدنى وعصبى فى المنزل أو العمل .. وعنوان الموضوع « أمهات .. وبطلات » . وفى نهاية الموضوع تقدم « الجماهير » أو مكتبها النسائى برنامجا يحدد مطالب المرأة العاملة .

« الجماهير .. تطالب برفع المستوى الاقتصادى للامهات العاملات ، تطالب بسن القوانين التى تحمى الامومة والطفولة ، تطالب بانشاء دور للحضانة ومطاعم شعبية رخيصة أو بالمجان ، تطالب بمنح الام الحامل اجازة مدفوعة شهر قبل الوضع وبعده » .

وفى مقابل ابراز الكفاح والعناء الذى تتعرض لهما المرأة العاملة تقدم الجماهير فى نفس الصفحة نموذج آخر بعنوان «خواجاية »رفضت مونا عبود بنت المليونير الكبير أحمد عبود ان تنطق حرفا واحدا بالعربية حين الح عليها مندوب الاذاعة فى لندن ان توجه كلمة بالعربية للمستمعين العرب ، وليس مسلك مونا عبود بمستغرب فهى وليدة الاستعمار الانجليزى وأبوها المليونير عميله (٢) .

وتمضى « صفحة المرأة » لتواكب كفاح المرأة المصرية وخاصة كفاح العاملات المصريات « مع عاملات التليفون .. انشئن رابطة للدفاع عن مصالحكن .. فالاتحاد قوة » (٣) .

وريبورتاج « عن مركز الطفل فى بولاق ــ ارهاق لا مثيل له ــ ٣١ ساعة عمل متواصلة » (٤) بطلات أندونسيا فى ميدان الاستعمار ١٢٠ فتاة يعشن فى خندق » (٥) .

---

١ ــ الجماهير ، ١٩٤٧/٧/١٤
٢ ــ الجماهير ، ١٩٤٧/٧/٢١
٣ ــ الجماهير ، ١٩٤٧/٨/٤
٤ ــ الجماهير ، ١٩٤٧/٨/١١
٥ ــ الجماهير ، ١٩٤٧/٨/٢٣

وعندما انتشر وباء الكوليرا ، كانت « صفحة المرأة » تلعب دورها كمنظم لحركة النساء فى مكافحة الكوليرا « الكوليرا تشتد ، نحن مع الشعب اينما كان » (١) ٠

وفى بعض الاحيان تقدم صفحة المرأة ركنا عن « المرأة فى السودان »(٢)٠
٠٠ وباختصار فان متابعة « صفحة المرأة نصف المجتمع » فى مختلف أعداد « الجماهير » يمكنه ان يقدم لنا فكرة عن مدى ارتباط « الجماهير » بمشاكل النساء العاملات ٠
٠٠ كما انها توضح لنا ـ بصورة او بأخرى ـ نوعية النشاط الذى كانت تمارسه « دائرة النساء » فى تنظيم « حدتو » والبرامج والاهداف التى كانت تتبناها ٠٠

***

٠٠ ثمة أبواب اخرى على نفس النمط ٠٠ « ركن الطلبة »«ما وراءالقوانين» وفيه تحاول « الجماهير » ان تقدم لقرائها وبشكل مبسط دراسات قانونية تساعدهم على التمسك بحقوقهم أمام النيابة او البوليس لدى اى قبض او تحقيق معهم ٠٠ فهو يقدم دراسات عن « التحقيق » و «الاتهام» و «الحرية الشخصية » ٠٠ الخ ٠
وبعد الوحدة مع « ح ٠ م » بدأت تبرز أركان ثابتة عن « السودان » و « النوبة » ٠٠ ٠٠

***

وبالنسبة للشعر الثورى ٠٠ لم تكن « الجماهير » مجرد منبر فتح صفحاته أمام الشعراء الثوريين ليصوغوا آلام شعبهم ملتهبة ،وانما كانت وبحق المجال الذى تبلورت فيه مدرسة الشعر الثورى المعاصر ٠٠ وعلى صفحاتها قدم الشعراء اليساريون قصائد رددتها جماهير الشعب فى مظاهرات صاخبة ، ورددتها الرجعية فى رعب قاتل ٠٠!
وتبدأ « الجماهير » رحلتها مع الشعر الثورى بقصيدة تقول :
« نحن فى السجن وللسجن ظلام وغيوم
٠٠٠٠
نحن فى السجن وتحت الشمس أنصارالظلام
هم أرادوا أن يظل الشعب عبدا يستضام
فأردنا ان يعيش الشعب حرا لا يضام
ولهذا فلنا السجن جزاء وانتقام

---

١ ـ الجماهير ، ١٩٤٧/١٠/١٢
٢ ـ الجماهير ، ١٩٤٧/٨/١١

ولهـم تنصب رايـات وأعـراس تقام
....
يا رفاقى نحـن فى السجن جنود فى كفاح
نحن لن يرهبنـا السجن ولن نلقى السلاح
....
ولنـا النصر وللنصر مساء او صبـاح
حينما نقـذف للسجن بأعـداء الكفـاح (١)

وقد نشرت القصيدة بغير توقيع لكن المعروف انها لكمال عبد الحليم ..
واذا اردنا نموذجا آخر فهناك قصيدة « العدالات والمواثيق » لمحمود توفيق :

حكمـوا فلتحكم الارض لنا
يوم تروى بالدماء القـانية
قد أقاموها حصونا وقلاعـا
فلنحطمها كفاحا وصراعـا
يا شعوب الارض هـذا يومنا
فانهضى قد مزق الوحش القناعا(٢)

فاذا كنا بحاجة الى نموذج آخر فهناك القصيدة الشهيرة التى رثى بها
كمال عبد الحليم الرفيق فهد وغيره من شهداء الحزب الشيوعى العراقى ..

هاتوا الحبـال من الاشـواك واجتمعوا
لدى الحبـال وهاتوا مـن تشـائونا

وجمعـوا الجيش فى زاهى الثيـاب ولا
تنسوا القضاء فقـد كانوا مطيعينـا

قد أبصر الشـعب من بين الدموع ومـن
بين الحبـال دخيـلابات ملمـونا
فاقسـم الشـعب ان يلقى بشـانقه
الى الحبـال لكى يحمى المـلايينا (٣)

كذلك قدمت «الجماهير» نماذج ناجحة من الشعر العامى بتوقيم « ابن الدهماء »

---

١ ـ الجماهير ، ١٩٤٧/٤/٢٨
٢ ـ الجماهير ، ١٩٤٧/٦/٣٠
٣ ـ الجماهير ، ١٩٤٧/٧/١٤

وقدمت قصصا قصيرة كان معظمها بتوقيع « مخلص ابراهيم » (ابراهيم عبد الحليم) وقصصا مترجمة لاعلام الادب الاشتراكي ومنها « ابن الثورة » نيقولا استروفسكي (١) البهلوان لانطون نشيكوف (٢) ضموا الصفوف للكاتب الامريكي كارل اوفورد (٣) والتائر الصغير للكاتب التشيكي جان اردا ·· وقصص اخرى لمكسيم جوركي وهوارد فاست ·· الخ ·

وهناك دراسات ممتازة للمدرسة الاشتراكية فى الادب ·· منها محاولة جادة لتلخيص أفكار « ميخائيل كالينين « عن الفن · وفى هذه الدراسة يقول كالينين « على الفنان فى بلادنا ان يتجه نحو الشعب حتى يصبح عظيما ·· » وهو يدعو الفنان الى ان « يكون صادقا لا من الناحية الفنية وحدها ، بل وان يبحث عن حل للمشاكل الاجتماعية هادفا نحو مثل اجتماعى اعلى ولحياة انسانية أفضل » ويلخص كالينين أفكاره فى عبارة موجزة « الفن هو الحقيقة اعتقادنا اول محاولات ماركسية جادة فى هذا الصدد ··

وثمة دراسات اخرى عن السينما المصرية ونقد لبعض افلامها يمثل فى اعتقادنا اول محاولات ماركسية جادة فى هذا اصدد ··

***

وفى هذه اللمسات الاولية تعرضنا لاشياء كثيرة ، وأسماء عديدة لكن اسما هاما لم يسلط عليه الضوء بعد ·· رغم انه الاسم الوحيد الذى لازم كل أعداد « الجماهير » ·· محمود النبوى المحامى ·· صاحب الامتياز ورئيس التحرير المسئول · والنبوى لم يكن مجرد شخص حصل على رخصة لاصدار المجلة ، صحيح ان اختياره من قبل « ايسكرا » للحصول على الترخيص قد راعى انه ابن واحد من كبار حكام مصر فى ذلك الحين ، وان هذا سوف يكفل له الحصول على الترخيص ويكفل لمحاولته الحماية ··

لكن ذلك كله لا ينفى ان «محمود النبوى » كان واحدا من كوادر «ايسكرا» ثم « حدتو » وانه كان يمارس دورا سياسيا هاما فى المجلة ··

كما انه وبعد فترة من الوقت كان واحدا من اللجنة السياسية «الحزبية» المشرفة على « الجماهير » ·

ولقد تصورت ان هذه الملاحظة ضرورية حتى لا يخطىء البعض فيتصور ان الرجل كان مجرد صاحب رخصة ·· لمجلة ··

***

---

١ ـ الجماهير ، ١٩٤٧/٩/٦

٢ ـ الجماهير ، ١٩٤٧/٦/٩

٣ ـ الجماهير ، ١٩٤٧/١٠/١٢

٤ ـ الجماهير ، ١٩٤٧/٨/١١

والآن •• وبعد كل هذه المقدمات يبقى الامر محيرا •• ماذا نعــرض وماذا نبرز •• من كل هذه الآشياء الهامة ، بل والبالغه الاهمية ـ سواء مــن الناحية التاريخية او من الناحية السياسية ـ التى تتضمنها مجموعة أعداد « الجماهير » •

ان الاختيار صعب والمفاضلة أصعب •• لكننا سنحاول الإمساك بعدد قليل من الخيوط الاساسية ••

مدركين ان القارىء ـ لابد وأنه يشعر ـان اية محاولة للاجتــزاء هى بالضرورة محاولة قاصرة ••• لكن الاستعراض الوافى لاعداد مجلة كهذه يحتاج وحده الى اكثر من كتاب •

***

ونقطة البدء هى افتتاحية العدد الاول التى حاولت فيها « الجماهير » ان تقدم نفسها كمنبر جديد •• « ليست الجماهير مجرد اسم يوضع فى صدر صحيفة ، انما هى أعمق من هذا بكثير ، هى صوت الملايين من العمــــال والفلاحين والطلبة والمثقفين الوطنيين الملايين التى تموج بها ضفاف النيل ، تناضل استعمارا بغيضا وتنشد استقلالا كريما ••• و « الجماهير » تعلنهــا حربا شعواء لا هوادة فيها ضد كل الوان الاستعمار سياسيا كان ام اقتصاديا ام ثقافيا ! ولن ترضى الملايين ـ و « الجماهير » معها ـ الا بجلاء ناجز عاجل ، جلاء عن الوادى من المنبع الى المصب • و « الجماهير » اذ تناضل المستعمرين لن تغفل عن الخونة والمتهاونين والمترددين والخائفين ، أولئك الذين يختفون وراء مصريتهم ليكيدوا لمصر مع الكائدين • سنكشف عن هؤلاء جميعــــا وسنظهرهم على حقيقتهم للجماهير •

و «الجماهير» اذ تخوض معركة الحرية والاستقلال لا تخوضها عبثا ، انما تسعى الى ديمقراطية صحيحة ، فكل انتقاص من حرية الرأى والصحافة والانتخاب انما هو تعضيد اكيد للمستعمرين ••• و « الجماهير » لا تؤمــن باستقلال أجوف ، تظل فيه الملايين جائعة عارية جاهلة مريضة ، انمــا تريد استقلالا يكفل لكل فرد الحق فى ان يعمل ، وفى ان يوجد له هذا العمل ، ويتمتع فيه كل فرد بمسكن وطعام وثقافة تليق بانسان كريم ، ويوفر العلاج لمن مرض ، والطمأنينة لمن هرم او تقدمت به السنون •• » (١) •

وفى افتتاحية العدد الثانى هجوم شديد على حكومة الاقليات ودفاع عن الحرية والديمقراطية والعنوان يستمد نغمته من لهجة الصحافة المعارضة فى ذلك العصر « طبلوا •• وزمروا •• واقيموا الافراح » وختــــام الافتتاحية

---

١ ـ الجماهير ، ١٩٤٧/٤/٧

« افعلوا ما تريدون ودعوا مصر ، فأنتم في واد والشعب في واد ، قولوا ما تحبون فللشعب لغة لاتفهمونها ـ لغة لا نفاق فيها ولا رياء ، لغة الكفاح من اجل الحرية الصحيحة والديمقراطية الشاملة والاستقلال الكامل » (١) ٠

فاذا انتقلنا الى العدد الثالث نجد الهجوم اكثر وضوحا ، والاعداء اكثر تحديدا انهم « محور ترومان ـ بيفن ـ النقراشى ٠٠ الوطن فى خطر » ٠فبينما كان الصراع محتدما ضد الاستعمار الانجليزى ، كان يتعين ايضا لفت الانظار الى استعمار جديد يتسلل ٠٠ « ان الاستعمار الامريكى يرى نفسه الوريث الوحيد للامبراطورية البريطانية والتقاليد الهتلرية فهو يسعى الى السيطرةعلى العالم ٠٠ مصر ٠ وهو اليوم يكتفى باستعمار اقتصادى وسياسى ، وهو اليوم يتوسط لغرض معاهدة تحمى مصالحه ، ولن يستبعد فى الغد ان يبعث هو الآخر بجيوش احتلال » ٠

لكن محور ترومان ـ بيفن ـ النقراشى يعرف ان ثمة قوى تكشفه وتقاومه ، ويعرف « ان الشعب لا يرضى ان يستبدل استعمارا باستعمار ٠ ولا ان يضيف استعمارا الى استعمار ٠ انما يريد الحرية التامة لمصر والسودان » (٢) ٠

وهذه هى اول افتتاحية موقعة تنشرها « الجماهير » والتوقيع « حمدى» (شهدى عطية الشافعى) ٠

ولم يكن ذلك كله غير تمهيد أولى لمعركة تستعد لها « الجماهير » وتفجرها فى الافتتاحية التالية التى كتبها « محمود حمدى » وهو ايضا (شهدى الشافعى) ٠٠ والعنوان صريح صارخ « يريد الشعب حزبا ٠٠٠ من نوع جديد » هنا نصل الى بيت القصيد ، الى جوهر المعركة التى قامت«الجماهير» لتخوضها ٠٠ حق الطبقة العاملة والجماهير الكادحة فى تأسيس حزب يمثل ارادتها ومصالحها ٠٠

ولقد حرصت « الجماهير » على ان توجه هذه الدعوة على صفحات العدد الخاص الذى أصدرته بمناسبة اول مايو «اول مايو من كل عام ٠٠ يوم خلده التاريخ بحروف من نورونار ٠٠ ليخلدن هذا اليوم ٠٠ وليكن يوم العمال ٠٠ يوم الشعوب ٠٠ يوم الكادحين ، وليكن رمزا خالدا لكفاح العمال ضد الاستعباد والاستغلال والاستعمار ، رمزا لنضالهم من اجل الحرية والسلام » ٠ وبعد هذه المقدمة تأكيد « ان العمال ليدركون ان التاريخ قد عهد اليهم برسالة مقدسة ٠٠ ان يحرروا العالم من عبودية استمرت أجيالا وراء أجيال وان عليهم ان يشيدوا عالما لا يعرف البطالة والحرمان ، طالما لا يعرف الخوف والجوع والحروب ٠ وهم يدركون انه دون ذلك ٠٠ عرق ودماء ، وفى سبيل ذلك ٠٠ جهاد ونضال ، ولكنهم لن يخسروا فى النضال شيئا ٠٠ سوى الاغلال » ٠

ومن هذه المقدمة الثانية ٠٠ نصل الى درس ثالث « وقد جرب العالم

---

١ ـ الجماهير ، ١٩٤٧/٤/١٤

٢ ـ الجماهير ، ١٩٤٧/٤/٢١

العمال فى الحرب العالمية الثانية ... فما وجد اصلب منهم عودا ولا اكثر جلدا ولا أوضح رأيا ، ولا أقوى تنظيما ضد الطغاة والمستبدين ، ولهذا التف حول قيادتهم الفلاحون والطلبة والمثقفون فى خلال الحرب وفى ايام السلام ..ولهذا نجد اليوم فى اكثر بلدان العالم احزابا عمالية مخلصة يتجمع حولها الملايين » .

ثم تنتقل الافتتاحية الى .. مصر « وهذا اول مايو فى مصر .. وفى مصر استعمار واستعباد ولكن فى مصر عمالا قد ازدادوا عددا ووعيا .. وقدتجاوزوا المليون عدا .. وهم عارفون ان المسئول الاول عما يقاسونه من جوع وحرمان وارهاق هو الاستعمار واذنابه .. وهم لهذا يدركون ان حريتهم ومستقبلهم وعائلتهم بل ان كيانهم ذاته مرتبط أشد الارتباط بنضالهم ضد الاستعمار وحلفاء الاستعمار ، فمعركةتحرير مصر والسودان هى معركتهم ، وقيادة الجموع من اجل الجلاء التام هى مهمتهم » .

ثم هو يعلن قيام القيادة الجديدة .. لقيادة العمال « وقد تجلى هذا رائعا يوم الجلاء يوم ٢١ فبراير ١٩٤٦ فقد كان هذا اليوم ايذانا بفجر جديد، ايذانا بأن العمال المصريين سيتولون بأنفسهم قيادة النضال من اجل الحرية والاستقلال ، ولهذا فزع الاستعمار فزعا شديدا ... ولكن الطلبة والفلاحين والمثقفين الاحرار رحبوا بها ، فهم يحسون بحاجتهم فى هذه الآونة الحرجة الى قيادة صلبة لا تعرف تهادنا ، ولا ترضى بأدنى تحالف مع الاستعمار ، والعمال اعداء الداء للاستعمار فلا تربطهم به ثمة مصلحة وليس بينه وبينهم سوى بحر من الدماء ، وجموع الفلاحين تتطلع الى قيادة مخلصة تعمل للدفاع عن حريتهم وحقوقهم ، وترفع عنهم القيود والاغلال ولن تجد هذه الجموع سوى قيادة العمال .. وفى يوم اول مايو من كل عام يحدد كافة عمال العالم برنامجهم للعام الجديد فليكن برنامج العمال المصريين هذا العام ضم صفوفهم بعد تطهيرها وتوحيد كلمتهم تحت قيادة حزب من نوع جديد ، حزب يمثلهم أصدق تمثيل . حزب يلتف حوله ملايين الفلاحين والطلبة والمثقفين ، حزب يقود الكفاح ، كفاحا لا يلين .. ويسير بالملايين سيرا لا هوادة فيه نحو الحرية والديمقراطية والاستقلال » (١) .

ولم تكن هذه الافتتاحية سوى بداية .. لكن هذه البداية الطموحة قد أثارت كثيرا من الجدل والتحفز ، والغريب ـ وربما الطبيعي ـ فى الامر هو ان اول حملة نقد او هجوم على مقال شهدى قد جاءت من يسار حزب الوفد.. على اعتبار ان الوفد هو الحزب المؤهل تاريخيا لقيادة الصراع الوطنى والاجتماعي معا ، وان اى كفاح طبقى يجب ان ينصب من صفوف الوفد الى داخل الوفد نفسه لتحويله وتطويره الى حزب يتبنى مصالح الطبقاتالكادحة .. واذا كان بعض اليساريين من جماعة « الفجر الجديد » قد سايروا اليسار الوفدى فى موقفه هذا على أساس انها خطوة تكتيكية ضرورية ، فان شهدى

---

١ ـ الجماهير ، ١٩٤٧/٤/٢٨

وتنظيمه كان ينظر للوفد نظرة اخرى تماما ٠٠ نظرة أساسها التحالف ولكن من أرضيات مختلفة ٠٠ تحالف مع النقد والصراع ٠٠

وهكذا يجد شهدى نفسه مضطر الى أن يعود فى العدد التالى الى التأكيد « نعم ! يريد الشعب حزبا من نوع جديد » والبداية نقد للنقد « خرجت علينا زميلة وفدية صديقة بمقال وجه فيه كاتبه اتهامات خطيرة لمجلة « الجماهير» فزعم انها خاطئة فى دعوتها الى تكوين حزب من نوع جديد ٠

وهكذا وكان النقد « الوفدى » منصبا على اساس ان مثل هذا الحزب يفتقد الى برنامج ٠٠ والى العناصر القيادية التى تمرست فى المعارك كل يوم ٠٠ وأنه ليس لدعاة هذا الحزب أعمال جماهيرية توصـــل تأثيرهم الى مراكز عصبية شتى ٠٠ وردا على هذه الدعاوى قالت « الجماهير » « اننـــا ندرك الهدف واضحا محددا لا يعتريه ابهام ولا غموض » وتجدها فرصـــــة لتقدم برنامجا مرحليا ٠٠ « الكفاح من اجل الجلاء التام عن وادى النيل دون قيد أو شرط ، دون مجلس دفاع مشترك ، أو تحالف عسكرى ٠٠ والتحرر من كافة القيود الاقتصادية والسياسية التى فرضها ويفرضها علينا الاستعمار ٠٠ وانا لندرك ان المحافظة على المكاسب الدستورية والتوسع فيها ، والكفاح من أجل الحريات العامة : حرية الاضراب والتظاهر والاجتماع وحرية الرأى والعقيدة والصحافة والكلام ٠٠ وحرية العمال فى اقامة نقابات حرة واقامة اتحاد عام لهذه النقابات ، كفاح لا ينفصل فى سبيل الاستقلال ٠ وانا لندرك أن عزل الخونة من ميدان القيادة هو الشرط الاساسى فى سبيل انطلاق الجموع ضد الاستعمار ، وانا لنعرف جيدا ان الاستعمار لن تجدى معه مفاوضـــات او مناورات ، ان الامم لا تتحرر الا بنضال مرير تقوم به الملايين وتقوده الطليعة الواعية من العمال ، وانا لندرك ان الاستقلال يعنى ويستهدف كذلك تحرر الشعب من الاغلال التى تكبل نهضة الاقتصادية من احتكارات وملكيات كبيرة، وان التخلص من هذه الاغلال جزء لا يتجزأ من الكفاح ضد الاستعمار » ٠

وتلخص « الجماهير » برنامجها فى عبارة موجزة مركز « اســـتقلال كامل وديمقراطية اقتصادية وسياسية واجتماعية كشيئين لا يتجزءان» لكن ٠٠ « الجماهير » تحرص فوق ذلك على التأكيد بأن « النهضة الاقتصادية وهــذا الاستقلال لن يدعمه سوى قيام حكومة شعبية ديمقراطية على رأس البلاد ، تزداد درجة تمثيلها للكادحين على مر الايام » ٠

أما انكار « الوفد اليسارى » لوجود « عناصر قيادية » تصلح لتأسيس مثل هذا الحزب ٠٠ فان الجماهير ترد عليه « أيريد الكاتب أن يقول انه ليس هناك عناصر قيادية بعد كفاح دام عدة سنوات ؟ ان كان الكاتب لا يعـــرف فنحن نؤكد له أن هناك عناصر قيادية صلبة تتزايد وتنمو باستمرار واطراد ، ثم اننا لنعجب ونتساءل .. كيف تتكون العناصر القيادية الا فى ميدان الكفاح ، فهى تقول « اعتادوا ان يحتفلوا بسعد كمـــا يحتفل كل الناس بذكرى موتاهم وكيف تقوم لهذا الكفـــــاح قائمة دون تنظيم ؟ وهل هناك مـاهـــو أرقى من الحـــزب للتنظيم ولتوجيه الكفاح ؟ أيدعو الكاتب الى الانتظار حتى يهبـط

القادة من السماء ؟ أم يدعو الى الصبر والاصطبار حتى تقوم الجماهير دون قيادة واعية وطليعة مدركة فاهمة فى حزب جديد » .

الى هنا ونكاد نلمس ان الحوار لا يجرى بين « الجماهير » « وزميلة وفدية صديقة » ولكنه يجرى بالدقة بين « ايسكرا » و «ح٠م» من جانب وبين جماعة « الفجر الجديد » من جانب آخر والتى كانت ترفض فكرة اعلان الحزب لنفس الاسباب التى وردت فى هذه « الزميلة الوفدية » وهى نقص الكوادر ، عدم وجود برنامج ، ضعف امكانيات الطبقة العاملة .. وبناء عليه فقد تمركزت هذه الجماعة بعد اغلاق « الفجر الجديد » وتصورها لعدم نضوج فكرة اعلان قيام تنظيم شيوعى تمركزت - لفترة ما - فى عدد من المجلات والصحف الوفدية .. محاولة النشاط وسط ما اسمى « بيسار الوفد » .

وتختتم « الجماهير » مقالها الصريح .. الغاضب بعتاب « ولنا عتاب على الزميلة الوفدية الصديقة فلتذكر دائما اننا نمد ايدينا فى حرارة وقوة لنكافح مع المجاهدين ولنسير صفا مع المخلصين الراغبين فى حرية بلادهم واستقلالها ، ولتذكر الزميلة ان كل تفرقة وخصام بين الوطنيين انما هو عون للاستعمار وقوى الظلام » (١) .

لكن هذا الرد العنيف لم ينه المسألة ، فقد ظلت العلاقة بين التنظيم الشيوعى وحزب الوفد بحاجة الى مزيد من الدراسة المتانية ، خاصة وأن البعض كانوا يحاولون الوقيعة بين الوفد وما يلتف حوله من جماهير فى مختلف المجالات وبين الشيوعيين ، بحجة أن مجرد اعلان قيام تنظيم مستقل للطبقة العاملة هو تحد لقيادة الوفد . وتكتب « الجماهير » بعنوان « ان التحالف بين العمال والوفد شرط اساسى لزوال النظام الحاضر - لتحقيق الديمقراطية - للقضاء على الفاشية - لتحقيق الجلاء عن وادى النيل » مقالا ضافيا فى وسطه برواز يقول لقد سبق أن أوضحنا فى العددين الأخيرين أهمية تكوين حزب سياسى مستقل للطبقة العاملة ، وأوضحنا دوره القيادى فى ميدان الكفاح الوطنى والنضال من اجل الحرية والديمقراطية . ولكن مع الاسف قد أساء البعض فهم موقف هذا الحزب من الوفد لذا رأينا أن نوضح هذه المسألة لما فى ذلك من أهمية بالغة لقضيتنا الوطنية » .. وبعد مقدمة نظرية عن طبيعة التطورات التى طرأت على مصر والبلاد العربية بعد الحرب العالمية الثانية ومنها ابعاد الوفد عن الحكم وفرض حكم الاقلية غير الدستورى .. تقول « الجماهير » « ويدرك الاستعمار ، كما يدرك أنصار النظام الحاضر فى مصر أن اعطاء الفرصة للشعب ليعبر عن ارادته فى انتخابات حرة جديدة معناه اقامة حكومة ديمقراطية وخلق الظروف المناسبة لتقدم الحركة الوطنية والعمالية تقدما سريعا .. ويدركون من ناحية أخرى أن مزاولة الحركة العمالية والطبقات الشعبية لحرياتها السياسية والنقابية

---

١ - الجماهير ١٩٤٧/٥/٥

تؤدى الى تمهيد السبيل للقضاء العاجل على النظام الحاضر ، لذا نرى أسلحة الاستعمار والنظام الحاضر مسلطة بصفة اساسية ضـــد الوفد والحركة العمالية ·· ان الزوال للنظام الحاضر واجراء انتخابات حـــرة هو الهدف المباشر الذى يربط الحركة العمالية والوفد فى حلف جماهيرى » ·

وهناك ايضا موقع آخر للتحالف وهو الدفاع عن الحقـــوق والحريات الدستورية ذلك « ان التحالف بين الحركة العمالية وطليعتها الواعيـــة وبين الوفد اساسى لاستعادة حريات الشعب المسلوبة والكفاح المشترك للعمال والجماهير الوفدية فى المدن والقرى ، هو الطريق الوحيد لتحطيم القيود التى تخنق حرياتنا الديمقراطية » ·

لكن مثل هذا التحالف يجب ان يقوم على اساس برنامج محــــدد ·· وتقترح « الجماهير » البرنامج وتقول « انه برنامج وطنى مشترك يقوم على اساس حكومة ديمقراطية تعمل على تحقيق الجلاء التام فورا عن وادى النيل دون اى تحالف مع الاستعمار ــ التوسع فى الحريات الديمقراطية كجـــزء لا يتجزأ من الاستقلال ــ تأهيل (تأميم) الصناعات الكبرى وتوزيع الملكيات الزراعية الكبيرة المتعاونة مع الاستعمار » ·

وعلى التحالف المنشود أن يقف بصلابة ضد التجمعات الفاشية (الاخوان المسلمين فى الاساس) « ولذا فان توحيد صفوف الطبقة العاملة المصرية بقيادة حزب سياسى مستقل جديد ودخوله فى جبهة ديمقراطية مع الوفد ــ مستندة الى كفاح الجماهير ــ هو الضمان الوحيد للقضاء على الفاشية عدوة الشعب ربيبة الاستعمار » ·

وتختتم « الجماهير » مقالها التاريخى « ان تكوين جبهة قوية من حزب الطليعة العمالية والوفد ، انما يعكس ويعبر عن أمانى الملايين من العمال والفلاحين ويقول وحدة الشعب فى الكفاح من اجل الحـــرية والديمقراطية والاستقلال » (١) ·

واذا حاولنا تتبع العلاقة بين « الجماهير » وتنظيمها « حـــدتو » وبين الوفد ، فاننا نجد تعليقا بعنوان « حول بيان الوفد » فيه تأييد للبيان الذى أصدره الوفد معلنا انه سيقوم بتنظيم حملة دعائية للقضية الوطنية على نطاق العالم ·· « وتحيى الجماهير فى الوفد هذا الاتجاه » ·

لكن « الجماهير » تقول وهى تؤيد الوفد وتهاجم معارضيه اصحاب حكم الاقلية لانهم يأخذون « على الوفد هذا الاتجاه الجديد فأن الوطنيين يرون على العكس انه لا بد من زيادته ولا بد من توضيح الخطوات العملية التى ينبغى ان تتخذ ·· لقد جاء بيان الوفد فى اللحظة المناســـــبة ، وبقى ان يبدأ العمل » (٢) ·

وكانت بوادر التفاهم حول شكل العمل الموحد بين طلاب كل مـــن «ح٠م» و « ايسكرا » وبين طلاب الوفد قد بدأت فى عام ١٩٤٦ فى صفوف « اللجنة الوطنية للطلبة والعمال » ·

---

١ ــ الجماهير ، ١٩٤٧/٢/١٢

٢ ــ الجماهير ، ١٩٤٧/٦/١٦

٠٠ ولكن عام ١٩٤٧ قد شهد تحالفات أخرى بين الشيوعيين والوفـــد وخاصة في صفوف نقابة المحامين كما حدث مثلا فى الجمعية العمومية العادية للنقابة التى انعقدت فى ٢٧ يونيو ١٩٤٧ « للنظر فيما يجب اتخاذه من اجراءات سريعة وحاسمة لحفظ الضمانات التى كفلها القانون للمتهمين والمحامين ٠ وكانت جلسة صاخبة تميزت بثورة المحامين لما يلاقونه هم والمتهمـــون من العسف والارهاب فى العهد الحاضر » وقد أبرزت « الجماهير » بشكل خاص دور د ٠ عزيز فهمى ، وامتدحت موقفه فى هذا الصدد ٠ وهو كما يعلم الجمع واحد من أقطاب الشباب الوفدى » (١) ٠

ومن الواضح ان ثمة علاقة خاصة كانت قد نشأت بين « الجماهير » و«د ٠ عزيز فهمى» وفى حديث أجرته«الجماهير» مع عزيز فهمى حرص على ان يوجه تحية حارة اليها قائلا « قد نختلف في بعض الآراء السياسية ، ولكن لا أخفى اعجابى بحملات الجماهير فى مكافحة الاستعمار وأعوانه فى مصر ، ودفاعها القوى عن الحريات العامة ٠ كما أعلن اعجابى بدفاعها عن العـــدالة الاجتماعية اى دعوتها الحارة لرفع مستوى الطبقات الشعبية » ٠

وفى نفس الحديث يصف « عزيز فهمى » قانون مكافحة الشيوعية بانه « الاسلوب الثالث من أساليب الاستعمار ٠٠ فتحت ستار مكافحة الشيوعية يحاولون القضاء على كل معارضة وكبت كل صوت حر ٠ واخماد كل حـــركة وطنية ٠٠ واليك الدليل العملى ، عندما طبق هذا التشريع الباطل هل أقتصر على اليساريين وحدهم ام امتد الى الشباب الوفدى وشباب الكتلة ؟ وعندما قام صدقى بحملته فى ١١ يوليو سنة ١٩٤٦ هل اقتصر الامر على اليساريين ام امتد الى الوفديين وغيرهم من المعارضين ؟ » (٢) ٠

وعندما ألقى القبض على عدد من الصحفيين الوفديين حرصت «الجماهير» على تنظيم حملة للدفاع عنهم تحت عنوان « استنكار عام ٠٠ لاعتقـــال الصحفيين ــ القبض على الصحفيين خدمة للاستعمار ٠٠ »

وتطالب « الجماهير » فى حملتها هذه بحل نقابة الصحفيين لانها لم تدافع عن اعضائها المقبوض عليهم ٠٠ ويساندها فى حملتها هذه ٠٠ ايضـــا عزيز فهمى (٣) ٠

بل ان « الجماهير » تحتفل « بذكرى سعد» ولكن على طريقتها الخاصة فهى تقول.« اعتادوا ان يحتفلوا بســـعد كما يحتفل كل الناس بذكرى موتاهم ويعددون ٠ مآثره بشكل بعيد عن واقع كفاحنا ، وحتى خصومه وخصوم الوطن الذين طالما حاربوه حيا ارادوا ان يجعلوا منه صورة مقدسة أليفة ، حتى ينسى الناس سعد الثائر الوطنى والمكافح الديمقراطى عدو الاستعمار الاجنبى والاستبداد،

١ ــ الجماهير ، ١٩٤٧/٧/٧
٢ ــ الجماهير ، ١٩٤٧/٧/١٤
٣ ــ الجماهير ، ١٩٤٧/٩/١٤

ان سعدا أبعد مايكون عن هذه الجثة المقدسة ، انه حي بمواقفه ضد الاستعمار ، حتى بأقواله التى لا يعترف فيها بغير الامة سيدا ، حي بايمانه بالطبقات الكادحة ٠٠ هذا هو سعد كما يجب ان نراه ٠٠ لن نتكلم فى ذكراه ولكن فلندعه يتكلم هو ٠٠ « (١) ٠ ثم تورد « الجماهير » مجموعة من أقواله يدافع فيها عن حقوق الوطن ويشن حملات عنيفة ضد الاستعمار ٠

وعندما مات صبرى أبو علم تنعيه «الجماهير » قائلة « مات صبرى ابو علم ٠٠ فكان موته خسارة كبيرة للوفد والمعارضة ٠٠ مات صبرى ابو علم ولكن قضية الحريات التى دافع عنها فى مجلس الشيوخ مازالت قائمة ٠ مات صبرى ابو علم ولكن عشرات الطلبة الوطنيين ـ الذين عودهم الدفاع عنهم ـ مازال يلقى بهم فى غياهب السجن ٠٠ ان الشعب يذكرك ياصبرى يوم هببت معه فى ثورته الخالدة سنة ١٩١٩ ٠ يوم دافعت عن حريات الصحافة المهددة ٠ ويوم وقفت تطالب فى مجلس الشيوخ بأن يصدر قرار بأن مصر والسودان وحدة لا تتجزا ، وان مطالب البلاد هى الجلاء الناجز عن مصر والسودان من غير تحالف عسكرى ٠ ان الشعب ينعيك يا صبرى » (٢) ٠

ومع تطور واقع الكفاح الوطنى تدعو « الجماهير » الى تأسيس جبهة وطنية ٠٠ وتحت عنوان « لا بد من جبهة وطنية من نوع جديد ـ تحمل لواء الكفاح فى سبيل الحرية والديمقراطية والاستقلال » يكتب محمود حمدى (شهدى الشافعى) مهاجما الجبهة الرجعية التى تحالفت فى صفوفها احزاب « مصر الفتاة ٠٠ والسعديين والدستوريين والشيخ البنا وحافظ رمضان وجبهة مصر » ويؤكد انه من المستحيل « على احزاب الاقلية والفاشية وشبه الفاشية ان تخدم القضية الوطنية ٠٠ ان الدستوريين والسعديين تربطهم بالاستعمار مصالح مشتركة فى الشركات والاسهم والسندات ٠٠ اما الاحزاب الاخرى الفاشية فهى قد تتحدث فى خطب ملتهبة ضد الاستعمار ، ولكنها لا تتأخر عن الاستنجاد باستعمار أقوى ، لقد كانت بالامس تلجأ الى هتلر وموسولينى ، ونراها ترحب اليوم بترومان ومارشال فى الوقت الذى تخطب فيه ود بيفن وآتلى » ٠

وفى مواجهة التجمع الرجعى تدعو «حدتو» الى جبهة وطنية من نوع جديد ٠٠ « لا عبرة بجبهة وطنية الا اذا كانت تضم صفوف الشعب كله ٠٠ ان هذه الجبهة يجب ان تضم الوفد الذى رفض مبدأ التحالف العسكرى مع الانجليز ويطالب بالجلاء بدون قيد او شرط انه الساخط على كل خارج على الدستور ٠٠ ان هذه الجبهة يجب ان تضم الكتلة ايضا فهو حزب معارض للعهد ويضطر تحت ضغط الجماهير ان يشهر حربا على معاهدة الذل ٠٠ انهما حزبان تتبعهما جماهير راغبة فى الحرية والديمقراطية والاستقلال ٠٠ ولكن جبهة وطنية من هذين الحزبين لا تكفى ٠نعم ان لهما جذور عميقة فى الشعب لا يمكن نكرانها ولكن هناك الطليعة العمالية التى وقفت موقفا صلبا

---

١ ـ الجماهير ، ١٩٤٧/٨/٢٣

٢ ـ الجماهير ، ١٩٤٧/٤/٢١

عنيدا امام الاستعمار ايام الجلاء و ٢١ فبراير ٠٠٠ ولكن حتى هذا لا يكفي فلا بد ان تنضم الى هذه الجبهة كل المنظمات الشعبية من نقابات عمال مخلصة واتحادات للنقابات ، ومن اتحادات وجبهات للطلبة الوطنيين المخلصين ومن رابطات نسائية تجذب جماهير متزايدة من النساء الى الحركة الوطنية ،ومن روابط نقابات ذوى المهن الحرة كالاطباء والمحامين والمهندسين» ٠

هذه هي قوات الجبهة ٠٠ فما هو برنامجها « ٠٠ ان جبهة كهذه ستضع فى رأس برنامجها التحرر التام من الاستعمار ، والجلاء فورا عن وادى النيل دون قيد او شرط ٠٠ وستكافح هذه الجبهة لازالة العهد الحاضر المتحالف مع الاستعمار ، وتثبيت الحقوق الدستورية روحا ونصا والتوسع فى الحريات الشعبية ، حرية الرأى والاجتماع وحرية واسعة للنقابات ــ حريات شعبية هى الشرط الاساسى لتجمع الشعب كله عمال وفلاحين وطلبة ومثقفين ــ فى صفوف متراصة ضد العدو الاكبر ــ الاستعمار » (١) ٠

وتحاول « الجماهير » ان تضع شعارها موضع التنفيذ فتتوجه الى فؤاد سراج الدين لتسأله عن رأيه فى عريضة النقراشى الى مجلس الامن ٠٠ ثم تتوجه الى مكرم عبيد زعيم حزب الكتلة لتسألة رأية ايضا ٠ ونلاحظ هنا ان مكرم عبيد يتخوف من مجرد الحديث الى « الجماهير » لانها مجلة يسارية محددا بذلك موقف قيادة حزبه من الدعوة لتأسيس الجبهة » (٢) ٠

غير ان هذه الدعوة وبرغم معارضة القيادات التقليدية سرعان ما تتخذ طابعا عمليا فى صفوف الشباب فتنشر «الجماهير» نداء بعنوان « اطلاق الحريات ٠٠ » يقول « وتعتبر الاحزاب والهيئات الموقعة على هذا ان اطلاق الحريات فى هذه المرحلة الحاسمة هو الضمان الوحيد لقطع الطريق على كل مناورة استعمارية ترمى الى غير الجلاء فورا عن مصر والسودان دون قيد أو شرط » ويوقع لنداء عن الشباب الوفرى وجيه راضى ــ سيف الدين الغزالى،عن رابطة الطلبة المصريين ٠ سعد زهران ــ ميشيل كامل (حدتو) ، ومندوبون عن شباب حزب الكتلة وحزب العمال الاشتراكى ، والجبهة الاشتراكية (فتحى الرملى) ، وممثلى مؤتمر نقابات العمال العالمى (مراد القليوبى وهو عضو حدتو) وعن اللجنة التحضيرية للاتحاد النسائى (٣) ٠

ومع تطور الاحداث يتطور شعار « الجبهة الوطنية من نوع جديد » الى شعار « الجبهة الشعبية الوطنية » والفارق واضح فقوات الجبهة الشعبية الوطنية هى كما تقول « الجماهير » «العمال والفلاحين والطلبة والموظفين ٠٠ جبهة تضم كل وطنى مخلص مهما كان لونه ومهما كان حزبه» اى ان «الجماهير» وقد اصطدمت برفض القيادات التقليدية لحزبى الوفد والكتلة لاى تحالف مع الشيوعيين او حتى بعضها البعض تحاول ان تخوص معركة ــ توحيد

---

١ ــ الجماهير ، ١٩٤٧/٦/٣٠
٢ ــ الجماهير ، ١٩٤٧/٧/٣١
٣ ــ الجماهير ، ١٩٤٧/٩/٦

الصفوف الوطنية بدعوة القواعـــد الحزبية المخلصة الى « جبهة شعبية » « وها نحن الديمقراطيين نرفع لواءنا ، لواء الوحدة الوطنية، لواء الجبهة الشعبية ضد الاستعمار ، وها نحن الديمقراطيين نمد أيدينا فى قوة وحرارة واخلاص الى كل وطنى .. الى كل حزب وهيئة وطنية مستعدة ان تعلنها حربا شعواء على المستعمرين . ان برنامجنا هو برنامج كل عدو للاستعمار . ان شعارنا هو شعار كل وطنى مخلص . الجلاء فورا عن وادى النيل ـ الغاء معاهدة ١٩٣٦ ـ لا استئناف للمفاوضات بأى حال من الاحوال ـ لا معاهدة ولا تحالف مع الاستعمار ـ اطلقوا الحريات ـ دعوا الشعب يشعلها لهيبـــا ونيرانا على المستعمرين ـ لتحيا الجبهة الشعبية ـ لتحيا الوحدة الوطنية » (١) .

وفى نفس العدد خبر عن مظاهرة دعت اليها الجبهة الشعبيـــة الوطنية بعد انتهاء صلاة الجمعة بالازهر وتقول الجماهير انه رغم قـــوات البوليس الضخمة فقد تجمعت الوف من المتظاهرين تهتف « الشعب لا يريد محالفة » « تسقط امريكا » « تحيا روسيا » .. « وقد فرق البوليس المظاهرة بعد ان أطلق الرصاص ارهابا للوطنيين وقد أرسلت الجبهة الشعبية الوطنية برقية احتجاج الى نائب رئيس الوزراء » . ولم تكن هذه المظاهرة الا جزءا مـن موجة اضرابية دعت اليها « الجبهة الشعبية » بمناسبة ذكرى توقيع معاهدة ١٩٣٦ .. وقد استجابت جماهير غفيرة فى الاسكندرية وشبرا الخيمـة وفى عديد من مدن القطر . المحلة الكبرى . دمياط . المنصورة لهذا النداء حيث نشرت على صفحات « الجماهير » فى اعداد متتالية أخبار مظاهراتهـــا الصاخبة وانباء تشكيل لجان وطنية شعبية تضم ممثلى مختلف الاحزاب والقوى السياسية فى هذه المدن .

وتنشر «الجماهير» نداء الى مواطنى حى بولاق من الجبهة الوطنيـــة الشعبية ببولاق تدعوهم فيه الى تكوين « لجان وطنية فى كل شياخة تكون النواة التى يرتكز عليها نضالكم الرائع ضد الاستعمار واعوانه » (٢) .

لكن محاولة تتبع ذلك النشاط العارم تقودنا بعيدا عن محاولتنـــا الاساسية للتعرف على موقف « الجماهير » ومن ثم موقف منظمة حدتو مـن الاحزاب السياسية المختلفة ..

ولقد تابعنا موقفها من الوفد .. وحزب الكتلة ، فماذا عن الاحزاب الاخرى ان موقفها من السعديين والدستوريين واضح ومعروف .. ومن ثم بقى امامنا للتأمل الموقف من احزاب ثلاثة الاخوان المسلمين ومصر الفتاة والحزب الوطنى ..

وعن الاخوان المسلمين فاننا لسنا بحاجة الى تفصيل كثير لتأكيد موقف

---

١ ـ الجماهير ، ١٩٤٧/٨/٣٠

٢ ـ الجماهير ـ المرجع السابق

العداء الذى اتخذته « الجماهير » تجاههم فقد هاجمت منطلقاتهم السياسية باعتبارهم تجار دين ، فاشست ، عملاء للاستعمار .

واقد آكدت «الجماهير » ان تمة « جبهة موحدة من بيفن .. الى سن البنا » وكان ذلك فى معرض دفاعها عن الوفد عندما شن عليه الاخوانهجوما عنيفا . وكان رد « الجماهير » اكتر عنفا فقد ذكرت « الفاشى القزم » بكـــل جرائمه .. « وحين الف العمال والطلبة لجنتهم الوطنية ، هرعت ايها الفاشى الى صدقى تتأمر على اللجنة الوطنية ولخدمة الاستعمار .. والشعب يذكر لك كيف حاولت الوقيعة بين المسلمين والاقباط وما تفريقك لطوئف .شعب يناهض استعمارا ، عدا سياسة استعمارية مرسومة » .

وكان حسن البنا قد حاول الوقيعة بين النحاس ويسار حزبه ، وبين الوفد والشيوعيين فقال فى بيانه الذى وجهه للنحاس باشا فى ٩ـ٥ـ١٩٤٧ « ان الوفد فى ايامه الاخيرة قد تخللت صفوفه طوائف وافواج من ذوى الآراء الخطرة والمبادىء الهدامة الذين لا يدينون بغير الشيوعية مذهبا ، ولا يؤمنون بغير موسكو قيادة وتوجيها » وترد «الجماهير» على «البنا» ردا عنيفا مذكرة اياه بأنه يردد نفس نغمة الرجعيين والاستعماريين مؤكدة ان البنا قـــد استعار هجومه من«بيفن وتشرشل» (١) .

ثم تتبعت « الجماهير » نشاط الاخوان المسلمين فى كل مجال .. فى شبرا الخيمة حيث عملوا علنا لتخريب الاضرابات العمالية ولتكوين نقابة صفراء لم تضم فى صفوفها سوى ٢٥٠ عاملا من عشرين الف عامل فى شبرا الخيمة (٢) .

وتستخدم « الجماهير » الكاريكاتير فى هجومها على الاخوان .. «اعلان ـ مطلوب عضو لمكتب الارشاد العام للاخون المسلمين تكون مؤهلاته كمـا يأتى : يفرق صفوف العمال ـ يثير المعارك بين الطلبة ـ يوقع بين المسلمين والاقباط ـ يكون صديقا حميما للاستعمار البريطانى » (٣) .

وهى تتعقب قادة الاخوان .. « محمد سالم (عضو الاخوان) يستغل العمال . وتقول « الجماهير » ان محمد سالم يجبر العمال المشتغلين فىشركته على حضور محاضرات اخوانية وان من يتخلف عن حضور اى محاضرة يخصم منه اجر يوم ، وانه يوزع عليهم بالاكراه صحف الاخوان بعد ان يخصم ثمنها من مرتباتهم (٤) .

وتمضى الحملة العنيفة من اولعدد حتى آخر عدد ، فقد كانت «الجماهير» تعتبر ان كشف جماعة « الاخوان المسلمين » واحدا من اهم واجباتها ..

---

١ ـ الجماهير ، ١٢/٥/١٩٤٧
٢ ـ الجماهير ، ١٤/٤/١٩٤٧
٣ ـ الجماهير ، ١٩/٥/١٩٤٧
٤ ـ الجماهير ، ٩/٦/١٩٤٧

اما « مصر الفتاة » وزعيمها « أحمد حسين » فقد كان نصيبها ايضا هجوما متصلا ٠٠ والحقيقة ان مسلك « مصر الفتاة » في هذه الحقبة كان مليئا بالاخطاء سواء فى مسلكهم ضد القوى الوطنية والتقدمية ـ ابتداء من الوفد حتى الشيوعيين ـ او فى تحالفهم مع الحكومات الرجعية التى كانت تخون القضية الوطنية خيانة سافرة ٠٠ او فى محاولتهم تمجيد السيد الجديد « الاستعمار الامريكى » وعلى هذه الاوتار جميعا عزفت حملات الجماهير ضد «مصر الفتاة » ٠

وفى البداية تكتفى الجماهير بتسجيل السقطة التى تروما فيها أحمد حسين عندما «أرسل برقية مؤلفة من الف كلمة الى الرئيس ترومان هنأه فيها بالقرار الصادر بمساعدة اليونان وتركيا ورحب باهتمام امريكا بالشرق الاوسط ثم قال ان السياسة الامريكية لمقاومة الشيوعية يجب ان تشمل مصر » ٠

وامعانا فى اظهار احتقارها فان «الجماهير» تكتفى بايراد الخبر دون اى تعليق سوى العنوان «المصرى» ٠٠ «احمد حسين يمد يده للاستعمار »وهى تنشر تحت الخبر خبرا آخر « من صالح حرب الى أحمد حسين ٠ لقد جاهدت فأبليت وكافحت فأسديت» ولا تعليق من «الجماهير» (١) ٠

وتحت عنوان « أحمد حسين صديق الاستعمار الانجلو امريكى» تسجل «الجماهير» عليه فى مقال بتوقيع أ٠ج انه كتب ان مصر لاتستطيع ان تأخذ شيئا من عرض قضيتها على الامم المتحدة «لاننا لا نأخذ منها الا ما تسمح به امريكا وانجلترا ، فاذا شاءت مصر الفائدة الحقيقية فالسبيل الى ذلك ان تبحث الموقف مع امريكا منذ الان » (٢) ٠

ولا تجد «مصر الفتاة» ما ترد به على «الجماهير» الا قولها ان أ٠ح اختصار لـ «انا حمار» وفى العدد التالى تلتقط «الجماهير» الخيط لتذكر «مصر الفتاة» ان أ٠ح هى ايضا اختصار لـ «أحمد حسين» (٣) ٠

وبعد ذلك تتجرأ «الجماهير» فترسل مندوبا ليحصل على حديث من «أحمد حسين» وتجرى مشادات عنيفة وطريفة بين الاثنين ، لكن «الجماهير» تأخذ على زعيم مصر الفتاة انه قال «أنا أقر مبدأ التحالف مع بريطانيا بعد الجلاء» (٤) ٠

اما «الحزب الوطنى» فقد ركزت عليه « الجماهير»نيرانها ٠٠ بل واتهمته ـ هو ايضا ـ واتهمت قيادته « بالفاشية» ٠٠ لكن « الجماهير» لا تضع كل الحزب فى كفة واحدة فهى تقول « شباب الحزب الوطنى يكافح لتطهير الحزب الوطنى يكافح لتطهير الحزب من الفاشية » . وبعد مقدمة قصيرة عن دور الحزب فى الكفاح الوطنى تحت اقيادة مصطفى كامل ومحمد

---

١ ـ الجماهير ، ١٩٤٧/٤/٢١

٢ ـ الجماهير ، ١٩٤٧/٦/٢

٣ ـ الجماهير ، ١٩٤٧/٦/٩

٤ ـ الجماهير ، ١٩٤٧/٨/٤

فريد تقول «ولكن الحزب يرزح الان تحت قيادة جديدة قيادة حافظ رمضان ٠٠ وسياسته منذ ان ولى رئاسة الحزب حرب على الاستقلال ٠٠ وعـــون للاستعمار والاحتكار فها هوذا يؤيد العهد الحاضر ويدافع عن سياسته ، ويشترك معه فى الحكم مخالفا مبادىء محمد فريد ٠٠ ويتبارى حافظ رمضان فيضم كل العناصر الفاشية التى لا تخدم سوى الاســـتعمار ، فيعين فتحى رضوان عضو «مصر الفتاة» السابق سكرتيرا للشباب ، ويحاول تأليف لجنة قومية من الاخوان ومصر الفتاة وصالح حرب ٠٠» ٠ وتطالب «الجماهير» شباب الحزب الوطنى بالضغط من أجل عقد جمعية عمومية للحزب « تغير سياسة الحزب الى سياسة وطنية حقة تعترف بكيان الشعب وقوة حقوقه» والتوقيـــع «ديمقراطى من الحزب الوطنى» (١) ٠

وعندما يوجه سعد الدين كامل عضو اللجنة العليا لشباب الحـــزب الوطنى نقدا للجماهير يدافع فيه عن فتحى رضوان تنشر الجماهير النقـــد ولكنها ترد عليها ردا اكثر عنفا «نعم ٠٠ ان الحزب الوطنى يقوده فاشيون» وتشير الى مقالات نشرت فى «اللواء الجديد» تمتدح الحكم الفاشى فى اسبانيا واخرى تمجد جرونر الارهابى الصهيونى » اما عن فتحى رضوان فتقـــول الجماهير أن ماضيه « فى مصر الفتاة وكتاباته الكثيرة فى مجلتهم عن تحبيذ الهتلرية والموسولينية لشاهد قاطع على ميوله الفاشية» (٢) ٠

٠٠ وهكذا وبعد جولة طويلة ٠٠ لكنها ــ وبالقطع ٠٠ ليست كافية ، يمكننا ان نلخص اتجاهات «الجماهير» فى نقاط خمس ٠٠

● التأكيد على ضرورة قيام حزب جديد يمثل طليعة الطبقة العاملة المصرية ٠٠ وان قيام هذا الحزب حتمية تاريخية ٠

● منهج التحالف والصراع مع الوفد وحزب الكتلة ٠٠

● منهج الادانة للسعديين والدستوريين ٠٠

● تركيز ما يسمى باتجاه الضربة الرئيسية الى أحزاب « البرجوازية الصغيرة» التى وصفتها بأنها « فاشية او شبه فاشية» الاخوان المسلمين ــ مصر الفتاة ــ الحزب الوطنى ٠٠

● الدعوة لجبهة وطنية ٠٠ فلما تقاعست قيادات الاحزاب الوطنية عن التحالف مع الشيوعيين بدأت الدعوة لتأسيس «جبهة وطنية شعبية» ٠

★ ★ ★

ولقد نظمت «الجماهير» موجات من الحملات السياسية نجحت نجاحا

---

١ ــ الجماهير ، ١٩٤٧/٦/٢٣

٢ ــ الجماهير ، ١٩٤٧/٧/١٤

باهر الا انها كانت تتلقى على الفور مساندة واسعة من قوى التنظيم الحـــزبى المستعدة فورا للتحرك تلبية لاى نداء ٠٠ ومن جماهير غفيرة كانت على استعداد دائم للتحرك فى ظل الشعارات التى يرفعها ، وتحت قيادته ٠٠

والحملات عديدة لكننا سنكتفى بنماذج أربع ، اندونيسيا ٠٠ العراق ٠٠ اضراب المحلة الكبرى ٠٠ الكوليرا ٠٠

ولقد تعمدت هذا الاختيار لا لان هذه الحملات كانت اكثر الحمـــلات نجاحا وانما لانها تعبير عن اهتمامات «الجماهير» المتعددة الجـــوانب مـــن مساندة لحركة التحرر الوطنى العالمية (اندونسيا) الى التضامن مع الشيوعيين العرب (العراق) الى مساندة كل تحرك طبقى (اضراب عمال المحلة الكبرى) ٠٠ او التصدى لحل مشاكل الجماهير والعمل فى خدمتها (مقاومة الكوليرا) ٠

مؤكدا قبل ان ابدأ انه ما من سبيل أمامى سوى الاجتزاء فالحديث المفصل يحتاج الى مجلدات ٠٠

وعن اندونيسيا بدأت «الجماهير» حملتها بشرح متواصل لكفـــاح الشعب الاندونيسى فى سبيل استقلاله وحريته ٠٠ وتحت عنوان « الشعب الاندونيسى يرفض الرضوخ للاستعمار» تروى «الجماهير» قصة الاستعمار الهولندى لاندونيسيا وتآمر الاستعمارين الانجليزى والامريكى معه ضـــد مصالح الشعب الاندونيسى المناضل وتقول «لا يسعنا الا ان نســـجل على الحكومات العربية موقفها السلبى من قضية الشعب الاندونيسى» ٠٠ «وقـد ضرب لنا الشعب الاندونيسى اوقع مثل لكفاح الشعوب وبين لنا ان الطريق الوحيد للحرية والاستقلال هو انتزاعهما انتزاعا ، فعلى الوطنيين المصريين وقد تأكدوا ان قضية اندونيسيا هى قضيتهم ان يرفعوا صوتهم عاليا مؤيدين الشعب الاندونيسى فى كفاحه» (١) ٠ وموضوع آخر «ليقف شعب مصر وراء الشعب الاندونيسى المكافح» ٠٠ وفى هذا الموضوع تحرص الجماهير عـلى ان تنقل عن البرافدا السوفيتية « ان الجنود الهولنديين يحاربون بملابس وعتاد أمريكيين ، فان اصبع الدولار المسلح تحرك الاستعماريين الهولنديين ٠٠ ولكن الشعب الاندونيسى مصمم على صد هذا العدوان ٠٠ وهو لا يقف وحده فعمال وشعوب العالم تقف من ورائه ٠٠٠ » وتحرص الجماهير ايضا على تبرز «ان الحزب الشيوعى الهولندى وجه نداء الى نقابات العمال وخاصة نقابة عمال الموانىء والارصفة بالاضراب عن شحن الجنود والعتاد الى اندونيسيا، وهكذا اثبتت الطبقة العاملة فى كل مكان انها طليعة النضال من اجل الحرية والديمقراطية» ٠ وأخيرا تؤكد الجماهير « ان كفاح الشعب الاندونيسى من اجل حريتة واستقلاله هو جزء من كفاح الشعوب المستعمرة ضد مستعمريها ٠ والكفاح ضد الاستعمار الهولندى هو فى الواقع كفاح ضد الاســـتعماريين

---

١ ـ الجماهير ، ١٩٤٧/٧/٢٨

البريطانى والامريكى» (١) .
ثم تبدأ المعركة الحقيقية عندما يذيع راديو الجمهورية الاندونيسية ليلة ٣١ يوليو ٤٧ نداء موجها الى عمال الشرق الاوسط وشبابه يهيب بهم ان يمنعوا مرور السفينة الهولندية «تولندام» التى تصل الى بور سعيد والسويس خلال سبعة ايام حاملة جنود الاستعمار وذخيرته فى طريقها لحرب الشعب الاندونيسى .. وتلتقط «الجماهير» الخيط وتشن اوسع حملة جماهيرية لمنع هذه السفينة من المرور ..

وتبدأ الحملة ببرقية الى رئيس الوزراء (ستمر السفينة الهولندية تولندام عبر قنال السويس حاملة ٢٠٠٠ جندى وعتادا حربيا لتوجيهها الى صدر الشعب الاندونيسى المجاهد فى سبيل حريته واستقلاله . ومجلة «الجماهير» تطالب الحكومة المصرية بمنع مرور هذه السفينة الهولندية الاستعمارية ــ محمود النبوى» .

لكن الجماهير لا توجه نداءها فقط إلى الحكومة .. وانما توجهه اساسا الى «عمال وشباب مصر» «يا عمال مصر ــ يا شباب مصر .. لو مرت هذه السفينة عبر بلادنا .. وكل ما فيها موجه للقضاء على الجمهورية الاندونيسية الحرة لبقى هذا العار عالقا بتاريخ نضالنا وايماننا بالحرية .. على عمال مصر وشبابها وشعبها .. علينا ان نهب جميعا لنمنع هذه الجريمة ..لنوقف هذه السفينة .. لنعيدها لاصحابها المستعمرين مشيعة باللعنات ، يا عمال مصر وشباب مصر يا عمال بور سعيد والسويس فلتجعلوا من موانى السويس وبور سعيد قلاعا للحرية لا يمكن ان تمر منها سفينة تحمل الموت الى شعب شقيق مكافح»

وبرواز صغير فيه موجز لنداء وجهه الحزب الشيوعى الهندى الى عمال الموانى يحثهم على مقاطعة هذه السفينة (٢) .

وتعقد رابطة الطلبة المصريين اجتماعا تقرر فيه تكوين لجنة للدفاع عن اندونيسيا وتطالب :

« ١ ــ منع الطائرات والبواخر الهولندية الذاهبة الى اندونيسيا من الرسو فى مطاراتنا وموانينا .

٢ ــ مطالبة الحكومة المصرية بالاحتجاج على هذا العدوان الغاشم ..

٣ ــ ان تقوم هذه اللجنة بفتح الاكتتابات الواسعة لمساعدة اخواننا الاندونيسيين واصدار كتيبات ونشرات وبيانات توضح للشعب المصرى قضية زميله الاندونيسى المناضل» (٣) .

وتطالب رابطة الطلبة المصريين فى بيان لاحق .. بمقاطعة السفينة تولندام (٤) .

---

١ ــ المرجع السابق
٢ ــ الجماهير ، ١٩٤٧/٨/٤
٣ ــ المرجع السابق
٤ ــ المرجع السابق

ولم يكن كل هذا التحرك غير جزء من حملة عامة خاضت «الحـــركة الديمقراطية للتحرر الوطنى» (حدتو) غمارها وأصدرت خلالها بيانا بعنوان «يا عمال الشحن بمينائى بور سعيد والسويس كافحوا فى ســـبيل اندونيسيا» وتؤكد «حدتو» فى هذا البيان ان هـــولندا الضعيفة لم تكن لتستطيع محاربة ٧٠ مليون اندونيسى دون تأييد الاستعمار الانجلو امريكى. وتختتم البيان « يا عمال الشحن ببور سعيد والسويس ضموا صوتكم وكفاحكم الى كفاح عمال العالم ضد الاعتداء على الشعب الاندونيسى اوقفوا شـــحن السفن الهولندية والانجليزية المتجهة لمحاربة الشعب الاندونيسى . انيتـــوا انكم تؤيدون قضية الحرية » (١) .

وتنجح الحملة نجاحا منقطع النظير .. وتخرج الالوف من عمـــال بور سعيد والسويس لتمنع السفينة «تولندام» من مجرد الاقتراب من الميناءين .. وتضطر الحكومه الى حتشد قوات ضخمة من البوليس تصطدم بالاهالى فى محاولة لافشال المقاطعة .. ان الجماهير تنتصر .. وتعود «تولندام» من حيث أتت ..

وتوجه «الجماهير» تحية «الى زملائنا اهالى بور ســـعيد .. اليكم يا اهالى السويس والاسماعيلية نحيى موقفكم الوطنى .. فى منع الباخـــرة «تولندام» من الاقتراب من الميناء ، ان تصدى البوليس لكم اعتداء صارخ على شعوركم من قضية حرية الشعب الاندونيسى . ان هذا التصرف هو اعتـداء صارخ على قضيتنا الوطنية » (٢) .

وترسل «الجماهير» احد مندوبيها ليعد تحقيقا صحفيا عن مواجهـــة جماهير عمال بور سعيد لقسفينة تولندام .. ورجال البوليس .
صورة عشرات اللنشات والمراكب الصغيرة تملأ الميناء رافعة اعـــلام الجمهورية الاندونيسية . الوف من العمال والشباب يهتفـــون « يسقط الاستعمار الهولندى» ، «عاشت اندونيسيا حرة» .

وما ان ظهرت السفينة «تولندام» حتى احاطت بها اللنشات لتمنعها من التقدم الى الميناء ولتمنع ربطها الى الميناء .. وقامت معركة تمكنت فيهـــا الجماهير من القاء التموين المخصص للسفينة الى البحر .. ومنع ربطها ، وباتت السفينة تحرسها لنشات البوليس وتسندها خوفا من غرقها لانالعمال امتنعوا عن ربطها .. وفى الفجر عادت السفينة من حيث اتت تحرسها مدمرة بريطانية .. (٣)
ويكفى هذا النجاح تعبيرا عن نجاح الحملة التى نظمتها «الجماهير» .
.. ولنأت بعد ذلك الى الحملة الاخرى .. والتى نظمت دفاعا عـــن

---

١ ـ الجماهير ، ١٩٤٧/٨/١١
٢ ـ المرجع السابق
٣ ـ الجماهير ، ١٩٤٧/٨/٣٠

« الشيوعيين فى العراق » وتبدأ الحملة بمقال كتبه حمدى (شهدى الشافعى) بعنوان « حملة صليبية ·· فى العراق» نبه عن حملة الارهاب التى شنهـــا النظام الرجعى بالعراق ضد كل القوى الوطنية ·· «وكان نصيب الشيوعيين العراقيين من الارهاب كبيرا فقد شنت ضدهم حربا واسعة شاملة وانتهى المطاف بالقبض على يوسف سلمان سكرتير الحزب الشيوعى ·· انها حمله صليبية خاسرة ـ جربها هتلر وموسولينى فكان مصيرهما الهزيمة الساحقـة ·· وكان النصر للشعوب» (١) ·

وعندما يحكم بالاعدام على الرفيق فهد ورفاقه تشن «الجماهير» حملة عنيفة وتخرج بافتتاحية عنوانها «ينصبون المشانق للوطنيين» جاء فيهـــا «حكم رهيب ·· لم يسبق قط لمحكمة فى الشرق العربى ان أصدرته · حكم بالاعدام على ثلاثة من العراقيين وبالسجن مدى خمسة عشر عاما وبأحكام اخرى مختلفة على آخرين ·· ، بتهمة الشيوعية اعدام ؟ سجن خمسة عشر عاما ؟ اى جريمة ارتكبها القوم ·· »

وتحذر الجماهير القوى الوطنية فى العراق فاذا «كانت هذه الضربة المسمومة تصوب اليوم الى اشد المعارضين صلابة بحجة انهم شيوعيون فلن تلبث الضربة ان توجه فى الغد الى كافة احزاب المعارضة العراقية ·· اننـــا نهيب بالضمير المصرى والمعارضة المصرية والمنظمات الشعبية المصرية والجامعة العربية والحكومة المصرية ان ترفع صوت الاستنكار يصك آذان المستبدين والطغاة ·· انها ليست مسألة العراق ، انما هى مسألة الشرق العربى ومكانته أمام الشعوب الاخرى ، مسألة الحريات المقدسة فليدو صــوت الشــعوب العربية صارخا : الغوا حكم الاعدام ·· انقذوا هذه الرقاب ·· امنعوا اقتراف الجريمة» (٢) ·

وفى نفس الصفحة كاريكاتير يصور الرجعية العراقية والاســتعمار البريطانى ينصبون مشنقة ويقولون « لكل دوره .. ولنبدا بالشيوعيين » .

وفى نفس العدد صفحة كاملة عنوانها « يا ايها الوطنيــون فى مصر والشرق العربى · قفوا هجوم الاســتعمار · طالبوا بزوال المشانق من العراق · أوقفوا الاستبداد عن جماهير شعبنا» · وبداية الموضوع فقرة تقول ان الشرق الاوسط قد تحول كله بفضل سيطرة الحكومات الرجعية الى معسكر اعتقال ·· ثم تنتقل «الجماهير» الى دراسة الوضع فى العراق وكيف تسلطت حكومة نورى السعيد على الحكم لتقود البلاد الى احضان الاستعمار ثم تتحدث عن أحكام الاعدام على الشيوعيين فتقول «اننا لنحس فى مصر معنى شنق الوطنيين فلا يزال فى ذاكرة شعبنا حادثة دنشواى . ولا احسب ان جماهير شعبنا تغمض العين عن دنشواى العراق» (٣) ·

وفى نفس العدد ايضا قصيدة «العدالات والمواثيق» لمحمود توفيق ··

---

١ ـ الجماهير ، ١٩٤٧/٦/٩

٢ ـ الجماهير ، ١٩٤٧/٦/٣٠

٣ ـ المرجع السابق

وفى عدد لاحق قصيدة كمال عبد الحليم «وتعدلون فيأتى عدلكم عجبا»(١) ٠
وفى أعداد تالية تواصـــل « الجماهير » حملتها ٠ وعندما يمر الامير عبدالاله الوصى على عرش العراق ونورى السعيد وكانا فى طريقهما لانجلترا، تستقبلهما «الجماهير» بمقال عنوانه «ماذا يدبرون للعراق ؟ ينصبون المشانق ـ يعلنون الاحكام العرفية ـ مفاوضات على غرار صدقى ـ بيفن» (٢) ٠

وتشير «الجماهير» بعد ذلك الى نجاح حملة الضغط العالمية والعربية فى اجبار الرجعية العراقية على تخفيف احكام الاعدام ٠٠ لكنها تصمم « اعفوا عنهم ! لا يكفى ان تلغوا احكام الاعدام » (٣) ٠
والموضوعات عن العراق كثيرة جدا ٠٠ والحملة التى نظمتها «الجماهير» كانت قويه بل وعاتية وكانت تعبيرا صادقا عن الاحساس بالتضامن القومى والاممى ٠٠ وكانت الاستجابة الجماهيرية للمشاركة فى هذه الحملة واسعة بغير حدود ٠
ولنأت الى الحملات الداخلية ٠٠ والنموذج الذى نقدمه حملة التضامن مع الاضراب الكبير لعمال النسيج بالمحلة الكبرى ٠٠

ولم تكن « الجماهير » غريبة عن هذا المجال فلقد تحدثت عنه طويلا ٠٠ وأفردت لكفاح عمال المحلة صفحات عديدة ٠٠ أهمها ذلك التحقيق الصحفى الذى أعدته بعنوان « ٢٦٠٠٠ من عمال شركة مصر بالمحلة بين اســـتبداد الاحتكاريين ونقابة من الجلادين » ويتضمن ذلك الريبورتاج دراسة مفصلة ـ كعادة الجماهير ـ عن الظروف الاجتماعية والاقتصادية لعمـال شركة مصر بالمحلة ٠٠ وفى الختام توجه «الجماهير» النداء التالى « عليكم يا عمال المحلة انتم والشعب كله أن تخلصوا أنفسكم من سيطرة هذا النفر من الاحتكاريين المغتصبين بأن تعملوا لتأهيل (تأميم) هذه الشركة الاحتكارية كى تدار لصالح الشعب ولصالحكم انتم الذين بنيتموها ، وأنتم الذين تعملون فيها ، لالصالح حفنة من الاحتكاريين » (٤) ٠

كذلك لم تكن «الجماهير» بعيدة عن تنظيم هذا الاضراب الكبير فكل الدلائل تشير الى ان كوادر «حدتو» بالمحلة هى التى نظمت «لجان الاضراب السرية» وكان رئيس هذه اللجان هو محمد حمزه عضو حدتو ٠ وانفجرت المعركة الاضرابية التى قلبت المدينة كلها الى ميدان قتال تصادم فيه ٢٦٫٠٠٠ عامل مع آلاف من جنود البوليس ثم الاف أخرى من جنود الجيش المسلحين بالدبابات والسيارات المصفحة ٠٠ ومن الملفت للنظر ان مطالب العمال المضربين كانت تتفق الى حد التطابق مع المطالب التى كانت « الجماهير » تحددها بالنسبة

---

١ ـ الجماهير ، ١٩٤٧/٧/١٤
٢ ـ الجماهير ، ١٩٤٧/٧/٢١
٣ ـ المرجع السابق
٤ ـ الجماهير ١٩٤٧/٦/٢

للاوضاع فى شركة المحلة ٠٠ حل النقابة الصفراء ٠٠ انتخاب نقابة جديدة ـ الغاء لائحة الجزاءات ٠٠ رفع الاجور بنسبة ٢٥ بالمائة ٠٠ عـــدم توفير العمال ٠٠ » (١) ٠
وكان الصدام داميا واستشهد من العمال اربعة ٠٠

وترسل «الجماهير» برقية الى رئيس الوزراء بالنيابة «نستنكر بشدة الاعتداءات الدامية التى وقعت على عمال المحلة ٠٠ كما نستنكر تعسف الشركة بهم ٠ ونطالب فورا بتدخل الحكومة لانصاف العمال» ٠

ثم تدعو «الجماهير» كل عمال النسيج للتضامن مع زملائهم ٠٠ وتتحرك الكوادر الحزبية العمالية لتضع حملة التضامن موضع التنفيذ على نطاق قومى شامل لم يسبق لمصر ان شهدت له مثيلا ٠٠ وتحت شعار « يا عمال النسيج اتحدوا» تنشر «الجماهير» انباء عن نضامن اتحادات عمال النسيج فى شبرا الخيمة والمحلة وكفر الدوار والاسكندرية مع العمال المضربين ٠٠
٠٠ وتلجأ «الجماهير» الى شعب المحلة فتنظم له استفتاء يعبر فيه عن تضامنه مع العمال المضربين (٢) ٠

ويضرب ٢٠٫٠٠٠ من عمال النسيج فى شبرا الخيمة تضامنا مـــع عمال المحلة واستجابة لنداء «الجماهير» وتعلق «الجماهير» على هذا الاضراب التضامنى قائلة « لم تكن لتمر معركة عمال المحلة الكبرى دون ان يكون لهـا صدى قوى بين عمال مصر كافة وعمال النسيج بشبرا الخيمة خاصـــة ٠٠ اذ أعلنوا اضرابا عاما أغلقت بسببه جميع المصانع فى شبرا الخيمة ٠٠ لقـد أحس اليوم عمال النسيج فى كافة انحاء القطر بالوحدة القوية التى تربطهم ٠٠ ان عمال النسيج ليسجلون بدمائهم وحدتهم المقدسة فى الكفاح من اجل الدفاع عن حقوقهم » (٣) ٠

ثم تفتتح «الجماهير» اكتتابا عاما لشهداء المحلة قائلة «لقد سقط اربعة من عمال المحلة وهم يكافحون من اجل قوتهم وقوت اولادهم وعائلاتهم ٠٠ لقد تركوا صغارا دون عائل ٠٠ فاكتتبوا لهم ٠ ان اكتتابكم لرمز للتعاون والاخاء بين المظلومين والكادحين جميعا فى مصر» (٤) ٠

وتستمر «الجماهير» فى نشر قوائم التبرعات لشهداء عمال المحلة لفترة طويلة ٠٠ كذلك فقد نظمت «الجماهير» حملة على النطاق القـــومى للتضامن مع عمال المحلة وتزخر صفحات الاعداد التالية ببيانات التأييدلعمال المحلةمن هيئات ونقابات وتجمعات عمالية عديدة « ٠٠عمال وعاملات مصانع

---

١ ـ الجماهير ، ١٩٤٧/٩/٦
٢ ـ المرجع السابق
٣ ـ الجماهير ، ١٩٤٧/٩/٦
٤ ـ المرجع السابق

الغزل والنسيج بالمطرية والزيتون ، نقابة عمال الامنيبوس المصرية ، اتحاد تجار البحر ببور سعيد ، اللجنة الوطنية بحى القلعة ، عمال مصنع سباهى بالدرب الاحمر ٠٠ الخ» ٠

كذلك تنشر «الجماهير» اقتراحا من جبهة عمال مدينة المنصورة باعتبار يوم ٢ سبتمبر يوم شهداء عمال المحلة ٠٠ عيدا لكفاح العمال المصريين » (١) ٠

ويتولى محامو مكتب الاستشارات القنونية بالجماهير وعلى رأسهم على الشلقانى الدفاع عن العمال المقبوض عليهم ٠٠ بينما ترسل «الجماهير» مندوبين عنها ليواصلوا تعبئة الجهود فى المحلة وفى القرى المحيطة بها حيث تتواجد مصادر الأيدى العاملة الاساسية ٠٠ ويتجول هؤلاء المندوبون لا ليعكسوا فقط رأى «جماهير العمال وانما ليسهموا فى عملية التعبئة والتنظيم ٠٠» (٢) ٠

ثم تتطور حملة التضامن مع عمال المحلة فتحقق نتائج باهرة حيث ننجح فى توحيد كل نقابات عمال النسيج فى اتحاد عام لعمال الغزل والنسيج ٠٠ يتكون من ممثلين لعمال النسيج بشبرا الخيمة والقاهرة والمحلة الكبرى ودمياط والاسكندرية ويصدر الاتحاد بيانا يعلن انه «ازاء الاضطهادات التى تعانيها الطبقة العاملة عامة وعمال النسيج والغزل خاصة ، ازاء السياسة الاستبدادية التى تتبعها الشركات التى لاغرض لها سوى الربح والربح فقط ٠٠ وازاء مشكلة المحلة ٠٠ اجتمع ممثلو عمال النسيج وقرروا تأسيس اتحادهم العام » ٠٠ ويطالب الاتحاد فى اول قرار له «بوجوب فتح مصانع المحلة فورا دون قيد او شرط واجابة مطالب العمال ٠ ويحمل الاتحاد ادارة الشركة وجهات الاختصاص مسئولية ما يحدث اذا لم تجب مطالب العمال العادلة ٠ فيا عمال الغزل والنسيج بالقطر اتحدوا ٠٠ ويحيا اتحاد الطبقة العاملة» (٣) ٠

وهكذا تصل الحملة الى قمتها ٠٠ محققة نتائج باهرة ٠

وفى صيف عام ١٩٤٨ اجتاحت الكوليرا مصر ٠٠ وكان مصدرها منطقة الاحتلال الانجليزى بقناة السويس ، ومع بداية الكارثة المروعة كانت «الجماهير» فى المقدمة تعمل فى كل الجبهات ٠٠ تدين الاستعمار مصدر الوباء وتنشر الارشادات الطبية وتطالب بأوسع حملة جماهيرية منظمة لانقاذ مصر من الوباء ٠٠

وتخرج الافتتاحية بعنوان « كوليرا سياسية » ويوقعها حمدى (شهدى الشافعى) وتقول « كوليرا تجتاح البلاد مصدرها فايد اى منطقة الاحتلال ٠٠ كوليرا اخرى لا تقل عنها خطورة مصدرها لاظوغلى بالقاهرة ٠٠٠ كوليرا سياسية تحاول ان تصرف الانظار عن الطريق الوحيد لنيل الاستقلال الا وهو اعداد الشعب تحت قيادة وطنية مخلصة ٠٠ اعدادا مسلحا ضد الغاصبين» ٠

ويدعو حمدى الى تنظيم مقاومة وباء الكوليرا ٠٠ لكنه أيضا يدعو الى

---

١ ـ الجماهير ، ١٩٤٧/٩/٢٨

٢ ـ الجماهير ، ١٩٤٧/٩/٢١

٣ ـ الجماهير ، ١٩٤٧/٩/٢٨

مقاومة الكوليرا السياسية «كوليرا التسويف وتحويل الانظار يجب حربهـا وتطهيرها . فلنجند الشعب ليطهر البلاد » .

وفى الصفحة الاولى وبدلا من البرواز الذى كانت تقدم فيه «الجماهير» أهم خبر فيها تحت عنوان «قبل الطبع» يوجد برواز آخر بعنوان « الطبيب يقول » تقدم فيه«الجماهير» ارشادات لمقاومة الكوليرا .. والمانشيت الرئيسى « نحن ندعو الى تكوين كتائب ضد الكوليرا » . ثم نداء من الجمـــاهير « ان الجماهير لتدعو الى تكوين كتائب من كافة الزملاء من اصدقاء هـــذه المجلة ومحبيها .. نظم نفسك فى كل حى وكل شياخة مع زملائك لتزود جيرانك بالتعليمات الصحية .. ستنظم المجلة توزيع منشورات تتضمن تعليمـــات الوقاية الصحية الكافية .. يا اصدقاء «الجماهير» .. انزلوا الى الجماهير انهم فى حاجة اليكم .. كونوا كتائب ضد الكوليرا .. كونوا كتائب الجماهير ضد الوباء .. انقذوا الوطن» (١) .

وتتلقف الكوادر الحزبية وقراء مجلة «الجماهير» وأصدقائها هـــذه الدعوة وبسرعة تنتشر لجان مقاومة الكوليرا «فى مختلف الاحياء .. وخاصة الاحياء الشعبية . وتشاهد الاحياء الفقيرة ـ ربما لاول مرة ـ طالبات مـن الجامعة وطلبة ومثقفين وعمال يقتحمون الحى فى حملات تنظيف وتوعيـــة وتحصين بالمصل الواقى .. واجتاحت مصر كلها موجة من النشاط العارم كان قوامها هؤلاء الشبان الذين أيقنوا ان مقاومة وباء الكوليرا «كفاح سياسى» وان ترك الوباء يستشرى ليس فقط خطرا يهدد الارواح ولكنه خطر يعصف بالقضية الوطنية التى كانت تنتظر حلا .

وفى العدد التالى تقدم «الجماهير» صورة فوتوغـــرافية لعدد مـــن الكادحين يتناولون طعامهم جلوسا على الارض « لقد قضت سياسة الاستعمار والحكومة ..ان يعيش ابناء الشعب عرايا يأكلون الفتات الملوث بالكوليرا..» .

والافتتاحية عنوانها «العلاج الوحيد .. الجلاء ورفع مستوى المعيشة » وتقول .. «ان علاج الاوبئة والفقر ليس فى الامصال الواقية والمســـكنات الوقتية بل فى طردنا للمستعمر ،ورفع مستوى معيشتنا . فلنكافح ولنناضل من اجل حريتنا واستقلالنا .. لترفع الاجور والمرتبات ، وتخفض الاسعار ، ولتفرض الضرائب التصاعدية ، ولتخفض ايجارات الاراضى ولترسم سياسة اقتصادية ترمى الى تحريرنا من ربقة الاستعمار ولنتعاون مع الدول الصديقة المستعدة لامدادنا بالمنتجات والآلات دون تدخل او استعباد .. هذا هـــو الطريق واضح بين ، فاما استقلال ورخاء .. واما اوبئة ومجاعات » (٢) .

وتواصل «الجماهير» حملتها فتحذر فى افتتاحية اخرى « الكوليـــرا تشتد .. والمجاعة تقترب » وتعلن «الجماهير» مسئولية الحكومة الرجعية عن تزايد انتشار الوباء .. وتقول « .. يطالب الاطباء بالنظافة وتطهير المنازل

---

١ ـ الجماهير ، ١٩٤٧/٩/٢٨

٢ ـ الجماهير ، ١٩٤٧/١٠/٥

بالفنيك والد.د.ت فهل وزعت الحكومة هذه المواد على الطبقات الشعبية؟ هل خفضت الحكومة اسعار الصابون والغاز والمواد الاساسية لمكافحة الوباء ؟ وهل فرضت الحكومة على الاغنياء الآمنين من المرض ضريبة استثنائية ولتسمى «ضريبة الوباء» .. وتذيع وزارة الصحة فى نشراتها ان اغلوا كل شيء لتقتلوا الميكروب ؟ .. فى الوقت الذى تأمر فيه الحكومة بتخفيض مقررات الكيروسين الربع ، وفى الوقت الذى ما زالت فيه شركات البترول الانجليزية والامريكية تفرض الاسعار المرتفعة للغاز » . وتمضى الجماهير مؤكدة « ان انتشار الاوبئة نتيجة حتمية لسياسة افقار الجماهير » .

ان الحكومة الرجعية تتراخى فى مكافحة الكوليرا انها « لا تتحرك .. ومصممة على الاحتفاظ بمراكزها ولو أفنت الآلاف بل الملايين » .. بينما تؤكد الافتتاحية ان آلافا من اصدقاء مجلة «الجماهير» قد تطوعوا لمكافحة الوباء وهم غير مطعمين ضد الوباء (١) .

وتسجل «الجماهير» باعتزاز «لقد لبى الشعب نداء «الجماهير» .. فتالفت كتائب الكوليرا فى الاحياء والاقاليم» . وتروى «الجماهير» فى صفحة كاملة قصصا رائعة للشبان من اصدقاء الذين قادوا جماهير الشعب فى معركة مكافحة الوباء .. وكيف خرج طلبة وطالبات الجامعة يكنسون الشوارع ويوزعون المنظفات ويقومون بعملية «التطعيم» ضد المرض .. والطالبات والعاملات يطرقن ابواب البيوت الفقيرة يتكلمن عن النظافة والوباء .. والاستعمار .. والرجعية ، وعن حقوق الشعب الكادح ..

وهكذا كانت «الجماهير» نموذجا للمجلة اليسارية الحقة التى تستند فى حركتها على جموع الشعب ..

كانت «الجماهير» المجلة .. و «الجماهير» الشعب يمتزجان معا فى سيمفونية نضالية رائعة ..

★ ★ ★

ويبقى الكثير كى يقال ..

لكننا سنحاول ان نمر سريعا على علامات رئيسية اخرى ..

هناك مسألة اخرى هامة وهى الموقف من القضية الفلسطينية ولقد كانت «الجماهير» واحدة من اهم المنابر التى اهتمت بهذه القضية اهتماما كبيرا ومتصلا ومتعدد الزوايا «نحن نكافح من اجل فلسطين مستقلة ديمقراطية » هكذا تحدثت الجماهير الى لجنة التحقيق الانجلو امريكية وقالت «ان قضية فلسطين واضحة لا تحتاج الى لجان ولا بحوث ولا تقارير ، ان

---

١ ــ الجماهير ، ١٩٤٧/١٠/١٢

الشعب الفلسطيني يريد ان يتخلص من استعماركم واستغلالكم وظلمكم وارهابكم . الشعب الفلسطيني يريد استقلاله وحريته . يريد ديمقراطية ومساواة يتمتع بها جميع المواطنين من عرب ويهود ٠٠ ان استقلال فلسطين يستلزم جهادا متصلا من سكان فلسطين واتحاد صفوفهم وتخلصهم من النفوذ الصهيوني اداة الاستعمار من جانب والرجعية العربية ذنب الاستعمار من جانب آخر ٠ ان قضية فلسطين تتلخص فى كلمتين كفاح من اجل الجلاء والديمقراطية» (١) ٠

وبالكاريكاتير ٠٠ صورة للشعب الفلسطيني تحاول الصهيونية بمساعدة من ترومان وبيفين تكبيله بالاغلال ٠٠ ثم عبارة تقول «هذا ما يريده الاستعمار الانجلو أمريكي واذنابه الصهيونيين بالشعب الفلسطيني ولكن الشعب مصمم على تحطيم القيود » (٢) ٠

وفي دراسة مستفيضة اعدتها «الجماهير» عن فلسطين بمناسبة مناقشة القضية الفلسطينية على الامم المتحدة ٠٠ تتحدث عن جذور المشكلة وتقول «ان فلسطين قد بليت بنوعين من الرجعية صهيونية عدوانية ورجعية عربية٠٠ وكلا الرجعيتين حريصتان على ابقاء الاستعمار » ٠

وتمضى الدراسة لتستخلص عددامن الدروس الهامةمنها «انالصهيونية لا يمكن ان تعيش دون مستعمرين » (٣) ٠

وفي صفحتها النظرية المسماة «القاموس السياسي» تخصص «الجماهير» احدى دراساتها لتعريف «الصهيونية» وتحكى الدراسة قصة اضطهاد اليهود فى أوربا ونشأة الحركة الصهيونية كحركة عنصرية وتقول « استخدم استعماريو العالم الرأسماليين اليهود فى بث سموم النظرية الصهيونية العنصرية بينهم وتضليلهم بأنهم شعب لا يمكنه الاندماج فى وسط الشعوب الاخرى وان حل مشكلتهم والقضاء على اضطهادهم انما يكون بتكوين دولة يهودية في فلسطين » وتتنبأ الدراسة فى بعد نظر علمي يستحق الاعجاب بالسياسة التى سوف تنتهجها هذه الدولة الصهيونية عندما تقوم فتقول انها ستحول ارض فلسطين الى «نقطة استراتيجية يستغلها الاستعمار فى القضاء على الحركات التحريرية العربية وكقلعة استعمارية ضدالشعوب، وتهيىء الصهيونية الفرصة لاستغلال رؤوس الاموال الانجليزيةوالامريكية باستعباد العمال والفلاحين من العرب واليهود على السواء ونهب الثروات الطبيعية فى البلاد العربية ولاسيما البترول والمعادن » ٠

ثم تتساءل الدراسة «ما هو الحل ؟» وتجيب «مشكلة اليهود تنقسم الى ثلاثة اقسام : ١ ــ مشكلة اليهود المعذبين فى مختلف البلاد : هؤلاء عليهم

---

١ ــ الجماهير ، ١٩٤٧/٥/٥

٢ ــ الجماهير ، ١٩٤٧/٥/١٢

٣ ــ الجماهير ، ١٩٤٧/٥/١٩

ان يشتركوا فى الكفاح مع شعوبهم من اجل تحقيق الديمقراطية ٠٠٠ ٢ ـ مشكلة اليهود المشردين وهؤلاء يجب ان تكفل لهم سبل العودة الى اوطانهم الاصلية ٠٠ ويجب ان يوضح ان فلسطين لا يمكن ان تحل القضية اليهودية ٠ وان كل محاولة لاظهار فلسطين كالحل للمشكلة اليهودية انما هو تعقيد لكلا المشكلتين ٠ ٣ ـ مشكلة فلسطين : ان حلها ينحصر فى الكفاح المشترك بين جماهير اليهود والعرب معا للتخلص من الاستعمار الانجلو امريكى وانشاء دولة حرة ديمقراطية مستقلة» (١) ٠

وتنتقد « الجماهير » الحكومة الرجعية لانها « تحارب الحركات المعادية للصهيونية بينما تغمض عينيها عن الحركات الصهيونية التى تهدد مصالح الوطن ٠٠ فى الوقت الذى نعرف فيه جميعا ان الصهيونية حركة ارهابية عدوانية تقوم على مبادىء الارهاب والعدوان » (٢) ٠٠

كذلك تهتم « الجماهير » بهذه القضية من زاوية اخرى وهى بذل النشاط وسط اليهود المصريين لعزلهم عن الحركة الصهيونية ٠ وتعلن «الجماهير» انه قد «تألفت اخيرا رابطة اسرائيلية لمكافحة الصهيونية » ٠ وفى حديث أجرته «الجماهير» مع «عزرا هرارى» سكرتير الرابطة يؤكد «ان اهداف الرابطة هى مكافحة الصهيونية ودعايتها المضللة بين كافة الاسرائيليين القاطنين بمصر» ٠واجابةعلى سؤال «لماذاتكونت الرابطة فى هذه الايام بالذات؟» أجاب «لان الدعاية الصهيونية المسممة نشطت فى مصر اخيرا نشاطا كبيرا مما يهدد العلاقات بين العرب واليهود بتسميم الجو فى بلد كمصر عاش فيه اليهود أجيالا متعاقبة على أحسن ما يكون من الوئام مع زملائهم المصريين » ٠ وسؤال آخر عن زعماء الحركة الصهيونية فى مصر والجواب « ان معظمهم من كبار الاثرياء واصحاب الاعمال »٠ ويقول ايضا ان «الصهيونية اداة استعمارية تريد جذب جماهير اليهود لتحقيق أغراض الاستعمار بانشاء دولة يهودية فى فلسطين تساعد على تثبيت أقدامه فى الشرق الاوسط »(٣) ٠

وتنشر «الجماهير» فى عدد تال «نداء من الرابطة الاسرائيلية لمكافحة الصهيونية » قالت انه قد طبع فى صورة خطاب ووزعت منه آلاف النسخ على يهود مصر جاء فيه «ايتها الامهات ٠٠ نريد ان نحمى أطفالكن من أكاذيب الدعاية الصهيونية الخلابة التى ترمى الى ارسال اولادكن ليعيشوا فىفلسطين وسط عداء اغلبية السكان وفى نظام كله استبداد واضطهاد ٠ ايها اليهود ٠ ايتها اليهوديات : تحاول الصهيونية الجر بنا فى مغامرة خطيرة ٠٠ تساهم الصهيونية فى جعل فلسطين بلادا لا يمكن العيش فيها ٠ تريد الصهيونية عزل اليهود عن جماهير الشعب المصرى ٠ الصهيونية عدوة اليهود ٠ فلتسقط

---

١ ـ الجماهير ، ١٩٤٧/٦/٢
٢ ـ الجماهير ، ١٩٤٧/٥/١٩
٣ ـ الجماهير ، ١٩٤٧/٥/٥

الصهيونية · ولتحيا أخوة العرب واليهود · وليحيا الشعب المصرى »(١) ·
بقى أن نقول أن «عزرا هرارى» مؤسس الرابطة وسكرتيرها كان واحدا من كوادر « حدتو » ·· وان نقول ايضا انه ما من عدد صدر من « الجماهير » الا وتضمن موضوعا او اكثر عن فلسطين ··
ومع الشعوب العربية الاخرى وقفت « الجماهير » تدافع عن حقوقها وعن كل ما تخوضه من معارك ·· ولم تكن وقفة «الجماهير» دفاعا عن الشيوعيين والوطنيين العراقيين سوى نموذج تكرر كثيرا على صفحات « الجماهير» ··

وعندما أجريت الانتخابات النيابية فى سوريا ورشح الرفيق خالد بكداش نفسه كتبت «الجماهير» تقول «من بين عدد كبير من المرشحين فى دمشق تلقى خالد بكداش مرشح الحزب الشيوعى السورى وسكرتيره تأييد الجماهير وثقتها التامة ، فقد عبرت استقبالات الشعب السورى له عن مدى تأييدها للحزب الشيوعى وبرنامجه الذى أوضحه بكداش فى خطاب القاه فى الصالحية بدمشق بقوله ان هذا البرنامج يعبر عن ماضى النضال الوطنى للشعب السورى وتمسكه باستقلاله ونظامه الجمهورى ·· كما يعبر عن طموح الشعب الى السير فى طريق الاصلاحات الديمقراطية ·· وآكد ان تحقيق مطالب العمال والفلاحين والمثقفين سيؤدى الى ازدها البلاد » «٢) ·
كذلك أيدت «الجماهير» ترشيح مصطفى العريس فى انتخابات برلمان لبنان وقدمته لقرائها قائلة «انه نشأ وترعرع فى صميم معركة التحرير الوطنى وعرفه العمال مناضلا عنيدا فى سبيل الدفاع عن حقوقهم ورفع مستوى حياتهم» (٣) ·
·· وهكذا تمضى «الجماهير» لتسجل فى كل فرصة تضامنها مع القوى التقدمية العربية ومع الشعوب العربية فى معاركها ··

* * *

وثمة اشياء أخرى هامة ··
الصفحة النظرية التى حفلت بأركان عديدة منوعة القاموس السياسى (حيث قدمت دراسات لشرح معنى الاستعمار «فائض القيمة ·· العنصرية ·· الصهيونية ·· الخ») «الفلسفة للكادحين» (حيث قدمت «الجماهير» دراسات مبسطة عن الفلسفة المادية وقوانين الجدل) ·· التاريخ للملايين (حيث قدمت تحليلا مسلسلا لتطور المجتمع ··) ·· الخ ·
وكانت هذه المحاولات فى اعتقادنا من أوائل الدراسات المبسطة للنظرية الماركسية والتى روعى فيها ــ فى الاساس ــ ربط النظرية ومشاكلها بالواقع

---

١ ــ الجماهير · ١٩٤٧/٥/٢٦
٢ ــ الجماهير · ١٩٤٧/٧/٧
٣ ــ الجماهير · ١٩٤٧/٥/٢٦

الحى وتطوراته ٠٠ كذلك اهتمت «الجماهير» بتقديم دراسات عديدة عن الاوضاع فى الاتحاد السوفييتى والانجازات الهائلة التى تحققت هناك ،وقدمت نماذج احصائية عديدة تبرز هذه الانجازات فى مختلف المجالات ٠٠ وكان نصيب الديمقراطيات الشعبية كبيرا ايضا من اهتمام «الجماهير» ٠

* * *

وباختصار ودون ادنى محاولة للادعاء بأننا قد أحطنا ولو بالجوانب الاساسية من الموضوع ، يمكن القول بأن «الجماهير» كانت مجلة تعنى ما تقول عندما قالت فى صدر افتتاحية عددها الاول «ليست«الجماهير مجرد اسم يوضع فى صدر صحيفة ٠٠ انما هى اعمق من هذا بكثير ٠٠ هى صوت الملايين من العمال والفلاحين والطلبة والمثقفين الوطنيين» ٠

المراجــع

ا ــ كتب

د . رفعت السعيد ــ تاريخ الحركة الاشتراكية فى مصر ١٩٠٠ ــ ١٩٢٥ ــ دار الفارابى ــ بيروت .

د . رفعت السعيد ــ اليسار المصرى ــ ١٩٢٥ ــ ١٩٤٠ ــ دار الطليعة ــ بيروت .

د . رفعت السعيد ــ عصام الدين حفنى ناصف ــ سلسلة طلائع الفكر الاشتراكى فى مصر ــ دار الثقافة الجديدة ــ القاهرة .

محمد طاهر العربى ــ هذا المجتمع الظالم ــ دار المستقبل ــ القاهرة .

محمود حسنى العرابى ــ ٨٩ شهرا فى المنفى ــ القاهرة .

محمود حسنى العرابى ــ مقالات العرابى ــ المطبعة الاميرية الكبرى ــ القاهرة .

والتر لاكور ــ الاتحاد السوفييتى والشرق الاوسط ــ ترجمة المكتب التجارى ــ بيروت .

Joseph Stalin -- Marxism and the national and colonial Question -- London -- 1947.

ب ــ وثائق

ــ ملف القضية رقم ٧٥٣ المنشية ، ٣٤٤ كلى ١٩٣١ جنايات الاسكندرية .

ــ مارسيل اسرائيل (شيريزى) تقرير مكتوب بالآلة الكاتبة الفرنسية مقدم للحزب الشيوعى الايطالى حول تاريخ الكاتب ونشاطه فترة حياته بمصر .

ــ مارسيل اسرائيل (شيريزى) تقرير مكتوب بخط اليد باللغة العربية استكمل الكاتب ــ بناء على طلب المؤلف ــ تقريره السابق .

ــ نشرة دار الابحاث العلمية ــ نسخة منزوعة الغلاف بدون تاريخ .

ــ دراسة باللغة الروسية بقلم أ . الجبالى ــ بعنوان (بلا مخرج) مجلة ريفولوسيونى فوستك (الشرق الثورى) السوفييتية عدد ١ لعام ١٩٣٢ .

ــ الفن والحرية عددان من نشرة بالرونيو صادرة عن جماعة الفن والحرية عام ١٩٣٩ .

جـ ــ دوريات

الاخبار	عام ١٩٢٥
أم درمان	المجموعة الكاملة
الاهرام	أعوام ٢٢ ــ ١٩٢٥م
التطور	المجموعة الكاملة
الجماهير	المجموعة الكاملة
الجهاد	عام ١٩٣١
حرية الشعوب	أعوام ٣٨ ــ ١٩٤٤
الحياة الجديدة	عام ١٩٢٨
الرقيب	عام ١٩٢٨
الشبيبة	عام ١٩٢٢
شبرا	المجموعة الكاملة
الشعاع	عام ١٩٣٨
صوت الامة	عام ١٩٤٧
صندوق الدنيا	عام ١٩٣٣
الضمير	المجموعة الكاملة
العصـــــور	عامى ٢٩ ــ ١٩٣٥م
الكاتب	أعوام ٦٨ ــ ١٩٧٢
كوكب الشرق	عام ١٩٢٧
المصرى	عام ١٩٤٧
الهـــلال	عام ١٩٢٧
الوادى	عام ١٩٣٢

د ــ مناقشات :

- ابراهيم المناسترلى
- أنور كامل
- بول جاكو دى كومب
- سعيد خيال
- صادق سعد
- عبد المنعم الغزالى
- عصام الدين حفنى ناصف
- عبده ذهب حسنين
- د • محمود القاضى
- محمد سيد أحمد
- يوسف درويش

الفهـــرس

كتب للمؤلف

● الاساس الاجتماعى للثورة العرابية ٠	طبعتان
● تاريخ الفكر الاشتراكى فى مصر ٠	نفد
● عصام الدين حفنى ناصف	نفد
● نقولا الحداد	نفد
● ثلاثة لبنانيين فى القاهرة ٠	
● تاريخ الحركة الاشتراكية فى مصر ١٩٠٠ ــ ١٩٢٥	ثلاث طبعات
● اليسار المصرى ١٩٢٥ ــ ١٩٤٠	طبعتان
● تاريخ المنظمات اليسارية المصرية ١٩٤٠ ــ ١٩٥٠	
● اليسار المصرى والقضية الفلسطينية	
● اوراق ناصرية فى ملف سرى للغاية	نفد
● تأملات فى الناصرية	طبعتان
● سعد زغلول بين اليمين واليسار	
● مصطفى النحاس السياسى والزعيم والمناضل ٠	

رقم الايداع بدار الكتب ٥٥٠٦ / ١٩٧٧
الترقيم الدولي ١ — ٢٣ — ٧٠٤٧ — ٩٧٧

هذا الكتاب

من خلال تعريفه بالصحافة اليسارية فى مصر يعرض هذا الكتاب تاريخ الحركة اليساربة والمنظمات الماركسية المصرية ويعرف المؤلف عمله بقوله :

ولم تكن هذه الدراسة مجرد بحث عن مجموعات هـذه الصحف وتقليب لصفحاتها وتحديد أهـم ما تردد فيها من اتجاهات فكرية وسياسية ، لكن الامر كان فى الاساس بحثا تاريخيا عن « الحدث الداخلى » ، عن القصة التى تكمن خلف صدور كل جريدة والتى لم تنشر ــ وما كان لها ان تنشر ــ على صفحات الجـريدة ذاتها . كيف تأسست ؟ من كان صاحب المبادرة ؟ ولماذا ؟ من الذى مولها ؟ ولماذا ؟ الصراعات الداخلية وبواعثها ، الاسماء الحقيقية التى توارت فى اغلب الحالات خلف اسماء مستعارة .. الخ وباختصار كان الامر بحثا عن تاريخ المجلة وليس مجرد استعراض لما دون فيهـا من مقالات دراسات ، وان كانت الدراسة التاريخية ذاتها ــ تطلب بالضرورة تسليط الضـوء على المواقف السياسية والفكرية التى رددتها الصحيفة .. ومقارنتها بموقف التنظيم او المجموعة التى تصدرها .. وربط ذلك كله بالاطار التاريخى لحركة اليسار المصرى ككل .



مكتبة مدبولي ٦ ميدان طلعت حرب القاهرة ت ٧٥٦٤٢١
MADBOULI BOOKSHOP 6 Talat Harb SQ Tel: 756421
طبع بالمطبعة الفنية ــ ت : ٣٩١١٨٦٢